نوال فيّاض

صفحات من تاريخ جبل عامل في العهدين العثماني والفرنسي

دَار الجَـديْد

الطبعـة الأولـى، ١٩٩٨

تنفيذ وتوزيع شركة دار الجديد ش. م. م. • صندوق بريد: ١١/٥٢٢٢ بيروت ـ لبنان •
هاتف وفاكس: ٥٠ ٩٨ ٧٣ ـ ٧١ ٨١ ٧٣ (٠١) • بريد إلكتروني: Aljadeed@cyberia.net.lb

إلى أبي

الذي أنار لي الطريق، ووجه خطواتي الأولى

أُهدي هذا العمل المتواضع

ن. ف

مقدّمة

جبل عامل هو المنطقةُ الجنوبية من لبنان الحالي الممتدةُ إلى الجنوب من نهر الأولي والتي تصل في أطرافها الجنوبية لتشكل الحدود اللبنانية الفلسطينية. معظم سكان هذه المنطقة من المسلمين الشيعة، وهي تمثل المركز الأساسي لتجمع الشيعة في بلاد الشام؛ من هنا كانت، وما تزال، تنبع أهميتها الدينية والوطنية، باعتبار أن رجال الدين والأدباء كانوا رواد الوطنية والدعوة للحرية. وقد شهدت منطقة جبل عامل بين الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى وتلك التي تلتها تحركاتٌ وطنية كان في طليعتها الأدباء العامليون خاصة في غياب أحزاب سياسية منظمة؛ فقام هؤلاء الأدباء بإبراز وجه جبل عامل الوطني وذلك خلال حقبات ثلاث:

- أواخر العصر التركي
- عصر الانتداب الفرنسي
- بداية عصر الاستقلال

وقد شهدت هذه الحقبات وقائع وأحداثاً تاريخية عاصفة لعب فيها جبل عامل دوراً قومياً ووطنياً مؤثراً وَصَلَ لبنانَ بحركات التحرر والاستقلال في الوطن العربي وَصْلاً وثيقاً؛ فالدور الوطني لم يكن منفصلاً قط عن الدور الثقافي وتلك هي مرحلة الحركة الثقافية في جبل عامل التي ارتبطت بالحركة الوطنية ارتباطاً عضوياً. فقلما وجدت أديباً أو شاعراً أو عالماً أو مثقفاً أو صحفياً في جبل لبنان لم يتأثر أو يؤثر في الكفاح من أجل التحرير والوحدة السورية، وفي هذا الميدان برزت أسماء كثيرة من مستهل القرن العشرين حتى منتصفه؛ وكانت فترة الثلاثينات هي الأحفل بالنشاط الثقافي والوطني. وكان الثمن كبيراً جداً على العامليين. فلم تمر مواقفهم الوطنية وتأييدهم للثورة العربية التي أعلنت في الحجاز

بقيادة الشريف حسين دون حساب، خاصة بعد أن توضحت لهم سياسة حزب «تركيا الفتاة» نحو العرب فاقتيد معظم الأدباء العامليين إلى المجلس العرفي في عاليه، ورغم الأحكام القاسية التي صدرت بحق البعض منهم وتراوحت بين الإعدام والنفي والسجن، فلم يُثْنِهِم ذلك عن مواقفهم الوطنية، وقد رأوا في الحلفاء نصيراً لهم لأجل تخليصهم من الأتراك ودعامة لهم في بناء مملكة عربية يحلمون بها بقيادة الأمير فيصل في بلاد الشام، وذلك حسب الاتفاق الذي تمّ بين الشريف حسين والحلفاء.

ولكن هذا الأمل لم يَدُم طويلاً، إذ سرعان ما تبخّرت أحلامهم مع دخول الحلفاء إلى بلاد الشام الذي كان أول غيثه عدم الاعتراف بالحكومة العربية التي أُعلنت في دمشق وما تلاه من إقرار فكرة الانتداب والحماية والوصاية التي طلع بها الحلفاء على الشعوب العربية في المنطقة.

وهنا نقرأ قصيدة قومية ضد سياسة الحلفاء لأول شاعر عاملي، العلّامة السيد محسن الأمين حيث قال:

قالوا الشُّعوب نَفُكّها مِن رقّها ... كلّا بَل آستِعْبادَها قَدْ راموا
بِاسْمِ الحِمايةِ والوِصايةِ يُجْتَرى ... حَقٌّ لكُم وتدوسُكُم أقْدامُ

لم يرضخ أدباء جبل عامل ومفكروه لسياسة الأمر الواقع التي حاول الفرنسيون فرضها عليهم بتقسيم بلاد الشام إلى دويلات طائفية، وبقي العامليون متعلّقين بعروبتهم وقوميتهم غير معترفين بانضمامهم إلى دولة لبنان الكبير الذي أعلنه الجنرال غورو سنة ١٩٢٠.

وقد أرادت سلطات الانتداب الفرنسية أن تجعل هذا الجبل يدفع جزاء تعلّقه بالوحدة السورية. وهكذا فقد تعرضت منطقة جبل عامل في هذه المرحلة لهزات سياسية وأعمال عسكرية كانت تقوم بها فرق مسلّحة، منها المناهض للفرنسيين والذي كان يرتبط، بشكل أو بآخر، بالثورة في سوريا؛ وبالمقابل فقد سلّح الفرنسيون الأقلية المسيحية التي تسكن جبل عامل وبذلك حاولوا إشعال فتنة طائفية في الجبل من أجل أن يضربوا ضربتهم المبررة بحماية الأقلّيات المسيحية المؤيدة لهم من شر الأكثرية الإسلامية. وهكذا كان، فالحملة الفرنسية التي قادها نيجر على جبل عامل بعد حادثة عين إبل وما تركته من دمار وفقر وتشريد، كان هدفها قطع أيّ أمل للعامليين في الوحدة السورية، وأن تجعل من جبل عامل قسماً من دولة لبنان، ولكن الضربات التي تلقّاها العامليون نتيجة مواقفهم الوطنية، لم تستطع أن تقتلع من نفوسهم حسهم الوطني والذي شملت آفاقه الوطن العربي والإسلامي

بأسره. ولم تكن الوحدة السورية التي عملوا من أجلها إلّا جزءاً من اهتماماتهم بقضايا الوطن العربي والإسلامي بأسره. فقد شاركوا في أكثر المؤتمرات التي كانت تعالج أمور العرب والمسلمين، وكانت لهم علاقاتهم المميزة مع أدباء الوطن العربي، وكان المجمع العلمي في دمشق يجمعهم مع أكثر أدباء ومفكّري الوطن العربي.

كذلك باتت كتاباتهم المتنوعة في الصحف العربية، وخاصة المصرية والعراقية والسورية، تنقل أفكارهم إلى جميع مُثقّفي العرب والمسلمين.

كل هذا النشاط لم يكن ينسيهم العمل على المطالبة بالاستقلال. وفي ظل الاستقلال كان أدباء جبل عامل يطالبون بالمُساواة بين أبناء الوطن الواحد.

جبل عامل: التسمية وأصلها

لم يَهْتَدِ المؤرخون إلى حقيقة تسمية جبل عامل بل ذهبوا به مذاهب مختلفة. قال الأمير شكيب أرسلان: «لا بد أن مؤرخي العرب اتفقوا على كون حِمْيَر وكهلان وأشعر وعمرو وعاملة هم أولاد يشجب بن يعرب بن قحطان، وأن من حمير التبابعة وبني شيبان وقُضاعة، ومن كهلان الأزد وطي ومذحج وهمدان وكِندة ومِراد وأنمار، وأمّا أشعر فهي القبيلة التي ينسب إليها أبو موسى الأشعري، وأمّا عمرو فمنهم لخم وجِذام، وأمّا عاملة فإنهم خرجوا إلى الشام ونزلوا بالقرب من دمشق بجبل عُرف بجبل عاملة نسبة إليها»[1]. ونصّ أبو الفداء في تاريخه **المختصر في أخبار البشر**: «أما بنو عاملة فهم من القبائل اليمانية التي خرجت إلى الشام بعد سيل العرم وخراب سد مأرب ونزلوا بالقرب من دمشق في جبل عرف بعدها بجبل عاملة فمن عاملة عُدي بن الرقاع»[2]. ويؤيد هذه الأقوال الأصفهاني بقوله: «سمي جبل عامل أو عاملة نسبة لعاملة القبيلة القحطانية التي نزلت الديار الشامية عندما هاجرت من اليمن بعد سيل العرم مع من هاجر من قبائل الجنوب كلخم وغسان وجذام وهؤلاء أخوة لعاملة وهم جميعاً أبناء سبأ بن يعرب بن يشجب بن قحطان»[3]. وعن فروة بن

(١) «المتاولة أو الشيعة في جبل عامل»، **العرفان**، مجلد٢، ص ٢٣٧، سنة ١٩١٠.

(٢) جريدة **جبل عامل**، العدد الأول، ٢٨ كانون الأول سنة ١٩١١، ص ٢.

(٣) الأصفهاني، **الأغاني**، ج ٨، القسم الأول، ص ٣٥١.

يذكر أنّ أول من نطق بالعربية الفصحى هو يعرب بن قحطان جد العرب في اليمن وكانت لغة اليمن في عهده مزيجاً من الحميرية القديمة والسريانية والآشورية والحبشية، فليعرب إذاً يعود الفضل الأول في عزل اللغة العربية عن شقيقتيها السريانية والحبشية وإبرازها بقالب فصيح. وقد أشار حسّان بن ثابت الأنصاري إلى ذلك بقوله:

تعلمتم من منطق الشيخ يعرب ... أبينا فصرتم معربين ذوي نفر

أنظر: **العرفان**، م ٣٢، ج٣، ص ٢٤٠، سنة ١٩٤٦.

مسيك المرادي عن رسول الله لما سأله عن سبأ، رجل أم امرأة قال: «هو رجل ولد عشرة، الأزد، كِندة، مذحج، أنمار، الأشعرون، حِمْير، ذهبوا إلى اليمن، وعاملة، جذام، لخم، وغسان، توجهوا نحو سوريا هؤلاء جميعاً هم أبناء سبأ الذين تفرّقوا بعد سيل العرم وخراب سد مأرب»[٤]. ومع هذا فإننا نجد كلاماً مشبعاً عن هذا الجبل في بطون التاريخ مع أن تسميته بهذا الاسم قديمة. ولعلّ المؤرخين اكتفوا بذكر ما يضمّه إليه وهو صيدا وصور والشقيف وتبنين وغيرها التي جاء ذكرها مراراً في التاريخ.

وأغلب الظن أن جبل عامل لم يشتهر بهذا الاسم إلّا في القرون الخمسة المتأخرة[٥] حيث خرج منه علماء وأدباء ذاع صيتهم وخصوصاً في بلاد العراق والعجم، فكانوا يحترمونهم احتراماً فائقاً، ولا نكاد نجد كتاباً من كتب الشيعة إلّا وذُكر فيه عدة علماء من جبل عامل، وقد تطرّق أكثرهم لذكره فتكلم بما يعلمه عنه، فقد قال صاحب الروضات عند ترجمته للشهيد الأول محمد بن مكي الجزيني، الذي استشهد في الشام ما لفظه: «محمد بن الشيخ جمال الدين مكي بن الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد النبطي العاملي الجزيني نسبة إلى جزين من قرى جبل عامل الناحية المعروفة والمكرّر ذكرها في ذيل تراجم علمائنا والواقعة كما عن تاريخ المغربي على الطرف الجنوبي من بلدة دمشق على سفوح جبل لبنان»[٦].

وقد عرفت هذه البلاد في الزمن الأخير باسم بلاد بشارة منذ دخلت بلاد الشام في حوزة العثمانيين[٧] وهذه البلاد تقسم إلى قسمين، بلاد بشارة الجنوبية وهي لا تزال تحمل هذا الاسم وأكثر أهلها متاولة وفيها قلعة بناها هيو صاحب طبرية ١١٠٧هـ، واستولى عليها صلاح الدين بعد موقعة حطين ١١٨٧هـ[٨]، وبلاد بشارة الشمالية وهي المعروفة ببلاد الشقيف نسبة إلى قلعة الشقيف وهي الحصن المطل على القسم الكبير من بلاد جبل عامل، ويبلغ ارتفاعه ستمائة وسبعين متراً (٦٧٠م) عن سطح البحر، وكان يفصل بين البشارتين الشمالية والجنوبية مجرى نهر الليطاني الذي يصب شمالي صور ويعرف هناك

---

(٤) راجع: خطط جبل عامل، ١٩٦١، ص ٣٥.

(٥) جريدة جبل عامل، عدد ١، ص ٢، سنة ١٩١١.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣.

(٧) العرفان، أحمد رضا، مجلد ٣١، ص ٢٢٠، سنة ١٩٤٥.

(٨) المصدر نفسه، ص ٢١٩.

بنهر القاسمية. كانت هذه البلاد زمن الحكومات الإقطاعية تقسم إلى ثماني مقاطعات، أربع منها في الجنوب وهي تبنين وهونين وقانا ومعركة وقاعدتها تبنين وأصحاب إقطاعها مشايخ من آل علي الصغير الوائليين، وثلاث في الشمال وقاعدتها النبطية وأصحاب إقطاعها مشايخ من آل صعب الأيوبيين، والشومر والتفاح وقاعدتها جباع وأصحاب الإقطاع مشايخ من آل مُنكر والثامنة مقاطعة جزين وحكامها من الخزرجيين(٩).

أمّا تسمية جبل عامل ببلاد بشارة ومن هو بشارة فالأقوال فيه متضاربة، فمنهم من قال إنه الأمير بشارة بن معن، وآل معن أسرة عربية حكمت لبنان في سنة ١٥١٦ - ١٦٩٧ ولكن الأمير شكيب أرسلان نقض هذا الادعاء بقوله: «أمّا أمراء بني معن فلم نجد في تاريخهم من اسمه بشارة، وأن من يستقرىء تاريخ العهد المعني من البداية إلى النهاية لا يجد من حكامهم من سكن جبل عامل عدا قرية زبقين، وإنما كان مقر حكمهم يتراوح بين بعقلين ودير القمر وصيدا وبيروت»(١٠). ومنهم من قال إنه بشارة بن مقبل القحطاني وقد انفرد بهذا القول شبيب باشا الأسعد. قال شبيب في ديوانه **العقد المنضد**: «جاء من بادية نجد جدنا محمد بن هزّاع الوائلي القحطاني من قبيلة عنيزة بجيش من الأعراب إلى بلاد جبل عامل بالديار الشامية، فدخل هذه البلاد وكان عليها يومئذ الأمير بشارة بن مقبل القحطاني (وهي تعرف من عهده حتى اليوم ببلاد بشارة) فشنّ عليه حرباً وتغلّب عليه فاستولى على البلاد وحكمها وتزوج بينت بشارة»(١١).

أمّا السيد محسن الأمين فيقول: «إن ما يقوله شبيب باشا الأسعد في كتابه عن تسمية بلاد بشارة نسبة لبشارة بن مقبل القحطاني فلا يستند إلى مصدر وما هو إلّا نوع من

---

(٩) **المصدر نفسه**، مجلد ٣١، ص ٢١٩، سنة ١٩٤٥.

(١٠) **العرفان**، المجلد ٢، صفحة ٤٤٧، سنة ١٩١٠.

(١١) **العقد المنضد**، شبيب باشا الأسعد، ص ٦ - ١٨.

جدير بالذكر أن شبيب باشا الأسعد هو أكبر أنجال علي بك الأسعد من أبناء محمد بن هزاع الوائلي القحطاني ولد سنة ١٨٥٢م، وكان ذكياً أديباً شاعراً يميل بطبعه لتكريم العلماء وأهل الأدب والسير على خطّة أسلافه بزعامة البلاد، توفي سنة ١٩١٧ في صيدا ودفن فيها.

وجدير بالذكر أيضاً أنه عندما نقل شهداء لبنان في ٦ أيار سنة ١٩١٦ من عاليه إلى بيروت كانوا ينشدون:

نــــــحـــــن أبـــــنـــــاء الألـــــى   شـــــادوا مـــــجـــــداً وعُـــــلا
نـــــســـــل قـــــحـــــطـــــان الأبـــــي   جـــــدّ كـــــلّ الـــــعـــــرب

راجع: الدكتور يوسف مزهر، **تاريخ لبنان العام**، ص ٨٤٢.

الأقاصيص التي تخرجها المخيلات»[١٢]. ويتبعه الشيخ سليمان ظاهر بقوله: «أمّا ما جاء في **العقد المنضد** من نسبة البلاد إلى الأمير بشارة بن مقبل القحطاني فلم نجد له، على كثرة المراجعة، ذكراً وهو أشبه بأن يكون شخصاً أسطورياً»[١٣] ولكن الأقرب إلى الصحة عن **تاريخ ابن نتحون**، وعلى حد قول العلّامة السيد محسن الأمين: «إن بشارة الذي تنسب إليه بلاد بشارة فالظاهر أنه بشارة بن أسد الدين بن عامر العاملي السبئي الذي كان في عصر صلاح الدين وحضر معه وفتح حصن هونين سنة ٥٨٣ هـ وأقطعه بانياس وحضر معه فتح السواحل الشامية، واستمر حكمهم في بلاد بشارة إلى ما بعد الألف»[١٤].

وكما عُرف جبل عامل ببلاد بشارة عُرف كذلك ببلاد المتاولة منذ أطلق هذا اللقب على شيعة هذه الديار، وهو لقب حديث لا يتجاوز القرن الثاني عشر للهجرة[١٥]، أمّا لقبهم بمتوالي أو متاولة فيعود، وكما ورد عند محمد عبده المصري «إمّا لأنهم كانوا في أوقات حروبهم يقولون كن وفياً لعلي وإمّا لأنهم يعترفون بعلي الخليفة الرابع للمسلمين وأبنائه من بعده أئمتهم»[١٦].

هذا هو جبل عامل الذي نقصده وهو عبارة عن صيدا وصور ومرجعيون وقاعدة الأقضية الثلاثة صيدا، ويتبعها ناحية النبطية ونحو أكثر من ١٣٠ قرية ومزرعة، وصور ويتبعها ناحية تبنين و ١١٥ قرية ومزرعة، ومرجعيون ويتبعها نحو ٥٤ قرية ومزرعة.

حدوده وعدد سكانه يحدّ جبل عامل جنوباً نهر القرن الجاري شمالي قرية طيرشيحا، وشرقاً الحولة ووادي التيم والبقاع، وغرباً البحر المتوسط، وشمالاً نهر الأولي، وبذلك تدخل صيدا فيه، وكان قبل هذا التقسيم كناية عن قضاءي صيدا ومرجعيون، وتزيد مساحة الجبل على ثلاثة آلاف كلم مربع، فمتوسط طوله نحو ثمانين كلم. أمّا متوسط العرض فهو أربعون، وجبل عامل هو أهم منطقة في سوريا ضم الشيعة، وهو منبسط يشتمل على هضاب متعدّدة وأودية كثيرة وسحيقة وجبال يشارف بعضها الألفين من الأمتار علواً كقمم التومات

---

(١٢) **أعيان الشيعة**، محسن الأمين، مجلد، ١٥ ـ ١٠٣.

(١٣) **العرفان**، سليمان ظاهر: أسماء قرى جبل عامل، مجلد ٣٤ ص ٤٤٥ سنة ١٩٤٨.

(١٤) **خطط جبل عامل**، ص ١٠٩، سنة ١٩٦١.

(١٥) **العرفان**، م ٣١ ص ٢١٩، سنة ١٩٤٥.

(١٦) **خطط جبل عامل**، ص ٥٢، سنة ١٩٦١، وكتاب **الشيعة في الإسلام**، محمد حسين الزين، ص ٢٧، سنة ١٩٤٨.

وجبل الريحان، وفيه سهول داخلية وساحلية فيها أنهار وجداول، وعلى هضاب هذا الجبل نثرت قرى ومزارع، وعلى قمم التلال مقامات أنبياء من يُوشع جنوباً إلى سُجُدْ وصافي وأبي الرّكَب في الشمال الشرقي، ومقابر صالحين وأديرة لنسّاك، ففي جبل عامل اليوم أكثر من عشرين قرية تبدأ بكلمة دير، عدا المقامات العديدة[١٧] وكثير من هذه المقامات تعود إلى أديان مختلفة وعديدة تشير إلى أن هذه البقعة كانت موطناً لحضارات قديمة. وعلى الروابي وعند الشواطىء قلاع عديدة ترقى إلى حقب من التاريخ البعيد والقريب، وفيه سهول منبسطة في الامتداد مخضرة الجنبات، ومن زار الجنوب اللبناني أعجب بجمال الجبل العاملي فحرّك فيهِ نفحة الأدب.

أمّا عن السكان فهناك إحصاءات تقريبية لعددهم في جبل عامل في أوائل القرن العشرين، أمّا الإحصاءات الدقيقة فليست متوفّرة، وتقول جريدة **جبل عامل**: «وعدد نفوس جبل عامل ماية وخمسون ألف نسمة يدينون بالإسلام على مذهب الشيعة الإمامية بينهم قسم قليل من السُنّة وقسم من النصارى»، لكن هذا الرقم يعود لسنة ١٩١٢[١٨] وهي آوِنة ظهور الجريدة. أمّا مجلة **العرفان** فنجد فيها إحصاء أكثر تفصيلاً يعود إلى سنة ١٩٢١م هو التالي: الإسلام الشيعة ٦٣٠٠٠، الإسلام السنة ١٣٣٩٧، الدروز ٣٥٠٠، الموارنة ١٧٥٩٩، الأرثوذكس ٥٦٧٣، الروم الكاثوليك ١١٢٤، البروتستانت ١٤٣٤، اليهود ٦٢٩، المجموع ١٠٦٢٥٧ نسمة[١٩].

أما العدد الحالي لسكان جبل عامل فيزيد على ضعفي ما أوردته الجريدة والمجلة، إذ إن عدد الناخبين المُسجّلين وحده يزيد على المائة والسبعين ألفاً.

يتبادر إلى أذهاننا، وللوهلة الأولى، أن جميع سكان جبل عامل هم من أصل عربي، نظراً للصلة التي تربطهم بقبيلة عاملة العربية الأصل، لكن هذه المنطقة جذبت العرب وغيرهم من الشعوب الأجنبية لقرون عديدة وذلك منذ أن سكنت عاملة هذا الجبل وحتى يومنا هذا.

ومن الصعب جداً أن نقف في الحاضر على شعب حقّق لنفسه صفاء الدم ووحدة العرق[٢٠].

---

(١٧) محسن الأمين، **خطط جبل عامل**، ص ٩٣٣.

(١٨) D. Lortet, *la Syrie d'aujourd'hui*, p. 130.

(١٩) **العرفان**، مجلد ٨ صفحة ١ و٥.

(٢٠) علي الزين، **مع التاريخ العاملي**، ص ٣٤.

أصل الشيعة هناك من يُرجع أصل الشيعة في لبنان إلى أبي ذر الغفاري الذي له مقامان في الصرفند وميس الجبل المشرفة على غور الأردن، وكلتاهما من قرى جبل عامل[٢١] ويقول آدم مِتز في كتابه *الحضارة الإسلامية*: «إن منشأ التشيُّع في الإسلام لم ينبع من البيئة البشرية الفارسية كما يتبادر إلى البعض وإنما مرجعه يعود إلى روح عربية صرفة وعلى الأخص في القرن الرابع للهجرة»[٢٢]. ويقول الزنجاني: «إن إيران غلب عليها في القرنين الأولين بعد الهجرة روح المذاهب السنية ولم تكن منذ نشأة الإسلام شيعية صرفة كما هي اليوم»[٢٣]. وتطالعنا في *المشرق*[٢٤] صورة عن المجتمع الشيعي في جبل عامل عامة تظهر أن هذا المجتمع البشري لم يكن منعزلاً بل منفتحاً على سائر الهجرات. ويقول Eberse و Guthe: «من الممكن أن يكون المتاولة اعتزلوا عن سائر سكان لبنان بسبب معتقداتهم الخاصة وإنهم لا يمثلون قطعاً بقايا أمة كبيرة»[٢٥] ويقول Vonoppenheim إنهم من بقايا جماعات القرامطة الأقدمين الذين نزلوا سوريا فتركوا أحفادهم فيها. أما Palcasanova فينسبهم إلى الإسماعيليين. وفي كتاب *أخبار الأعيان* لطنوس الشدياق[٢٦] نرى أن الشيعة جاؤوا من ناحية بخارى. ويرى الرأي نفسه Dr. Lortet الذي اكتشف أوجه شبه مهمة بين المتاولة والأكراد الساكنين مناطق العراق العليا فيقول: «يمكن التأكيد بجرأة أن المتاولة أكراد أتوا من نواحي الحدود الفارسية بعد هجرات عظيمة في القرن الثالث عشر للميلاد». ويذكر ناصر خسرو في كتابه «أن أهل طرابلس كلهم من الشيعة»[٢٧] دون أن يذكر أصلهم وصلتهم وكرّر ذلك عن أهل صور، وجاء في مجلة *المشرق* البيروتية أن متاولة لبنان ينتسبون إلى الجماعات الفارسية التي جلاها معاوية إلى لبنان[٢٨].

في هذا الاتجاه اتجه الأب لامنس[٢٩] في بادىء الأمر عندما أكد أن الشيعة في جبل

---

(٢١) محمد كرد علي، *خطط الشام*، مجلد ٦، ص ٢٤٦.

(٢٢) Adam Mez, *La civilisation islamique dans le 4e siècle de l'hégire*, VI partie, p. 102-103.

(٢٣) الزنجاني، *رحلة الإمام الزنجاني*، النجف، سنة ١٩٥٦.

(٢٤) مجلة *المشرق*، السنة الثلاثون، ج ٣، ص ٧٧٣.

(٢٥) *المصدر نفسه*.

(٢٦) طنوس الشدياق، *أخبار الأعيان*، ص ٨٦٦، بيروت ١٨٥٩.

(٢٧) Relation du voyage de Nassiri Khusrau, Paris, 1881, p. 42-37.

(٢٨) مجلة *المشرق* البيروتية، ٦٣٣.

(٢٩) يقول P. Nikita Elisseff إن الأب هنري لامنس هو أحد المستشرقين البلجيكيين الذين جاؤوا إلى لبنان

عامل هم من أصل فارسي ويجب أن نعتبرهم فرساً، إذ إنّ معاوية كان قد أسكنهم السواحل اللبنانية وكانوا مرتزقة، ثم اعتنقوا الإسلام وعاشوا على هامش العرب لكنهم بقوا مخلصين للإمام علي حتى بعد وفاته(٣٠). وما لبث الأب لامنس أن تخلى عن فكرته القديمة وحاول دحض مزاعم سابقيه من المستشرقين بأن مجيء الشيعة إلى لبنان كان في عهد صلاح الدين الأيوبي وأن أصلهم فارسي، ثم أيّد بعض الآراء القائلة بأصالة الشيعة في هذا الجبل ليقول: «وبينما نحن ننتظر أبحاثاً جديدة لا نرى بأساً في الموافقة على ما قال Eberse و Guthe في الموضوع وهو أنّه من الممكن أن يكون المَتَاوِلَة اعتزلوا عن سائر سكان لبنان وسلسلة جبال لبنان الشرقية بسبب معتقداتهم الخاصة وأنهم لا يُمثّلون قطْعاً بقايا أمة كبيرة»(٣١). واعتقد أرنست رينان أن بعض العائلات في جبل عامل نقلها إليه صلاح الدين الأيوبي وهي كردية الأصل مستنداً في ذلك إلى وجود تقليد مشابه لهذا تتداوله بعض الأسر المتوالية في بلاد الجليل. ومما يشير إلى هذا الزعم أيضاً نصٌّ نشرته جريدة *البشير* بتاريخ ١٧ تشرين الأول سنة ١٩٠٤ في وصف مأتم أحد بكوات النبطية يقول فيها الكاتب إن البك المذكور من سلالة صلاح الدين. أمّا زعم Christi في أن لغة العامليين العامية فيها آثار من الألفاظ الفارسية فقد يكون ذلك ناتجاً عن اتصالهم بجامعات النجف وكربلاء وزياراتهم لحواضر الشيعة التي لا تخلو من سكان فرس(٣٢)، فقد كانوا يقصدون هذه الحواضر صغاراً طلباً للعلم ويعودون للوطن بعد اكتهالهم، كما أن علماء المتاولة عملوا كثيراً في عهد الدولة الصفوية على استدراج الفرس إلى معتقداتهم.

وكان علي إسماعيل الخديوي، الأستاذ في المدرسة الخديوية، من بين الذين أيدوا الزعم القائل بأن المتاولة من أصل فارسي بقوله: «إن المَتاولة يؤلّفون قسماً من الشيعة الذين هم من أصل فارسي مضافاً إليهم بعض المذاهب الملحدة كالإسماعيلية والنصيرية»، لكن السيد محسن الأمين نقض هذه الأقوال مؤكّداً أن الشيعة من أصل عربي نظراً للقُربى التي

عند الاحتلال الفرنسي فطلب منه الجنرال غورو أن ينظّر لهذا الانتداب لكي يسهل هيمنته على الشرق لذلك نرى لامنس يعتبر أن شعوب سوريا الطبيعية هم أمة سورية منفصلة عن الأمة العربية، من هنا ينسب الشيعة في لبنان إلى الأصل الفارسي من أجل إفشال قيام الوحدة القومية لشعوب بلاد المشرق.

(٣٠) مجلة *المشرق* البيروتية، ص ٦٣٧/٣.

(٣١) *المصدر نفسه*، ص ٧٧٨/٣.

(٣٢) علي الزين، *مع التاريخ العاملي*، ص ٥٥.

تربطهم بعاملة بن سبأ وليس لهم أي قربى مع الفرس. أمّا الأمير شكيب أرسلان فيقول: «لا جدال في كون الشيعة موجودين في الشام منذ أوائل الفتح الإسلامي، ومع هذا فالمؤرخون لا يذكرون هذا الأمر إلّا عرضاً وربّما لا يذكرونه أصلاً، ومما يدل على قدمهم كون الإسماعيلية والدروز قد خرجوا من الشيعة ويقال إنهم، أي الدروز، قد خرجوا من الشيعة السبعية أي القائلين بالأئمة السبعة، وقع ذلك في أواخر القرن الرابع للهجرة وأوائل القرن الخامس في أيام الدولة الفاطمية الأكثر تشيعاً. فالشيعة كانوا في جبال لبنان قبل هذه الطوائف التي خرجت منهم فضلاً عمّا بين كثير من عشائر الفريقين من القرابات والأنساب المتحدة في الأصل، متواتراً ذلك خلفاً عن سلف، مما يؤكد كون هذه الطوائف كلها راجعة في أصلها إلى العرب»[٣٣].

إذن فالشيعة في جبل عامل كانوا بعيدين كل البعد عن التأثر بالفرس، إذ كان لهم أتباع ومناصرون قبل القرن الرابع الهجري، بينما كان الفرس في هذا العصر أكثرية سنّية، وإذا لاحظنا أن لأصحاب النبي والإمام علي مقامات ومزارات في فلسطين والأردن (ففي السهوة مقام لسلمان الفارسي وفي اللجاة مقام لعمّار بن ياسر[٣٤]) نفهم أكثر عن أصل منشأ الشيعة في طبرية ونابلس والقدس، هذه الأدلة تطابق أفكار الذين يظنون أن الشيعة انتشروا في جبل عامل على أثر زيارات قام بها أصحاب النبي مثل أبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي الذي زار دمشق ثم جاء إلى بيروت ليسأل عن صاحبه أبي الدرداء الموجود فيها.

فالشيعة استقروا إذن في جبل عامل منذ وقت طويل، وما وجود مقامين لأبي ذر في الصرفند وميس الجبل إلّا دليل على أنه حمل بذور التشيُّع إلى تلك المنطقة.

العادات والتقاليد كان لأهل جبل عامل عادات قد يشاركهم فيها غيرهم وقد لا يشاركهم، أهمّها العادات الدينية، فمنها تنشئة الأطفال على الصوم والصلاة منذ الصغر والتشديد عليهم إذا بلغوا السبع سنوات، والمحافظة على هذه العادات وترك المسكر، ومنها المواظبة على الدعاء وقراءة القرآن في شهر رمضان[٣٥]. ولا بدّ من مجيء بعض طلائع

---

(٣٣) *العرفان*، المجلد ٢، صفحة ٤٤٩.

(٣٤) عيسى اسكندر المعلوف، *دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف*، المطبعة العثمانية، سنة ١٩٠٨، ص ٣٨.

(٣٥) *خطط جبل عامل*، ج ١، ص ٦٦٩.

العادات والتقاليد الفارسية التي احتضنها المجتمع الشيعي حتى في فترة الوعي التحرري والنهضة العلمية الحديثة. وليس هذا بغريب حين نعلم تأثير الفرس على لبنان في فترات مجيئهم إليه كما جاء في تاريخ البلاذري(٣٦) وما خلفوا فيه من بدع دخيلة على الإسلام. وإذا كان بعض المتزعّمين من العامة والمُنتفعين قد أخذوا بها، فإن العلماء ورجال الدين حاربوها بجرأة وشدة أحياناً، وبلطافة أحياناً أخرى، وقد وقف السيد محسن الأمين وقفة جريئة من بدعة الضرب بالسلاسل على الظهور وبالسيوف على الجباه في ذكرى عاشوراء.

وكانت أكثر قرى جبل عامل قد تأثرت بهذه العادة البعيدة عن أجواء عالمنا المتمدّن المتحضّر حين قَيَّض اللّه لها المُصلحين الذين تعاونوا مع أهل الخير والصّلاح، حتى زالت تلك العادة نهائياً ماعدا بلدة النبطية التي لا تزال محافظة عليها، يشجعها ويعمل بها بعض من ينالهم منها نفع مادي. ومن العادات التي كانت متبعة أيضاً الاحتفال بحلول منتصف شعبان حيث يقوم عشرات الأشخاص(٣٧)، رجالاً ونساءً، شباناً وكهولاً، بمسيرة على الأقدام إلى الجبال حيث يوجد على رأس كل منها مقام يحمل اسم نبي من أنبياء بني إسرائيل (صافي، يُوشَع، أبو الركب، جليل، وسُجُدْ) فكانت تُقام الاحتفالات فيمْكُث المحتفلون في أعالي الجبال يوماً أو يومين في هرج ومرج ورقص ودبك حيث يصلون الليل بالنهار وهناك تُذبح الذبائح وتُقام الولائم ويعيش الناس أسعد أيامهم وأحلاها، لكن الشيخ بهاء الدين العاملي انتقد هذه العادة في بعض مقالاته في جريدة **جبل عامل** واصفاً إياها بأنها مُنافية للدين(٣٨). ومن العادات أيضاً صلاة الاسْتِسْقاء وتُقام هذه الصلاة في الخلاء مع التضرّع إلى اللّه والدعاء والتوبة والغفران، هذا بالإضافة إلى بعض العادات والتقاليد الأخرى التي تشترك فيها قرى وبلدات جبل عامل مع سائر قرى وبلدات لبنان كالأفراح والأتراح وما يتبعها وهي معروفة لدى الجميع.

الحالة الاقتصادية جبل عامل قسمان: ساحلي أرضه منبسطة، وجبلي وهو آكام ومرتفعات ومنخفضات، تختلف ألوان التربة فيه اختلافاً شديداً، أمّا تربة القسم الساحلي من

---

(٣٦) البلاذري، *فتوح البلدان*، دار النشر للجامعيين، بيروت، سنة ١٩٥٧.

(٣٧) جريدة *جبل عامل*، عدد ٢٨، ص ٢١٧، سنة ١٩١٢.

(٣٨) *المصدر نفسه*، ص ٢١٧.

الجبل فهي رملية، أمّا الأرض التي ترتفع عن ساحل البحر فهي ذات تربة بيضاء كلسيّة. كما يوجد في غير ساحل البحر أرض رملية التربة، من هذه أكثر أراضي مرجعيون ودير ميماس. ومن التربة المختلفة الألوان تربة أرض قرية جباع الواقعة في سفح لبنان الغربي ذات المياه الغزيرة والأشجار الباسقة، وخاصة في القسم الجبلي من جبل عامل الذي يجود الغرس فيه أكثر من الزرع وإن كان يختلف باختلاف تربته في إنماء الأشجار وزكاء الثمر، فالأراضي الرمْلية يجود فيها شجر الليمون على اختلاف أصنافه، وشجر الموز والنخيل يجود في الأراضي الواقعة على شاطىء البحر لارتفاع درجات الحرارة فيه.

الزراعة جبل عامل بلاد خصبة، لو هيئت له الأسباب العمرانية والموارد الصناعية والمواصلات لتحسنت أحواله المادية والاقتصادية والاجتماعية، لكنه لم يكن على شيء من هذا، فقد تعاقب على حكمه رجال من الإقطاع كانوا يتصرفون بأرضه الخصبة، وقد دام نفوذ هؤلاء حتى أواخر القرن التاسع عشر. وكانت الأكثرية الساحقة من سكان جبل عامل من المزارعين الذين يشتغلون في أملاك هؤلاء الإقطاعيين ويُعمِّرونها فلا ينالهم من المنتوج إلّا القليل، هذا بالإضافة إلى أسباب أخرى أخّرت حالة الزراعة وزادتها سوءاً، منها جهل الفلاحين أصول الفلاحة وجمودهم على ما رأوا عليه آباءهم، بحيث لا يريدون تبديله بسواه، إضافة إلى قلة المال الذي هو أساس الأعمال، وعدم اعتناء الحكومة بأمر الزراعة وسوء تنظيم جباية الضرائب، وانعدام الأمن العام وكثرة المشاحنات والمخاصمات والمنافسة بين زعماء البلاد على الزعامة، مما جعلهم يتلهّون بأمورهم ويُعْرِضُون عن الاهتمام بالفلاح والمزارع[٣٩].

هذه الأسباب وكثيرٌ غيرها جعلت الزراعة التي يرتكز عليها تطور مجتمع جبل عامل في حالة متخلّفة تكاد تخلو من كل منفعة، وقد اهتم العامليون بصورة خاصة بزراعة التبغ، وشجعهم على ذلك خصوبة أرضهم التي تُنْبِت أجْوَد أصنافه. وما من بلدة من بلاد جبل عامل إلّا وتعاطت زراعته، بل كانت البلاد سواسية في زراعته والانتفاع بموسمه الذي كان يفوق أضعافاً كل ما تستغله من مواسمها. ولكثرة ما كانت تخرجه الأرض العاملية من أصنافه الجيدة كانت له سوق رائجة يوم حلول موسمه، وتجارة رابحة يتبادل منافعها العامليون، الزارع والتاجر والعامل والمصرف، لكن تضييق إدارة الاحتكار في أمر تصريفه

---

(٣٩) جريدة *جبل عامل*، الأعداد ٨، ٩، ١٠، ١٣، ١٥، ص ٥٨، ٦٦، ٧٤، ٩٧، ١١٥، سنة ١٩١٢م.

والإعراض عن ابتياعه بأثمان عادلة وإهمال الحكومة للنظر في أسباب رواجه في الخارج، كلّ ذلك أضعف ميل الفلاح العاملي إلى الاستمرار في زراعته.

التجارة والصناعة إن بيع المحصول الفائض من الإنتاج الزراعي والحيواني أو ما يُستغنى عنه في القرى ينتج عنه حركة تجارية، فقد كان الإقطاع مسيطراً على الأرض، لذلك كان المزارع يأخذ شيئاً من الإنتاج والباقي يعود ريعه لرجل الإقطاع. ولم تكن جميع قرى جبل عامل لتحفل بما تحفل به اليوم من محالٍّ تجارية تحوي ما يلزم القروي من مأكل وملبس وأدوات، فهذا كله كان يُبتاع من المدن القريبة. وقد دامت التجارة في جبل عامل على هذه الحال حتى أوائل القرن العشرين حيث توطّدت علاقة جبل عامل التجارية مع مدينة حيفا التي كان يعرفها العامليون أكثر مما يعرفون بيروت(٤٠). وكانت الليرة الفلسطينية متداولة في الأيدي أكثر من الليرة اللبنانية، وكانت فلسطين وثيقة الاتصال ليس بجبل عامل وحسب بل بالحياة الاقتصادية اللبنانية عامة. وحتى أواخر الثلاثينات ظلّت السوق الفلسطينية أحد أهم أسواق تصريف الإنتاج الصناعي اللبناني.

وفي جبل عامل قامت صناعات حرفية تعتمد أساساً السوق الفلسطينية كصناعة الأحذية في بنت جبيل والجلود في مشغرة، أمّا صناعة المنسوجات وغيرها فقد عُفي أثرها أو كاد لأن البضائع الأوروبية الرخيصة زاحمت البضائع الوطنية التي كانت، مع عدم صقلها وهندامها، غالية الثمن بالنسبة للبضائع الأجنبية لأنها تحتاج في عملها لوقت طويل لعدم توفر المعامل الحديثة، كما أن امتناع المواطنين عن شرائها أضعف همّة صانعيها، الأمر الذي دفع بعشرات الأنوال المنتجة للأقمشة والأثواب القطنية والحريرية المنتشرة في القرى العاملية للتوقف عن العمل والإنتاج، ممّا أجبر أصحابها من الكهول والشبان العاملين عليها على الانصراف والتحول نحو أعمال أخرى كأُجَراء، أو النزوح إلى المدن القريبة التي يتيسر فيها العمل، ومثالاً على ذلك بلدة شحور التي كان يوجد فيها، حتى عهد قريب، أكثر من مائة نول للحياكة تحوك الأقمشة القطنية على أنواعها. ولو تيسّر لهذا الجبل شركات وطنية تساعد وتشجع على الصناعة لازدهرت الصناعة والتجارة في آن واحد وانتعشت اقتصاديات البلاد. لكن معْمَلاً ضخْمَاً للسجّاد أنشيء في صيدا بفضل هِمَّة قائمقام صيدا سعيد بك عسيران عندما رأى أن عمران البلاد ونجاحها متوقف على إحياء الصناعة الوطنية وتنشيطها،

(٤٠) المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، *صفحات من تاريخ جبل عامل*، ص ١٣٩ - ١٤٠، سنة ١٩٧٩.

فعمل عندها بمساعدة ومساهمة بعض المواطنين على إنشاء هذا المعمل ليكون مورد رزق لكثير من البائسين، وقد اختار له هيئة تقوم بشؤونه مؤلفة من الشيخ أحمد عارف الزين، الشيخ أحمد رضا، والحاج إبراهيم غسيران.

جبل عامل في العهد العثماني ١٩٠٨ ـ ١٩١٨

منذ السنة التي دخلت فيها سوريا تحت الحكم العثماني (٩٢٣هـ ـ ١٥١٧م) وبنو عاملة يعيشون في جبالهم يحكمهم أُسَر إقطاعية حتى سنة ١٨٦٥م، وهي السنة التي توفي فيها زعيم جبل عامل علي بك الأسعد من آل علي الصغير. وكان قد بلغ من العز والصولة ما لم يبلغه زعيم قبله من زعماء الشيعة بعد الزعيم ناصيف النصّار، ويُعَدُّ عصره بحق عصر الشيعة الذهبي في جبل عامل، ساد فيه الأمن وزالت أهوال الحروب ممّا سمح بفترة استقرار سياسي اجتماعي اقتصادي، وانتعاش حركة ثقافية أدبية علمية، وسطوع أسماء لامعة في سماء جبل عامل.

وبوفاة علي بك الأسعد سنة ١٨٦٥م انتهت حياة جبل عامل السياسية وزال حكم زعامة الإقطاع المحلي في البلاد، وحكمها الأتراك حكماً مباشراً إلى أن انتهت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨. وقد كانت وفاة هذا الزعيم وتنحية زعماء الإقطاعات عن مناصبهم بمثابة ضربة أليمة للطائفة الشيعية، وفقدت الطائفة تلك العزة والمنعة وذلك الاستقلال الذاتي الذي تمتّعت به زمناً طويلاً. كان الأتراك أشداء في حكمهم، عملوا على تفتيت وحدة صفوف أبناء جبل عامل ووقفوا حجر عثرة في طريق انتقالهم من حياة البداوة إلى حياة التحضر، وقد أذْكوا نار الفتنة بين أبنائه ليتسنّى لهم السيطرة والحكم كما يشاؤون، كما اتّبعوا سياسة الإفقار، فقد أرهقوا الاقتصاد وزادوا الضرائب على الأراضي والإنتاج.

أمّا زراعة التبغ التي كانت مصدر رزق أبناء هذا الجبل فاحتكرته بعض الشركات الأجنبية. ولم يكن للحبوب أسواق رائجة خارج البلاد فتعطّلت الزراعة وكَثُر العاطلون عن العمل وانتشرت مع هذه العواملِ الظواهرُ الاجتماعية السلبية فامتدت أيدي اللصوص وقطّاع الطرق إلى مال الشعب البائس، فاختلّ الأمن وسادت الفوضى ووقعت البلاد في فقر شديد.

كذلك فالنظام العسكري الذي طُبِّق في جبل عامل سنة ١٢٦٠هـ بعد انهيار سلطة رجال

الإقطاع ساهم في إفساد الوضع ونشر الفساد وانتشار الفوضى بسبب سوء تطبيق نظام تأدية الخدمة العسكرية الإجبارية التي كانت تطبق على أبناء المسلمين فقط، ويُعفى منها أبناء جميع الطوائف الأخرى شرط أن يدفعوا ضريبة سنوية تسمى «العسكرية».

ومما زاد جبل عامل شقاءً وتعاسة اختلاف زعمائه في تلك الأوقات العصيبة على الخلافة، وكانت الحكومة التركية تشجّع هذا الخلاف[1] بما كانت تبثه من روح العداء بين أهله ووجهائه وزعمائه[2] وقد كانت هذه الخلافات من الأسباب التي أضرّت بالطائفة الشيعية، وفكّكَت عُرى اتحادها فأضعفت الفرقاء المتنازعين، وخلا الجو للحكومة فرسّخت قَدَمها وحكمت البلاد كما تشاء. ولم يكن لسلاطين بني عثمان عِلْمٌ بالإدارة وأساليب الحكم فانصرفوا في أوائل حكمهم للفتوحات وتوسيع أمبراطوريتهم الضخمة ثم احتجبوا في الدُورِ والقُصورِ وخَلَدُوا إلى اللّذة والنعيم، واكتفوا بجباية الأموال إلى خزائنهم كيفما تسنّى لهم. فكان سوء الإدارة الحميدية وما تركته في البلاد من آثار الجهل وسيئات الظلم والفساد الأخلاقي وكثرة قطّاع الطرق والخلل الإداري وفرض الضرائب واحتكار أفضل مورد من موارد الرزق كمحصول الدخان الذي كان يجد به الفلاح ما يعتاش منه، كلّ ذلك كان من الأسباب التي أوغرت صدر الشعب فكثُر سخطهم على الحكم وتذمّرهم منه[3].

موقف الأدباء العامليين من السياسة التركية عاش العرب والترك مدة أربعة قرون في ظلّ الخلافة العثمانية يوم كان للوازع الديني المقام الأول في تأسيس الدولة. فقد سرى في ذهن العرب أن في تأييد السلطان العثماني تأييداً للإسلام، وهو خادمه وناصره، وإعلاءً لشأن الشريعة وهو حاميها ومؤيدها. فالتفوا حوله وساروا تحت رايته وبايعوه سيداً وإماماً[4] ولم يقصّر بعض سلاطين بني عثمان في احترام العرب وإكرام ساداتهم وعلمائهم فأدْنوهم

---

(١) من الذين استغلوا هذا الخلاف وشجعوا عليه فؤاد باشا وزير الخارجية العثمانية، وكان قد قدم إلى سورية سنة ١٨٦٠م وقد أرسلته الدولة مندوباً لإصلاح شؤون سوريا إثر الحرب الأهلية التي شبّت بين الطوائف في لبنان ودمشق ووادي التيم وكذلك فعل من خلفه من رجال الدولة التركية.

(٢) كان الخلاف مستحكماً بين علي بك الأسعد وتامر بك، ثم بين أبناء علي بك الأسعد ثم بين خليل بك الأسعد وشبيب باشا. *مذكرات الشيخ سليمان ظاهر*، مخطوط غير منشور.

(٣) جريدة *جبل عامل*، عدد ٣٥، ص ٢٧٤.

(٤) الدكتور يوسف مزهر، *تاريخ لبنان العام*، الجزء الثاني، ص ٨٣٤ ـ ٨٣٥.

منهم وولّوهم المناصب فكان منهم الحكّام والقوّاد[٥] يعملون والترك في خدمة الدولة وتعزيز شأنها[٦].

وظل الحال سائراً على هذا المنوال إلى أن حدثت الثورة التركية في ٢٣ تموز ١٩٠٨، والتي قامت بها جمعية الاتحاد والترقي، وقد ضمّت فريقاً من الأحرار ومنهم فريق كبير من ضبّاط العرب كسليم بك الجزائري وعزيز بك المصري، عملوا جميعاً في الجمعيات السرية والأعمال الثورية التي أسقطت عبد الحميد وأعلنت الدستور في تركيا بعد أن دام حكمه ثلاثة وثلاثين سنة تفاقمت خلالها الأحوال وسادت الفوضى وساد الجور وتفاقم الظلم، وأصبح ولاة الأمر لا عمل لهم إلّا جمع المال والتمتع بالملاذ[٧]. وقد نال جبل عامل من الجور والظلم الشيء الكثير. ولشعرائه، على اختلاف طبقاتهم وأزماتهم، شعر وفير في وصف تلك الأيام المشؤومة وما أصاب البلاد من ظلم وجور، ومن اعتقل وأُوذي وسُجن ونُفي من أحرار البلاد، فهذه أبيات للعلامة الشيخ إبراهيم يحيى العاملي وكان ممّن فرّ من العلماء وسكن دمشق متستراً. ألمح فيها لهذه الحال فيقول:

مَنْ لي بِرَدِّ مواسمِ اللّذاتِ ... والعَيْشِ بَيْنَ فَتىً وبَينَ فَتاةِ
ورجوع أيامٍ مَضَيْنَ بعاملٍ ... بين الجِبالِ الشُمِّ والهضباتِ

(٥) انتعش جبل عامل في عهد مدحت باشا سنة ١٨٨٠م وتوطّد الأمن، وعطف على أبناء العشائر فقرّبهم إليه ومنح الوظائف لزعماء آل الصغير. فعيّن خليل بك الأسعد قائمقاماً لمرجعيون ونجيب بك الأسعد قائمقاماً على صهيون (لواء اللاذقية) وارتقى خليل بك في مناصب الدولة فبلغ درجة المتصرفية وعيّن لواء للبلقان، وقلّما كان يبلغ هذا المنصب موظف من أبناء العرب وبخاصة أبناء الشيعة كذلك انتعشت البلاد وساد الأمن في عهد حمدي باشا.

(٦) لم يشذ قادة جبل عامل عن الإجماع الإسلامي في التعاون مع القيادات العثمانية، يؤكد لنا ذلك ما ورد في جريدة *جبل عامل*، العدد ٣٧، ص ٢٩٢، ١٧ تشرين الأول سنة ١٩١٢ من مقال للحرّ العاملي ما يلي جاء فيه: «أيها العثمانيون عامة والعامليون خاصة هذا وقت التضامن، هذا وقت التحابب، هذا وقت التآخي فإن العدو على الأبواب فتعاونوا على نصرة دولتكم ولا تشمّتوا أعداءكم بكم، وكونوا أشداء على خصومكم وجاهدوا في سبيل الله». ورد هذا المقال في الجريدة بعد توقيفها عن الصدور مدة ٤٢ يوماً بتهمة أنها كانت تصدر مقالات وانتقادات تتعرض فيها للسلطة العثمانية وللوالي؛ (الحر العاملي اسم مستعار لصاحب الجريدة الشيخ أحمد عارف الزين، هذا ما أفادنا به ابنه نزار في مقابلة معه في ٧٩/١٢/١).

(٧) جورج أنطونيوس، *يقظة العرب*، ص ١٣٧.

إلى أن قال:

خطبٌ دعَاني للخُروجِ عن الحِمى ... فَخَرَجْتُ بَعْد تَلَوُّمٍ وأناةِ
وتَركْتُهُ خَوْفَ الهَوانِ ورُبّما ... تُرِكَ التّميزُ مَخافَةَ الهَلَكاتِ[8]

وهذا الشيخ علي مهدي شمس الدين يقول:

كُلّما نالَ عَامِلٌ منه فلساً ... ضمّه ظالِمٌ لداخل كيسه
واذا ما بَكى المَظالِمَ في السِّرِّ ... تَلَقّى الأنباء عن جاسوسه

ويقول في قصيدة أخرى:

كمْ فِتْيَةٍ ألْحَقوهَا في البلادِ وكَمْ ... مترٍ دعوا جسمه من غير أطمار[9]

وهذا الشاعر عباس البلاغي يتمثّل في أبياته هذه النقْمة الشعْبية المَكْبُوتة على مَظالِم الحُكّام والأتْراك والإقْطاع آنذاك فيقول:

طَغَتْ سُفَهاء عَامِل في البِلادِ ... وفيها أظْهَروا كُلّ الفَسادِ
لقد ظَلموا العِباد ولمْ يخافوا ... مِن الرحْمٰنِ في ظلمِ العِبادِ

بعد أن استلم الاتحاديون الحكم ظهرت للجمعية عدة فروع في جبل عامل وكان أنشطها فرع النبطية الذي تألف سنة ١٩٠٨. وانتظم في سلك الجمعية فريق من أهل العلم والأدب والوجاهة من النبطية وجوارها. وقد تألفت الهيئة المركزية من محمد جابر[10] والشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر، ثم أنشأ الفرع نادياً رحباً تُلْقى فيه المحاضرات الاجتماعية والخطَب الداعية للإصْلاح ونبْذ الشقاق، والإخلاص للدولة، وكان له أثر حميد في حلِّ كثير من المشاكل وتخفيف وطأة ذوي السلطة والنفوذ، يرمي بسياسته إلى اللين والسلام والمساواة بين العناصر بعيداً عن الاستبداد بالرأي[11].

حَسُنَت الحال في أوّل الأمر في جبل عامل وعلّق الناس آمالاً طيبة، خاصة أن العامليين كانوا قوماً لا يزالون على الفطرة ولم تنتشر في بلادهم أساليب الحضارة، ولا يهمهم إلّا سعادة الوطن وتأييد دولة الخلافة وتمكين روابط الجامعة الإسلامية، ووقاية دولة الإسلام

(٨) علي الزين، *أوراق أدبية*، ص ٢٥.

(٩) علي مروة، *روائع الأدب الفكاهي العاملي*، ص ٨ - ٩.

(١٠) محمد جابر، *تاريخ جبل عامل*، ص ١٨٣.

(١١) *المصدر نفسه*، ص ١٨٤.

من خطر دول الاستعمار، فظنّوا أن أمانيهم ستتحقق في العهد الاتحادي؛ غير أنها كانت آمالاً خائبة إذ لـم يـمضِ وقت وجيز حتى ظهر الاتحاديون بثوبهم الحقيقي وانكشفت سياستهم ذات الوجهين، الظاهر والباطن[١٢]. فتبدّلت الحال في جبل عامل كما تبدّلت في سائر الديار العربية، وانسحب العامليون من الجمعية الاتحادية وأقفلوا نواديها[١٣] وأبرق[١٤] فرع النبطية إلى المركز الرئيسي في سالونيك وإلى الآستانة وإلى مركز بيروت والصحف العربية باسم جبل عامل يعلن انسحاب العامليين من الجمعية. وكانت هذه البرقية إحدى الأسباب التي دعت زعماء الجمعية أن ينقموا على العامليين ويضمروا لهم الغدر حيث اعتقلوا فريقاً منهم من المشتغلين في القضية العربية في أوائل الحرب وساقوهم إلى المحاكمة.

إستعمل الاتحاديون منتهى القسوة والاستبداد في معاملة العرب وكانت أعمالهم في جبل عامل أعمال جور وعسف واضطهاد، فسجنوا من سجنوا ونفوا من نفوا، فمنهم الشيخ أحمد عارف الزين صاحب مجلة **العرفان** وعضو المجمع العلمي بدمشق، فقد اعتقلوه أكثر من

---

(١٢) فالظاهر هو إصلاح الدولة وإنقاذها من جور السلاطين وإعلان الحرية والمساواة بين القوميات والعناصر، والباطن تتريك العناصر غير التركية.

(١٣) ورد في جريدة *جبل عامل*، عدد ٤، ١٨ كانون الثاني سنة ١٩١٢، ص ٢٩، تحت عنوان «اقتراح مفيد» ما يلي: «بما أنّ نادي جمعية الاتحاد والترقي في صيدا أصبح اسماً بلا مسمى فلا يكاد يتردد عليه أحد ولم يبق على بابه سوى قطعة مكتوب عليها اسم الجمعية، نقترح على أعضاء النادي وسائر أهل الغيرة تحويله إلى منتدى علمي أو أدبي أو جعله نادياً لحزب الحرية والائتلاف، الذي علمنا بأن بروغرامه أنفع لنا من بروغرام حزب الاتحاد. وقد أصبحت الجمعية ممقوتة في جميع البلاد العربية، فبقاء النوادي باسمها لا يتفق مع مصلحة العرب».

يذكر هنا أن حزب الائتلاف من أشهر الأحزاب المعارضة لجمعية الاتحاد، كان يضم كثيراً من النواب العرب، رئيسه الأمير آلاي صادق بك ونائب الرئيس رضا بك الصلح.

(١٤) نص البرقية «استعفاء الاتحاديين في النبطية»: «لسعي الاتحاديين ضد القومية العربية المتفانية في عثمانيتها ولإهمالهم أمر المعارف في البلاد العربية عامة، ولتحققنا من استئثار بضعة اشخاص بأمور الجمعية على غير منفعة الوطن ولإصرار الحزب الاتحادي في المبعوثان على تعديل المادة ٣٥ من الدستور بما يجعل المشروطية في خطر عظيم، نحن البقية الباقية من جمعية الاتحاد والترقي نقدّم استعفاءنا وننسحب منها قاطعين كل علاقاتنا معها»؛ في ١٢ محرم ١٣٣٠هـ؛ محمد الحاج، علي سليمان ظاهر، محمد جابر، أحمد رضا، محمد ياسين، فايز الحسن، كامل الحسن، ومحمود الحسن الفضل؛ (جريدة *جبل عامل*، العدد ٣، ص ٢١، سنة ١٩١٢).

مرّة وأقاموا عليه الدعوى في المحاكم النظامية فخرج منها بريئاً، وحاكموه ثانياً في الديوان العرفي العسكري في بيروت وحكموا عليه بالسجن شهراً ونصف الشهر[١٥] كما أوقفوا جريدته *جبل عامل* عن الصدور طوال هذه المدّة[١٦] كما اعتقلوا المؤرخ محمد جابر وكادوا ينفونه إلى الأناضول[١٧]. وقد صبر العرب على مضض وأمل بعضهم أن تتبدل الأحوال ويعود الأتراك إلى رشدهم، وفي نفس الوقت لم تبدُر من العرب بادرة تنمُّ عن رغبة بالانفصال لأن عقيدة الانضواء تحت لواء الخلافة وتأييد الجامعة الإسلامية كانت راسخة في نفوسهم. غير أن فريقاً من أساطين العرب وذوي الرأي الأسمى منهم الذين خبروا الترك وذاقوا حُلْوهم ومرّهم ووقفوا على مناهجهم وأسرار سياستهم وما انطوت عليه من حقد نحو العرب، كانوا يرون أن الغرور واحتقار الأمة العربية أمور راسخة في نفوس الترك؛ ومع هذا بقيت الأكثرية من العرب والفئة المحافظة على التقاليد مخلصةً كل الإخلاص للسلطنة العثمانية لا سيما في أوائل الحرب العظمى[١٨].

موقف أدباء جبل عامل من الحكم الذاتي واللامركزية لقد أخفقت السياسة التركية الاتحادية في سوريا وبلاد العرب فكانت تلك الإخفاقات والضغوط التي تجاوزت الحدود سبباً لاشتعال الثورة العربية، وانضمام أبناء العرب من الجنود والضباط والأفراد إليها، بعد أن كانوا يحاربون مستبسلين في صفوف الترك. أمّا الأسباب والدواعي التي أدّت إلى ثورة العرب فهي يأسهم من الوفاق مع الأتراك بعد أن عاشوا واياهم زهاء ٤٠٠ سنة متخلّين فيها عن بعض حقوقهم، حرصاً على الجامعة الإسلامية واحتفاظاً بالخلافة، ومن هذه الأسباب:

• سياسة السلطان سليم الأول، المعروف بياوز، سنة ١٥١٦م[١٩] وتظاهره هو وبعض السلاطين من آل عثمان بخدمة الخلافة الإسلامية، فكان مع من خلفه نكبة على العرب

(١٥) مذكرات الشيخ أحمد رضا المخطوطة، وعن نزار نجل الشيخ أحمد عارف الزين في ١٩٧٩/١٢/١.

(١٦) جريدة *جبل عامل*، العدد ٢١، ص ١٦٧، ٧ حزيران ١٩١٢ (خرج وهو فخور بما لاقاه من تكريم وعناية رجال الحكومة البيروتية وخاصة من حازم بك والي الولاية) جريدة *جبل عامل*، عدد ٢٣، ص ١٨٤.

(١٧) محمد جابر، *تاريخ جبل عامل*، ص ١٦٨.

(١٨) جورج أنطونيوس، *يقظة العرب* ، ص ١٢٥ - ١٢٦.

(١٩) وهي السنة التي وقعت فيها سوريا ومصر وسائر الديار العربية في حوزة الترك.

فأزالوا استقلالهم وسلبوهم ملكهم وهدّموا مدنهم وعملوا للقضاء على ثقافتهم وإفقار بلدانهم من أهل العلم والصناعات فأكرهوهم على هجر بلدانهم.

• ظهور الاتحاديين سنة ١٩٠٨م بمبادئهم وتعاليمهم الرامية لتتريك العرب وخططهم التي تقضي على خنق كل حركة فكرية في البلاد، ثم إقدام جمال باشا على شنق أحرار العرب وتقتيلهم وتشريدهم، مما دعا الملك حسين أن يرفع علم الثورة ويطرد الأتراك من الأراضي الحجازية[٢٠].

ففي جبل عامل بدأت مقاومة السلطة التركية في عهد سليم الأول خاصة بعد الاضطهاد والأذى الذي لحق بالشيعة، فآلاف من الشيعة قتلوا في الأناضول وفي إيران لأنهم ينتمون إلى مذهب خصمه الشاه إسماعيل الصفوي، مذهب الشيعة الإمامية. وإن هذا الجبل، على ضيق رقعته وقلّة سكانه، قاوم الأتراك خاصة أحمد باشا. وجرت بينه وبينهم معارك قوية، وبالرغم من الخسارة التي مُنُوا فيها بموت زعيمهم ناصيف النصّار، غير أن قواته التي تألفت على شكل عصابات ظلّت تهاجم الجزار وتلاحق عملاءه في تبنين وهونين وشحور حتى اضطر سليمان باشا خليفة الجزار أن يطلب من الأمير بشير الشهابي الثاني وساطته لتسكين الثوار وتهدئة الحال، فعقد معهم محالفة عكار، وإصدار الأمان لعودة الفارين من الأسر الثلاث الحاكمة في البلاد، آل صعب، وآل منكر، وآل الصغير، والتعويض عليهم عمّا صادره الجزار من أملاكهم.

كذلك، وافق على إعطاء الحكم الذاتي لجبل عامل، وهو الأمر الذي حُرِمَ منه هذا الجبل طيلة حكم الجزار. وظلّت هذه المعاهدة قائمة حتى ولاية عبداللّه باشا الذي خلف سليمان باشا في عكا. وفي عام ١٨٢١م عقد عبد الله باشا مع مشايخ جبل عامل اتفاقاً جديداً أعاد إليهم بموجبه حكم بلادهم كما كان في السابق، وظل الاتفاق قائماً بين عبد الله باشا وجبل عامل حتى عام ١٨٣٢م. في هذا العام احتل إبراهيم باشا المصري بلاد الشام فدخل جبل عامل في الحكم المصري الذي ألحقه بالإمارة الشهابية، وكان قد تولّاها الأمير بشير الثاني سنة ١٧٩٠م؛ فكان إلحاقه بهذه الإمارة أحد أهم أسباب اشتراك العامليين بالثورة التي قامت فيما بعد في بلاد الشام على المصريين والشهابيين معاً، ذلك النزاع القديم الذي كان قائماً بين العامليين والشهابيين بسبب سوء

---

(٢٠) يوسف مزهر، **تاريخ لبنان العام**، الجزء الأول، ص ٢٥٨.

سياسة العمال المصريين الذين أقصوا الزعماء وضمّوا بلاد الشيعة كلها لجبل لبنان تحت حكم الأمير بشير الشهابي، وسوء الأثر الذي تركه هذا الأمير واحتقاره للعلماء وأهل الوجاهة. ولأول مرّة تنضم قوى الشيعة لقوى الأتراك في محاربة المصريين وإجلائهم عن البلاد. فاستقرّ الحكم عندها للعثمانيين. وفي عام ١٨٦٥م حكمت الدولة العثمانية حكماً مباشراً وانتهت بذلك حياة جبل عامل السياسية وزال الحكم الإقطاعي المحلي في البلاد.

تجدر الإشارة هنا إلى أن وجهاء وعلماء جبل عامل اشتركوا في أكثر المؤتمرات الوطنية السرّية الرامية إلى مقاومة السلطنة العثمانية. ففي سنة ١٨٧٧ قام عدد من وجهاء بيروت وصيدا ودمشق، بالتعاون مع علماء من الطائفة الشيعية في جبل عامل، بعدد من الاتصالات والاجتماعات للبحث في مصير البلاد الشامية. يقول عادل الصلح: «كان وضع الدولة المضطرب والوعي القومي النامي في سوريا حافزين أهابا بأهل البلاد ليتداولوا في ما يجب عمله لتجنيب وطنهم المصير السيّىء ومن أفجع صوره وقوع احتلال أجنبي»[٢١]. كانت بيروت مهد الفكرة والمبادر لها الوجيه البيروتي أحمد الصلح، وقد باشر هذا الأخير بإجراء اتصالات سرّية في بيروت ثم في صيدا وجبل عامل. وتتردّد في إطار الاتصالات الأسماء التالية: الحاج إبراهيم آغا الجوهري (وجيه صيداوي) السيد محمد الأمين والشيخ علي الحر (من علماء الطائفة الشيعية) الأستاذ الشيخ عباس الأزهري، الحاج حسين بيهم. وأسفرت الاتصالات الأولى والنقاشات الأولية عن تشكيل وفد للتباحث مع زعماء دمشق وعلى رأسهم الأمير عبد القادر الجزائري. كذلك أرسلت رسل ووفود إلى حماة وحمص وحلب واللاذقية وحوران وتمّ الاتفاق على إجراء اجتماعات سرّية في بيروت لوضع الخطط اللازمة، ثم انتقل المجتمعون إلى دمشق لإكمال البحث والمداولة في دار السيد حسن تقي الدين الحصني، وانتهت هذه الاجتماعات بعدد من المقررات:

«• إختيار الأمير عبد القادر ليكون رأس هذه الحركة.

• الاعتراف بالخلافة العثمانية أي أن يبقى الخليفة العثماني خليفة للمسلمين.

• بالنسبة لماهية الاستقلال المنشودة اتفق المؤتمرون على إقرار مبدأ السعي لتحقيق

---

(٢١) عادل الصلح، سطور من الرسالة، تاريخ حركة استقلالية قامت في المشرق العربي ١٨٧٧م، بيروت ١٩٦٦، ص ٩٢.

استقلال بلاد الشام وتأجيل البت في مدى هذا الاستقلال، إلى انتهاء الحرب الروسية ـ العثمانية وانجلاء وضع الدولة ومصيرها»[٢٢].

كان من نتيجة هذا الاجتماع أن قامت السلطات العثمانية بفرض إقامة جبرية على زعماء الحركة في مناطق نائية، ونفت إلى خارج البلاد بعضاً منهم وأخذت تحت الرقابة الشديدة الأشخاص الذين أيّدوا الحركة، ثم منعت هذه السلطات الاختلاط بين الأمير الجزائري وأحمد الصلح، كما نفت السيد محمد الأمين أحد أركان الحركة إلى طرابلس[٢٣]. وعندما أصبح مدحت باشا والياً على سوريا (١٨٧٩ ـ ١٨٨٠) فكّر أن يستأثر بالحكم ويكوّن منها إمارة عربية يرئسها. فأخذ يبثّ بين مفكري العرب وذوي الرأي منهم فكرة الاستقلال والانفصال عن السلطنة العثمانية. وقرّب إليه من زعماء جبل عامل، خليل بك الأسعد ونجيب بك الأسعد وغيرهما من الأعيان، فأولاهما الوظائف والرتب وعمل هؤلاء على بث فكرة الانفصال عند العامليين وإعداد معدّات الانقلاب. وقد أصبح الناس ذات يوم وقد ألصق على جدران المعابد والساحات الكبرى في المدن السورية القصيدة السينية التي مطلعها:

دع مجلس الغيد الأوانس وهوى لواحظها النواعس

والقصيدة كلها تحريض للعرب على الترك والتخلص من حكمهم الجائر، لكن خطته لم تنجح فقضى عليه السلطان.

وفي فترة حكم عبد الحميد سكنت الحركة العربية على مضض وكثر الظلم والاستبداد حتى تمّ خلعه سنة ١٩٠٩م وقبض الاتحاديون على زمام الدولة، فتألفت الجمعيات السرّية والمؤتمرات العربية لمتابعة السير في طريق القضية العربية. وأصبح عندئذٍ نشر أفكار العرب القومية يتم في ميدانين، علني مجاله النوادي والجمعيات المعترف بها رسمياً، وميدان سرّي تعمل فيه المنظمات السرّية المتآمرة في الخفاء، وقد أنشىء عدد من هذه الجمعيات ومارست أعمالها بين ١٩٠٩ ـ ١٩١٤ أهمها اثنتان علنيتان واثنتان سرّيتان، أمّا الجمعيتان العلنيتان فهما: المنتدى الأدبي وهي أقْدَمها تأسيساً، أنشأها جماعة من الموظفين والنواب والأدباء والطلاب[٢٤] في القسطنطينية سنة ١٩٠٩ لتكون مقراً يلتقي فيه العرب من جميع

---

(٢٢) المصدر نفسه، ص ١٠٠.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ١٢٦.

(٢٤) كان من لبنان في هذه الجمعية عبد الكريم الخليل الذي أعدم على يد الأتراك.

الأنحاء. أما الجمعية العلنية الثانية فقد أنشئت في القاهرة سنة ١٩١٢ باسم حزب اللامركزية الادارية العثمانية كان هدفها تأييد اللامركزية.

أمّا الجمعيتان السرّيتان فهما: القحطانية التي أنشئت عام ١٩٠٩ بعد إنشاء المنتدى الأدبي، وكان هدفها تحقيق مشروع جديد جريء وهو أن تؤلف الولايات العربية مملكة واحدة لها برلمانها وحكومتها المحلّية، وتكون اللغة العربية لغة معاهدها ومؤسّساتها، على أن تصبح هذه المملكة جزءاً من أمبراطورية تركية - عربية. والجمعية السرّية الأخرى هي جمعية الفتاة العربية التي تأسست في باريس سنة ١٩١١ وكان لها أثر فعّال في تاريخ الحركة القومية، تولّى تأسيسها سبعة من الشبان العرب جميعهم مسلمون، كانت أهدافها السعي لاستقلال البلاد العربية وتحريرها من السيطرة التركية أو أية سيطرة أجنبية أخرى[٢٥].

ولما رأى كبار المفكرين من رجال العرب أن الدولة التركية خرجت من حرب البلقان سنة ١٩١٢ مخذولة واهية القوى، وأن الاتحاديين، بعد أن فشلت خطتهم بتتريك العناصر غير التركية، استمروا في التدمير وتمادوا بالغرور ولم يعيروا آذاناً صاغية لمطالب العرب المطالبة بالإصلاح، خاف العرب أن تصبح بلادهم لقمة للأجانب فأخذوا يجمعون صفوفهم ويُوحّدون كلمتهم ويبحثون في مصيرهم، فاجتمعت الجالية العربية في باريس واختارت لجنة أصدرت بياناً دعت فيه عقلاء العرب في مختلف البلدان التابعة للدولة العثمانية إلى عقد مؤتمر في باريس للبحث في حقوق العرب في الأمبراطورية العثمانية، وطلب الإصلاح على قاعدة اللامركزية. وفي ١٨ حزيران سنة ١٩١٣م عُقِدَ المؤتمر في قاعة الجمعية الجغرافية في شارع سان جرمين في باريس[٢٦] حضره مندوبون عن الجمعية اللامركزية في مصر وجمعية الإصلاح في بيروت والجالية العربية في الآستانة، والجالية العربية في باريس، كما حضره مندوبون من أميركا الشمالية والجنوبية. وقد عمل الاتحاديون على إخفاق هذا المؤتمر، لكنّ مساعيهم باءت بالفشل ولم تُجِب الحكومة الفرنسية طلبهم بمنع الاجتماع، فلجأ الترك إلى اللين بعد تلك الشدّة وأرسلت جمعية الاتحاد والترقي مندوبها مدحت شكري إلى باريس، فوقّع اتفاقاً مع المؤتمرين بقبول مطالبهم وصدّقت عليه جمعية الاتحاد ووقّعه باسمها طلعت باشا السكرتير العام للجمعية، وعبد الكريم الخليل باسم الأحزاب العربية. وتبودلت الولائم بين الجمعية الاتحادية والشبيبة العربية، وكَثُرت الخطب

(٢٥) جورج أنطونيوس، *يقظة العرب*، ص ١٨٤ - ١٨٧.

(٢٦) *المؤتمر العربي الأول*، صدر عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر، ص ٢٥.

والمجاملات وتكلّم فيها طلعت باشا باسم الاتحاديين وعبد الكريم الخليل وسليمان البستاني باسم العرب.

توالت برقيات التأييد لهذا المؤتمر وكان من ضمنها برقية الشيخ أحمد عارف الزين باسم جبل عامل[٢٧] الذي شارك بأكثر المؤتمرات والاجتماعات القومية العربية. هذا نص البرقية: «حضرات الأخوان الأفاضل المجاهدين أعضاء لجنة المؤتمر العربي، إن بلاداً كبلادنا ووطناً كوطننا وأمّة كأمتنا ضرب الجهل فينا وحرق الظلم منّا الأخضر واليابس لهي جديرة بكل إصلاح، وحريّة بالسعي وراء الرقي والنجاح خصوصاً داخلية البلاد وبواديها التي وصلت إلى حالة لا يمكن أن نصورها. لذلك نحبّذ ما قمتم به أتمّ تحبيذ ونناصركم في مشروعكم بما نستطيع، لأن حركتكم المباركة ترمي إلى حفظ استقلال البلاد تحت العلم العثماني، وها نحن نمدّ إليكم يد المصافحة آسفين لعدم استطاعتنا حضور مؤتمركم بالذات راجين لكم كل نجاح، منتظرين ما يلزم من الخدمة»، (صيدا، ٢٧ أيار ١٩١٣، أحمد عارف الزين).

وعندما ثارت العناصر غير التركية الخاضعة للسلطنة العثمانية على جمعية الاتحاد والترقي لما تحققوه من سوء نيات رجالها، كان العامليون أول من انسحب من جمعياتهم[٢٨] الذين كوّنوا شبه جمعية سياسية وراحوا ينظمون القصائد والمقطوعات في مظالم الترك ويبثّون بين الشعب العاملي فكرة الانتفاض على الحكومة ومناوأتها والمطالبة بإصلاح جبل عامل وإعطائه الحكم الذاتي على طريق اللامركزية.

فهذه أبيات من قصيدة نظمها محمد جابر في وصف حالة البلاد وما وصلت إليه من الضيق:

أُنادِيكُم وهَل مِنكُم مُجيب ... ولكِن لا حياةَ لِمَن يُنادَى
بَكيتُ دَماً على الأوْطانِ لمّا ... رَأيتُ الجَور فيها قدْ تَمادى
وهذي نارُ عَسْفِ التُّرْكِ حَاقَتْ ... بِنا طُرّاً فأضْبَحْنا رَمادا[٢٩]

كما أن الشيخ أحمد عارف الزين كتب في جريدته **جبل عامل** مقالات تعرّض فيها

---

(٢٧) *المصدر نفسه*، ص ١٦٣.

(٢٨) جريدة *جبل عامل*، العدد ٣، ص ٢١.

(٢٩) محمد جابر، *تاريخ جبل عامل*، ص ٢١١.

للسلطنة العثمانية وللوالي، وقد جاء في أحدها: «إن السياسة التي يُساس فيها جبل عامل هي من نوع السياسة التي تُساس فيها البلاد العثمانية المنحطّة في سائر حالاتها العلمية والاجتماعية». ومنها: «كانت حماستنا يوم أعلن الدستور قويّة جداً وقد تأملنا خيراً وانتظرنا استتباب الأمن والعدل إلى أن مضى زمن قصير لم يحسن فيه القابضون على زمام الأمر عملهم بل تخبّطوا في جهلهم بالإدارة فانتكست الحالة ورجعنا إلى الوراء بعد ما خطونا إلى الأمام»(٣٠). وبسبب هذه المقالات وكثير غيرها توقفت جريدته عن الصدور ٤٥ يوماً وسجن طوال هذه الفترة(٣١).

إغتنم الأحرار من العرب فرصة النفور من الحكومة وانشغالها في الحرب فنشطوا للعمل وإيقاظ الحركة العربية في سوريا، فأوفدوا في ١٨ تشرين الأول ١٩١٤ إلى جبل عامل عبد الكريم الخليل رئيس المنتدى الأدبي في الآستانة مندوباً لجمعية الثورة التي اتحدت مع جمعية اللامركزية، وتألف فرع هذه الجمعية في النبطية من الشيخ أحمد رضا، والشيخ سليمان ظاهر، ومحمد جابر، في ٢٦ تشرين الأول ١٩١٤. وبوشاية بعض العامليين وصل أمر الجمعية إلى الوالي التركي(٣٢).

وبعد نقل التحقيقات الجارية في بيروت إلى ديوان عاليه في أول حزيران سنة ١٩١٥ اسْتُدْعِيَ للديوان من جبل عامل الشيخ سليمان ظاهر، ومحمد جابر، وأحمد عارف الزين، والشيخ بهاء الدين الزين، والشيخ عبد الكريم الزين، ومحمد الحاج علي، والشيخ أحمد

---

(٣٠) جريدة *جبل عامل*، العدد ٣ ص ٢٠.

(٣١) *المصدر نفسه*، العدد ٢٠، ص ١، ٣ حزيران سنة ١٩١٢. كذلك عن ابنه نزار الزين في مقابلة أجريتها معه في ٧٩/١١/٢٨.

(٣٢) وصل أمر الجمعية إلى جمال باشا، وكان في القدس، ببرقية أرسلها إليه كامل الأسعد وكان قد نقل إليه الخبر عبداللّه عسيران. وكان الأسعد على خصام مع آل الصلح رضا وولده رياض، بسبب خلاف على الزعامة. ويقول الشيخ أحمد رضا في مذكراته غير المنشورة ما يلي: «الذي يسترعي النظر أن عبداللّه عسيران نقل هذا الخبر وهو غير عالم بهذه النتائج الوخيمة بل كان مدفوعاً بالحزبية غير ناظر إلى العواقب، بدليل أننا عندما استدعينا إلى سجن عاليه مررنا في صيدا فرأيناه مضطرباً جداً، وأما كامل بك فقد أراد الديوان العرفي استدعاءه للشهادة فأبى واتخذ سبيلاً للخلاص منها، وكذلك عبد الله عسيران. ولم يكن يقصد كامل الأسعد بما نقله لجمال باشا مناوأة الفكرة العربية والتزلف للترك، وهو العربي الصميم الشديد التمسك بقوميته العربية وقد خدم القضية بماله وجاهه خدمات جليلة»، *مذكرات الشيخ احمد رضا*، غير منشورة، الورقات ٥ ـ ١١.

رضا، والحاج إسماعيل الخليل، وراشد بك عسيران، والحاج منير وعبد الكريم الخليل، كما استُدعي رضا الصلح وولده رياض[٣٣] وقد كان كاتب المجلس العرفي وهو من بيت عبد العال يتشفع بهم لأنهم من علماء وأدباء البلاد، وقال للمسؤولين: «إنهم اذا أُعدموا فإن اضطرابات كبيرة ستحدث في البلاد». وألقى الشيخ أحمد رضا دفاعاً قيّماً في المجلس العرفي[٣٤]. وبعد ثلاثة أيام خرج من السجن الشيخ أحمد عارف الزين وراشد بك عسيران والحاج منير الخليل ليكونوا شهوداً. واتهم الباقون بالمادة ٥٨ من قانون الجزاء العثماني[٣٥]. وبقي المسجونون ثلاثة وخمسين يوماً في سجون عاليه. وقد أظهر الشهود الشيخ أحمد عارف الزين وراشد عسيران وطنية صادقة شكرهم عليها المتّهمون[٣٦]. كما سعى الأمير شكيب أرسلان والأمير أمين مصطفى أرسلان ورئيس المجمع العلمي العربي بدمشق محمد كرد علي لخلاص المتهمين والإفراج عنهم[٣٧]؛ ولمّا لم تتوفر الأدلة الثابتة للحكم على المتهمين أُطلق سبيلهم في ٢٨ تموز ١٩١٥ ما عدا رضا وولده رياض بك الصلح وبهاء الدين الزين فقد نُفوا إلى خارج البلاد. وأمّا عبد الكريم الخليل فقد أعدم في أواخر تموز سنة ١٩١٥[٣٨]. وبعد هذه الحادثة مرّ جمال باشا في النبطية متوجهاً إلى الطّيْبة تلبية لدعوة كامل بك الأسعد يصحبه محمد كرد علي والأمير شكيب أرسلان وغيرهم من أعيان البلاد، وعند وجودهم في بيت آل الفضل في النبطية، وبناء على طلب المشتركين في الاستقبال، وخوفاً من بطش جمال باشا ألقى كل من الشيخين أحمد رضا وسليمان ظاهر كلمة ترحيب أشاد بها بالسلطنة العلِيَّة، وبالمناسبة قدم لكل منهما هدية رمزية وهي عبارة عن ساعة يد لا يزال الدكتور نزار نجل الشيخ أحمد رضا يحتفظ بها وهي من الآستانة. وبعدها رافقاه إلى الطيبة بناء لطلبه لتناول الغداء إلى مائدة كامل بك الأسعد[٣٩].

---

(٣٣) *المصدر نفسه*، ص ٤.

(٣٤) عن نجله نزار، فقد مع الأوراق التي أحرقت بحوادث لبنان سنة ١٩٧٦.

(٣٥) المادة ٥٨ من قانون الجزاء تنص على إعدام أو نفي مؤبد.

(٣٦) *مذكرات الشيخ احمد رضا*، غير منشورة ص ٤.

(٣٧) *مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق*، مجلد ٨، ص ٤٢٧، سنة ١٩٤٨.

(٣٨) *مذكرات الشيخ احمد رضا*، غير منشورة.

(٣٩) عن نجل الشيخ أحمد رضا الدكتور نزار في ١٩٧٩/١٢/١.

جبل عامل والحكومة العربية بعد الاضطهاد الذي عانته سوريا والتعذيب الذي لاقاه الوطنيون العرب على يد جمال باشا، أعلن الشريف حسين بن علي الثورة في الحجاز، كما أعلن استقلال جميع الدول العربية، وقد أرسل عبر الولايات المتحدة الأميركية إلى الترك الإنذار التالي: «إذا مُسّ أو عُذّب أحد من السجناء العرب في تركيا، فإن السجناء الترك في الحجاز سيلاقون نفس المصير»[٤٠].

بعد هذا الإنذار من الشريف حسين أطلق الأتراك سراح جميع السجناء في تركيا، ممّا جعل جميع أبناء العرب يلتفون حوله معلقين عليه آمالهم، باعتباره المنقذ الوحيد لهم.

وفي ٢٨ أيلول ١٩١٨ عندما أُذيع نبأ هروب الترك من سوريا، أبرق الأمير سعيد الجزائري إلى محمد بك الفضل في النبطية يخبره بالأمر ويعلمه بتأليف حكومة عربية في دمشق في أوائل تشرين الأول ١٩١٨م، موكلاً إليه أمر الإدارة في النبطية والمناطق المحيطة بها، على أن تكون جميعها خاضعة لسلطة الحكومة الجديدة[٤١]. وهنا نص البرقية: «بناء على انسحاب الحكومة التركية قد تأسست الحكومة العربية الهاشمية على دعائم الشرق. طمّنوا العموم، وعليكم أن تعلنوا الحكومة باسم الحكومة العربية» (الأمير سعيد رئيس الحكومة العربية، ٢٤ ذي الحجة ١٣٢٦هـ)[٤٢].

وكان قبل ذلك بعدّة أيام، وفي الثلاثين من أيلول، قد وردت برقية مشابهة من الأمير سعيد إلى عمر الداعوق في بيروت يعلمه فيها أن حكومة عربية هاشمية قد تأسست في دمشق بعد انسحاب الأتراك، طالباً إليه أن يشكل إدارة عربية في بيروت باسم تلك الحكومة الهاشمية التي تأسست في دمشق[٤٣]. كما تشكلت حكومات أخرى في باقي البلاد. ففي صيدا انتخب الأعيان لرئاسة الحكومة رياض بك الصلح وتشكلت حكومة صور برئاسة الحاج عبدالله يحيى الخليل، لكن التصارع السياسي بين زعماء جبل عامل لم يكن ليهدأ بعد. إذ إن كامل الأسعد الذي كان يعتبر نفسه الزعيم الأوحد في جبل عامل لم يَرُقْ له وجود رياض الصلح على رأس حكومة صيدا، فانصرفت همته لرفع سلطة الصلح عن جبل عامل؛ ويقول محمد جابر: «في ٥ تشرين الأول سنة ١٩١٨ قدم إلى النبطية كامل بك

(٤٠) محمد كرد علي، *خطط الشام*، م ٣، ص ١٤٢.

(٤١) يوسف الحكيم، *بيروت ولبنان في عهد آل عثمان*، ص ٢٩١.

(٤٢) محمد جابر، *تاريخ جبل عامل*، ص ٢٢١

(٤٣) زين نور الدين، *الصراع الدولي في الشرق الأوسط*، المجلّد الثاني، ص ٧٨.

الأسعد يصحبه السيد إيليا خوري مندوب الأمير فيصل(٤٤)، تخفق أمامه الراية العربية المربعة الألوان التي رفعت لأول مرّة في ربوع جبل عامل ورُكِّزت في أعلى دار آل الفضل. وعقد في النبطية بدعوة من كامل بك اجتماع حافل بالعلماء والأعيان كان الغرض منه إسقاط حكومة رياض بك»(٤٥). لكن وقوف عقلاء ونبلاء جبل عامل كالشيخ سليمان ظاهر والشيخ أحمد رضا والشيخ أحمد عارف الزين ومحمد جابر إلى جانب رياض الصلح وتأييده أحبطت مساعي الأسعد(٤٦).

وممّا يجدر ذكره أن هؤلاء الأدباء العامليين كانوا يعملون دائماً، إلى جانب دورهم الأدبي، على توحيد الكلمة والعمل في خدمة المصلحة العامة.

لكن حكومة صيدا لم تُعمِّر طويلاً إذ إن السلطات الفرنسية استغلّت هذه الخلافات، فأوعز الحاكم العسكري في صيدا إلى رياض الصلح أن يقدم استقالته، فرضخ لأمره وقدّمها في ٢٩ تشرين الأول، وانفرد الحاكم العسكري بأعمال الحكومة. لكن الموقف المؤيّد للحكومة العربية الذي وقفه أكثرية سكان جبل عامل كان يقابله موقف المسيحيين في هذا الجبل. إذ إن المسيحيين، وهم نسبة قليلة من سكان جبل عامل، كان لهم موقف واضح من الحكومة العربية وهو امتداد لموقف المسيحيين في جبل لبنان، وهذا الموقف كان ناتجاً عن ارتباطاتهم التاريخية بالفرنسيين وخاصة بمؤسساتهم الثقافية، كما أن الشعور الطائفي كان محركاً أساسياً للجهلة من الناس. وبدأوا يطالبون بوجود كيان منفصل عن المنطقة العربية يضمن حقوق الأقلية المسيحية ضمن الأكثرية الإسلامية، وعلى هذا الهدف

---

(٤٤) الأمير فيصل هو ابن الشريف حسين وقائد الجيش العربي. قال الأمير شكيب أرسلان: «كان فيصل في الحقيقة فذاً لا ينجب مثله العرب في الأعصر والحقب». «انعقد الاجماع على نبوغ هذا الرجل في السياسة والكياسة وكرم الخلق حتى لم ينكر ذلك أعداؤه وأعداء أمته الذين يعترفون له في جرائدهم بأنه كان أعظم شخصية في الشرق»؛ (مجلة *العروبة*، لصاحبها محمد علي الحوماني، عدد ٥، ص ٧٥، سنة ١٩٧٤).

وقال الشيخ أحمد رضا: «إن فيصلاً لصفوة بني هاشم، وهاشم سادة العرب، فيصل عين العرب الباصرة وشجاعهم وقائدهم العظيم، فيصل العذب الزلال إذا سالم، والشجاع المقدام إذا حارب، والحكيم المجرّب إذا ساس. عظم فيصل في الشرق والغرب حتى في نفوس من كان سدّاً في وجوههم وأطماعهم. عمل لاتحاد الأمة ولا قوة للأمة إلّا باتحادها»؛ (مجلة *العروبة*، ص ٧٣).

(٤٥) محمد جابر، *تاريخ جبل عامل*، ص ٢٢٣.

(٤٦) قدري قلعجي، *جيل الفداء ـ قصة الثورة العربية الكبرى ونهضة العرب*، بيروت، دار الكاتب، ص ٢٨٣.

تمحورت مطالبهم التي حملتها الوفود إلى فرنسا والتي كانت تطالب باستقلال تحميه فرنسا أو تُنتَدب عليه، وهنا بدأ صراع علني ومكشوف في جبل عامل. فالمسيحيون يؤيّدون فرنسا في كل مواقفها، والمسلمون يؤيّدون الوحدة السورية، ولهم ممارسات ومواقف واضحة تظهر ذلك، تجلّت في المؤتمر السوري الذي انعقد في ٢ تموز سنة ١٩١٩م عندما وقف ممثل جبل عامل، الشيخ عبد الحسين صادق، خطيباً ووجّه كلامه إلى الملك فيصل قائلاً: «إنني باسم جبل عامل أبايعك على الموت»(٤٧). كما تجلّت أيضاً في ممارسات عملية ومؤتمرات عربية وقصائد شعرية.

الحياة العلمية والأدبية في ظل الحكم العثماني إن عصر العلم الذهبي في جبل عامل هو عصر الشهيد الأول، صاحب كتاب **أمل الآمل**، وما يليه، وعصر الشهيد الثاني وما سبقه وتأخر عنه. وما زال للنهضة العلمية فيه أثر مجيد بعد عصر الشهيد الأول، وتمتدّ حتى أواخر القرن الثاني عشر الهجري.

ومن ثم أخذ يتراجع، ويستند تراجعه إلى السياسة الظالمة التي كان بها يساس وللحكومات الإقطاعية التي كانت ترهقه ذلاً، شأنه شأن البلاد السورية التي كانت تساس بهذا النوع من الحكم أيام كانت الفوضى ضاربة بالقطر السوري، وحكّامه يضربون السكان بعضهم ببعض عملاً بمبدأ فرّق تسد فالحياة العلمية والأدبية تعمر وتزدهر حيث يستتب الأمن. فسوريا عامة، وجبل عامل خاصة، لم تكن على شيء من ذلك، إذ صدّتها عوامل السياسة بعد حروب الجزار سنة ١٧٨٠م عن سيرها، فانهار بنيانها وتداعت أركانها. وكانت البلاد تتراوح فيها بين مطامع الحكام واشتعال الثورات الأهلية التي كان يضرمها بينها الحكام والطغاة(٤٨). أضف إلى ذلك ما جلبه أحمد باشا على جبل عامل من مآسٍ ومصادرته علماءه، وتشريده من شرّد منهم وما سلب من كتبهم إلّا ما ندر من الكتب التي سلمت من النهب وتعدّت جبل عامل في عصرها إلى غيره من البلدان كـ**اللمعة** و**المدارك** و**المكاسب** و**الوسائل** و**أدب المفيد والمستفيد** و**أمل الآمل** و**الكشكول** و**المضلاة**، وما إلى ذلك من نفائس علمية وأدبية لا تزال إلى يومنا هذا تُعتبر من أوثق

---

(٤٧) جريدة **جبل عامل**، العدد الأول، ص ٣، ٢٨ كانون الأول سنة ١٩١١.

(٤٨) إن حاكماً لبنانياً من الحكام الإقطاعيين استصدر فتوى من بعض العلماء بوجوب محاربة جريدة **جبل عامل**، ع١، ص ٣.

المصادر وأعذب الموارد لطلّاب العلم والأدب في مدارس الشيعة وفي سائر معاهدها العلمية على اختلاف اللغات وتنوع الأمصار والبلدان. فانتزع الجزار منه العلم وخبا نوره وانقطعت سلسلة التدريس بعد أن تبوأت منزلة رفيعة وأحرزت شهرة واسعة رفعت اسم جبل عامل عالياً في سائر أقطار الشيعة، من الهند إلى إيران إلى غيرها من بلدان الشيعة.

المدارس لمّا انتهت حياة الجزار (١٢١٩هـ ١٨٠٤م) وُلِّيَ أمر جبل عامل نفر من أهله لهم ضلع من المعرفة[٤٩] رأوا ما أصابهم من تشتيت وبلاء، وما حاق بهم من ضعف وفقر، وما مُنُوا به من فَقْدِ علمائهم وأدبائهم وقادتهم نفياً وتشريداً، ومن اندثار مكاتبهم وتلاشي آثارهم حرقاً ونهباً، وراعهم خطر الموقف فهبّوا جميعاً يعملون على توحيد الشمل وإحياء ما سلف من عهود علمية. وكان لهذا الاتجاه صَداهُ فيما بعد وأثره في تأسيس مدارس اكتظت بطلاب العلم والمعرفة. ولم يَخْلُ جبل عامل، منذ القرن السابع الهجري حتى أيامنا هذه[٥٠] في أي عهد من عهوده السابقة، من المدارس إلّا في بعض الفترات التي ساءت فيها الإدارة وانتشرت الفوضى وعمّ البلاد الفقر. من أهم هذه المدارس:

مدرسة الكوثرية قامت هذه المدرسة في فترة يسودها الهدوء والاطمئنان بعد نهاية الجزار الذي أقلق جبل عامل وقضى على وجوهه السياسية والعلمية، إذ نشهد بعد هذه

---

(٤٩) فالزعيم علي بك الأسعد المتوفى سنة ١٨٦٥م كان شاعراً وهو صاحب القصيدة العينية التي شرحها العلّامة اللغوي الشيخ علي سبيتي في كتاب أسماه *الجوهر المجرّد في شرح قصيدة علي بك الأسعد*، وأولها:

خليليّ ما هذا الجفا والتقاطع ... وماذا التنائي والدموع هوامع

وكذلك الزعيم حمد بك المتوفى سنة١٨٥٢م له أيضاً قصائد وشعر رائق، أشهر قصائده السالفية وهي قصيدة طويلة امتدح بها السلطان عبد المجيد أولها:

تورّد خد الظبي وآخضرّ سالفه ... له الخال قد أضحى سميراً يسالفه

وكان الزعيم نجيب بك الأسعد المتوفى سنة ١٨٨٤م نجل علي بك الأسعد أديباً عارفاً بأخبار العرب ينظم الشعر وله مقطوعات وشعر رائق، وكان أيضاً شبيب باشا الأسعد أديباً شاعراً يميل بطبعه لتكريم العلماء وأهل الأدب؛ جريدة *جبل عامل*، العدد ٣، ص ١٨.

كذلك كان خليل بك الأسعد يهتم بالعلم ويعمل على النهضة العلمية فعمل على تأسيس مدرسة لتهذيب ناشئة جبل عامل على الأصول الحديثة.

(٥٠) لقد خصص الشهيد الأول القسم الأول من كتابه *أمل الآمل* لترجمة علماء جبل عامل الذين ظهروا فيه من القرن السابع إلى أواخر القرن الحادي عشر وعددهم ٢٩٠ عالماً. ممّا يؤكّد لنا المكانة العلمية التي بلغها جبل عامل في تلك الفترة، وخصوصاً في العلوم الدينية؛ جريدة *جبل عامل*، ع١، ص ٣.

الفترة قيام مدارس عديدة. كان تأسيس هذه المدرسة في أواخر القرن الثالث عشر الهجري بإيعاز من علماء جامعة النجف، وهذه ميّزة انفردت فيها عن غيرها من بقية المدارس، ولقد تهافت عليها الطلاب من كل صوب، وتخرّج من هذه المدرسة كبار المجتهدين والشخصيات الأدبية الكبيرة. وقد كان من طلّابها حمد البك النصّار الذي أصبح زعيم جبل عامل فيما بعد، والعالم اللغوي علي السبيتي (١٣٠٣ هـ/١٨٨٣م) والشاعر علي بن ناصر وعلي إبراهيم الحسيني المفتي في جبل عامل، ومحمد علي عز الدين مؤسس مدرسة حَناوَيْه.

مدرسة جباع التعليم في جباع قديم، فهي منذ القرن التاسع الهجري تقدم للعلم خيرة رجالاته كالشهيد الثاني ووالده وأبنائه وأحفاده، حتى تعاقب من ذريته ١٢ عالماً سُمُّوا بسِلْسلة الذهب[٥١]. وكانت جباع تعتبر، بعد جزين، من الحواضر العلمية القديمة في جبل عامل وأغناها بمن تخرّج منها وبما أنتج أبناؤها من مؤلّفات وما تركوا من آثار علمية قيّمة. وقد ذكر السيد محسن الأمين من أعلامها ما يزيد على ثلاثين شخصية كبيرة. وظلّت جباع تعتني بالعلم والمعرفة ومرّت في مرحلة فتور علمي حتى قام مؤخراً الشيخ عبداللّه نعمة، فأسس فيها مدرسة جديدة وتخرّج من هذه المدرسة عدد وافر من العلماء منهم حسن يوسف مكي وموسى شرارة، ولم يستفد الطلاب من هذه المدرسة كثيراً لأن رئيسها قد أوكل إدارتها والتدريس فيها لغيره، وكان يقتصر على إعطاء دروس الفقه فيها يلقيها على الطلبة. وقد كانت طريقة التدريس فيها عقيمة قضى فيها الطلاب عمرهم في تدارس النحو والصرف ومع ذلك تخرّج منها جملة من أهل العلم.

مدرسة حناويه قرب مدينة صور، فقد أسسها محمد علي عز الدين المتوفى سنة ١٣٠٤هـ وهو من أعظم رجال التصنيف والتأليف، ورافع لواء العلم في جبل عامل[٥٢]. كان بعيداً عن الجمود يميل بطبعه إلى التوسع واقتباس النافع من العلوم العصرية والفلسفة الحديثة، وقد كان له مؤلفات عديدة في هذا الباب ككتاب *سوق المعادن*. وقد زار هذه المدرسة الدكتور Lortet عميد كلية الطب في ليون خلال رحلته سنة ١٨٧٥م والتي دامت خمس سنوات، وقد قال حول المدرسة: «إن الثقافة منتشرة جداً بين المتاولة في حناويه

(٥١) *العرفان*، مجلد ٢٧، صفحة ٦٣٠، سنة ١٩٣٩.

(٥٢) جريدة *جبل عامل*، عدد ١، ص ٣.

القرية الصغيرة ذات الـ ٤٠٠ نسمة تقريباً، ويوجد في حناويه ليس فقط مدرسة ابتدائية بل يوجد أيضاً مدرسة عليا[٥٣]، تخرّج منها عدد وافر من الطلبة كان لهم أثرهم فيما بعد بالحركة الفكرية الناشطة في جبل عامل، منهم الشيخ إبراهيم عز الدين وكان عالماً فاضلاً، والسيد محمد علي إبراهيم، ومهدي شمس الدين، «ولقد تابعت هذه المدرسة سيرها في طريق التثقيف بعد وفاة مؤسسها سنة ١٣٠٤هـ إذ تولّاها حفيده إبراهيم عز الدين بعد إنهاء تحصيله في النجف، وسار بالمدرسة على نهج جدّه وقد كانت هذه المدرسة سوقاً عامرة للأدب والشعر قدّمت من الشعراء والأدباء العدد الكبير، كما اهتمّ بها السياسيون اهتماماً كبيراً خاصة الزعيم علي بك الأسعد ممّا بعث في نفوس طلابها حُب الأدب والعلم وكَسْب الفائدة»[٥٤].

مدرسة بنت جبيل أسسها العلامة الشيخ موسى شرارة سنة ١٢٩٧هـ، جمعت عدداً كبيراً من أفاضل الطلاب، وتوافد إليها تلامذة مدرسة حناويه التي كانت قد ضعفت بعد وفاة مؤسّسها، وتُعْتبر هذه المدرسة من المدارس التي جدّدت العلم وخرّجت العلماء والأدباء فحفظوا الميراث العلمي العاملي وأحيوه، وقد تخرّج منها العلّامة السيد محسن الأمين، والشيخ محمد دبُوق[٥٥]، والسيد عبد الحسين صادق، والشيخ عبد الكريم الزين، والشيخ موسى مغنية، والسيد يوسف شرف الدين، وغيرهم ممن كانوا الخيرة الصالحة في جبل عامل.

المدرسة النورية نسبةً لآل نور الدين، هي من المدارس القديمة العهد في النبطيّة الفَوْقا تولّى التدريس فيها السيد محمد علي نور الدين[٥٦] الذي كان عالماً فاضلاً وذا هيبة ووقار. وقد أنجبت فريقاً كبيراً من العلماء والأدباء منهم العلامة السيد عبد الحسين نور الدين والعلّامتان الشيخ أحمد رضا وسليمان ظاهر، من أعضاء المجمع العلمي بدمشق. وقد كان بدء تدريسهما في هذه المدرسة. توفي السيد محمد نور الدين سنة ١٩٠٧م وبوفاته انتقل التدريس إلى النبطية التحتا حيث نشأت المدرسة الحميدية[٥٧].

---

(٥٣) Dr Lortet, *La Syrie aujourd'hui*, p. 134, Paris, 1884.

(٥٤) أحمد رضا، *العرفان*، مجلد ٢، ص ٣٩٠.

(٥٥) السيد محسن الأمين، *خطط جبل عامل*، ص ١٥٢.

(٥٦) *المصدر نفسه*، ص ١٥١.

(٥٧) محمد جابر، *تاريخ جبل عامل*، ص ٢٤٨.

المدرسة الحميدية أسسها العلّامة السيد حسن يوسف مكي بعد رجوعه من العراق سنة ١٨٩١م سميت بالحميدية نسبة للسلطان عبد الحميد، كما جرت العادة في ذلك العهد. بنى المدرسة نفرٌ طيّب من أبناء النبطية وضمّت ما يزيد على ٣٠٠ طالب، سهر السيد حسن يوسف على تعليمهم وتثقيفهم، وقد أدّت هذه المدرسة خدماتها العلمية طيلة أربعة عشر عاماً من حياة مؤسسها حتى سنة ١٩٠٦ فأغلقت المدرسة وتفرّق طلابها. ثم تولّى التدريس والإدارة فيها العلّامة الشاعر الشيخ محمد رضا الزين وقاضي النبطية فيما بعد. ثم إن المدرسة الحميدية تغير اسمها إلى المدرسة الدينية العاملية. وأخذت عمدة المدرسة بأسباب النهضة الحديثة وحاولت السير مع نظام التعليم الرسمي المتبع غير الديني[٥٨] وقد رعتها المفوضية الفرنسية وأعطتها مساعدة مالية قدرها ثمانية آلاف فرنك، لتنفق على معلّمي اللغة الفرنسية[٥٩]. وقد كان طلاب هذه المدرسة خلال عهد الحكومة العثمانية يُعْفَوْنَ من التجنيد الإجباري، وإن كانت تخضع لإشراف مفتشي المعارف للحكومة العثمانية. وفي الربع الأول من القرن العشرين غيّرت المدرسة العلمية الدينية العاملية منهاجها، ولكن عمدتها أبقوا على التعليم الديني وأدخلوا مناهج التعليم الجديد. كانت تضم من الطلبة ما يزيد على ١٧٠ طالباً وقد أشرفت عليها جمعية المقاصد الخيرية، وتعتبر هذه المدرسة ركيزة كبرى في أساس النهضة العلمية الحديثة في جبل عامل، فقد قدّمت كبار العلماء والفقهاء كالشيخ محمد علي نعمة، والشيخ علي حلاوة، ومن اللغويين والأدباء أحمد رضا وسليمان ظاهر والمؤرخ محمد جابر صاحب كتاب *الشذرات* في الفلسفة والطبيعة. كما تخرّج منها صاحب مجلة *العرفان* الشيخ أحمد عارف الزين، ومن القضاة أسد اللّه صفا وعلي فحص ورضا الزين، وكان محمد علي الحوماني الشاعر الكبير من طلابها، كما تخرّج منها عدد وافر من الأدباء والعلماء.

هذه هي أهم المدارس التي حَمَلَت العلم ونَشَرَت الثقافة في جبل عامل طيلة قرون، عدا مدارس صغيرة في أنصار وعيناتا وشحور وعيتا الزط والنميرية ،ومدرسة آل خاتون في جوَيّا ومَجْدَل سِلِمْ. وكان لهذه المدارس، مع تعاقب الرحلات العلمية إلى النجف وتأثر المهاجرين فيها بالثقافة النجفية والآداب العراقية، نتائجها القيّمة في توجيه الأفكار نحو الحياة العلمية وعملها المؤثر في إحياء الروح الأدبية وتوطيد الأُسُسِ لهذه النهضة المباركة

---

(٥٨) كاظم مكي، *الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل*، سنة ١٩٦٣،ص ٣٧.

(٥٩) سليمان ظاهر، *العرفان*، مجلد ٨، ص ٦٥٦، سنة ١٩١٨.

التي قام بها اللامعون من أدباء هذه الفترة وعلماء ذلك الجيل، كالشيخ عبد الله نعمة، والشيخ علي سبيتي والشيخ موسى مغنية، والسيد حسن يوسف مكي، والشيخ موسى شرارة، والسيد يوسف شرف الدين مؤسس مدرسة شحور، والسيد نجيب فضل الله الحسيني مؤسس مدرسة عيناتا، والسيد علي إبراهيم مؤسس مدرسة النميرية، والسيد حسن إبراهيم مؤسس مدرسة أنصار، والشيخ مهدي شمس الدين مؤسس مدرسة مَجْدَل سِلِم. إن جميع هؤلاء وكثيراً غيرهم رفعوا ألوية النهضة العلمية والأدبية في هذه البلاد وأحيوا عهداً زاهراً تغلّبوا فيه على العوامل الهدّامة التي كادت تجتاح اللغة والعلوم والآداب العربية في مثل بيئتهم وظروفهم. ولو أنه تسنى لهم ما قد تسنى لغيرهم في ذلك العصر من الاتصال بمثل معاهد اليسوعيين والأميركان والانتفاع من مطابعهم ومكتباتهم وتنوع ثقافتهم، إلى غير ذلك ممّا يغذّي المطامح العلمية والفنية، لكان لهم في عالم النهضة الفكرية والأدبية أثر غير هذا الأثر. فنبوغ السيدة زينب فواز العاملية صاحبة كتاب *الدر المنثور* ناتج عن اتصالها بالبيئات العلمية في مصر، ثم إن نبوغ المخترع حسن كامل الصباح مؤخراً في دنيا العلم والاختراع تهيأ له من معاهد أميركا ومختبراتها ما ساعده على تحقيق اختراعاته[٦٠].

تجدر بنا الإشارة هنا إلى أن جميع هذه المدارس كانت دينية، تهيىء الطلاب للدخول إلى جامعة النجف[٦١] وفي سنة ١٣٠٢هـ. أنشأت الحكومة مدرسة في النبطية تدرّس إلى جانب العلوم القرآنية العلوم الحديثة كالفلسفة وعلم المنطق والحساب والأدب وغيرها.

الأمية في جبل عامل بعد أن استعاد جبل عامل مجده العلمي بموت الجزار، وعُمِّرت فيه المدارس التي خرجّت فريقاً من رجال العلم والأدب، علّق عليهم العامليون آمالاً كباراً وحسبوها خطى واسعة في سبيل المعرفة وبوادر لازدهار العلم فيه واسترداد سالف أيامه المجيدة، لكن جاء الأمر على عكس ذلك فأخذت المدارس تقفل، الواحدة تلو الأخرى، حتى كادت أن تقفل كلها، فتلاشى التعليم في جبل عامل وغلب على أهله الجهل[٦٢] وعَمَّت الأميّة أنحاءه، وأصبح على كثرة العلماء والأعيان خُلْواً من المدارس عطلاً من التعليم بشكليه الجديد والقديم، وانحصر في حاضرة البلاد العاملية صيدا، بفضل جمعية

(٦٠) علي الزين، *مع الأدب العاملي*، ص ١٨.

(٦١) مسعود ضاهر، *تاريخ لبنان الاجتماعي*، ص ١٦٣، سنة ١٩٧٤.

(٦٢) قال شكيب أرسلان: «من أعظم أسباب تأخر المسلمين الجهل والعلم الناقص الذي هو أشد خطراً من الجهل البسيط» شكيب أرسلان، *لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم*!

المقاصد الخيرية التي شجّعته وعملت على ازدهاره. وقد نهجت جمعية المقاصد في النبطية أيضاً منهجاً حسناً فأخذت على عاتقها العناية بأمر مدرسي الذكور والإناث ونشر العلم والتهذيب. غير أن سائر الحواضر العاملية والبلدان الكبيرة كصور وبنت جبيل وجوَيّا وقانا والخيام وميس الجبل وشحور والطَّيْبَة لا نجد فيها للتعليم أثراً يذكر، ويعود ذلك إلى أسباب اجتماعية واقتصادية وسياسية.

الأسباب الاجتماعية إن المشرق عامة، وسوريا خاصة، سارا على المنهج الجديد[٦٣] في التربية والتعليم، وجبل عامل الذي هو رقعة من سوريا بقي عاكفاً على أصول التعليم القديم (الكتاتيب) الذي لا يفيد شيئاً في أمر المعيشة، مُضافاً إلى انحصار التعليم في النظريات وخلوّه من روح التطبيق العملي، وشعور الناس بالحاجة إلى تعلُّم علوم أخرى غير الدينية، مِما وقف بالنشء العاملي موقف الجمود.

الأسباب الاقتصادية لم تكن المدارس العاملية ذات نظام ولذلك كان نصيب أكثر المتعلمين النفع القليل، والشيء الآخر أن هذه المدارس كان لا يؤمها إلّا أولاد الفقراء، خاصة الذين كانوا في غالبيتهم من المسلمين[٦٤] فكانت وجوه المعيشة تضيق بالمتوسط الحال، فكيف حال الفقير الذي لا يملك ثمن قوته. وقد تغيّرت وجوه المعايش فيما يرجع إلى المأكل والملبس، أو فيما يرجع إلى المسكن؛ وقد شعروا بما تتطلبه منهم الحياة وتعليمهم لا يضمن لهم الحياة الشريفة ففضلوا الهجرة لكسب رزقهم وتركوا العلم.

الأسباب الإدارية إن سوء الإدارة الحميدية كان له يد ظاهرة في تراجع العلم العاملي وإقفال أبواب المدارس وطمس معالمها[٦٥] هذا بالإضافة إلى إهمال الأهالي الجامدين أمر التعليم وخاصة الحديث، وإعراض الحكومة عن بثه ونشره في هذه البلاد لعدم اهتمامها به،

---

(٦٣) أخص مزاياه تقريب العلوم النظرية الدقيقة بفضل مناهجها الجديدة إلى الإفهام وهي الأخذ بالتطبيق العملي وتفضيله على النظري.

(٦٤) مسعود ضاهر، *تاريخ لبنان الاجتماعي*، ص ١٦٣، ج١، سنة ١٩٧٤م.

(٦٥) فقد كان طلبة العلم يعفون من الخدمة العسكرية إذا فازوا باختبار يرضخون له، ممّا كان يشجع الطلاب على الانخراط في سلك الطلبة فراراً من الخدمة العسكرية؛ ولكن الإدارة الحميدية أبطلت هذا الاختبار وحسبت إبطاله رفقاً بالطلبة ونصرة للعلم والعلماء، فكان الأمر على العكس وكان إبطال الاختبار ضربة قاضية على تلك البقية الباقية من التعليم العاملي؛ *جريدة جبل عامل*، عدد ٢، ص ١١.

وكلّنا نرى لدى المسيحيين في البلاد العاملية مدارس وجمعيات وغيرة على العلم ونهوضاً في سبيله أضعاف ما للمسلمين. وما ذلك إلّا لأنهم ذاقوا لذّته واختبروا بأنفسهم نتيجته وأُتلفت عقائدهم مع المدنية التي هي السبيل إلى الرقي تشجعهم في ذلك الحكومة والإرساليات.[٦٦] لكن العامليين الجامدين في تفكيرهم وعقليتهم كانوا يحاربون كل علم غير العلم الديني التقليدي الذي أَلِفوه، ظنّاً منهم أنه يتنافى مع دينهم، فقد رغب خليل بك الأسعد أكثر من مرّة بإيجاد نهضة في البلاد على أساس علمي بإنشاء مدرسة كليّة داخلية لتهذيب النشء في جبل عامل على الأصول الحديثة، وعقد عدّة اجتماعات سنة ١٨٩٣م مع الزعيم رضا بك الصلح ووجهاء البلاد لم يُسْفِر عن شيء بسبب معاكسة بعض العلماء الرجعيين الجامدين[٦٧] الذين كانوا يرون التدريس في هذه المدارس على الأساليب العصرية خطراً على العقائد الدينية[٦٨]. وقد ذاع في الكثيرين تحريم تعلّم العلوم غير الدينية فتماشت هذه الفكرة في النفوس وكان من نتائجها ذهاب كثير من العلوم التي كانت منبع عظمتهم وقوتهم، وأصبحت بقايا مدارسهم الدينية لا تضم حلقاتها إلّا طلاباً من ذوي الهمم الخامدة؛ وقد أغفلت أكثر العلوم الإسلامية منها، والتي لها ارتباط عظيم بفهم حقيقة الدين ومنها العلم الإلهي وعلم الكلام والرياضي بكل فروعه في الحساب والجبر والهندسة وعلم الهيئة التي يتعلق بمعرفتها كثير من الأحكام الشرعية، أغفلت هذه العلوم لأنها من النظريات، لا لأنها تضر بالعقائد الدينية كما يتخيل القاصرون[٦٩].

---

(٦٦) يؤكد ذلك أن مديرية المعارف أرسلت بعض الجوائز للمكتب المسيحي ولم ترسل للمكتب الإسلامي.

(٦٧) يقول شكيب أرسلان: «هناك الفئة الجامدة من المسلمين التي لا تريد أن تغيّر شيئاً ولا ترضى بإدخال أقل تعديل على أصول التعليم الإسلامي ظناً منهم بأن الاقتداء بالكفار كُفر وأن نظام التعليم الحديث من وضع الكفار»؛ شكيب أرسلان، *لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟*، ص ٥٩ سنة ١٩٦٩م.

(٦٨) جريدة *جبل عامل*، العدد ٥ ص ٣٤.

(٦٩) *المصدر نفسه*، الحر العاملي، العدد ٢٢٦/٢٩.

جبل عامل تحت الانتداب الفرنسي

النضال في سبيل الوحدة السورية ١٩١٨ - ١٩٣٦ بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وجلاء القوات التركية عن سوريا استبشر العامليون خيراً بدخول الحلفاء إلى جبل عامل، ممّا جعل الابتهاج يعمّ البلاد، وقد غذّى هذا الابتهاج ما كان يطلقه الحلفاء من وعود تُبَشّر بمنح الاستقلال التام لكل الأقطار الخاضعة للدولة العثمانية. وفي بلاغ أذاعته الحكومتان البريطانية والفرنسية في ٧ تشرين الثاني ١٩١٨ تتعهد فيه الحكومتان بـ«تشجيع العمل لقيام حكومات ومصالح أهلية في سوريا والعراق اللتين أتمّ الحلفاء تحريرهما وفي البلاد التي يواصلون العمل لتحريرها وعلى مساعدة هذه الهيئات والاعتراف بها عند تأسيسها فعلاً، والحلفاء بعيدون عن أن يرغموا سكان هذه الجهات على قبول نظام معين»[1]. وقد كان لهذه الوعود صداها الطيب عند الناس عامة ظناً منهم أن الغربي إذا حدّث صَدَق وإذا وعد وفى، لكن خابت ظنونهم عندما لمسوا العكس. فبعد جلاء الترك عن جبل عامل ورفع الراية العربية في ربوعه في ٥ تشرين الأول سنة ١٩١٨م وانتخاب رياض الصلح رئيساً لحكومة صيدا التي لم تُعمّر طويلاً، بادرت السلطات الفرنسية إلى استغلال الخلافات بين آل الأسعد وآل الصلح في جبل عامل، فأوعز الحاكم العسكري في صيدا إلى رياض الصلح بتقديم استقالته، وفي ٢٩ تشرين الأول قدم الصلح استقالته وانفرد الحاكم العسكري بأعمال الحكومة[2]. وقام المندوب الفرنسي ريكوراه في تشرين الأول على رأس فصيلة عسكرية فرنسية بجولة بدأت من جزين فالجديدة فالنبطية فصور، وانتهت في صيدا. وكان في كل بلدة من هذه الحواضر يلقي خطبه التي أراد فيها

(١) خير الدين الزركلي، *ما رأيت وما سمعت*، المطبعة العربية، مصر، ١٩٣٣، ص ١٧.

(٢) محمد جابر، *تاريخ جبل عامل*، ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

إظهار قوة فرنسا وحكمها العادل، وما ستجني البلاد منه كسباً وراحة، وما ستبلغه في ظله من ارتقاء وسعادة وتقدّم وإصلاح[٣]. لكن انفراد الحاكم العسكري في الحكم أثار نقمة الشعب، وكثر الأُجَراء الذين عملوا لمصلحة فرنسا. فزادوا من التقارير بحق المواطنين الذين كانوا قد اضطُهِدوا من الأتراك، وفي صباح يوم فوجىء السكان في النبطية عندما رأوا المناشير ملصقة على جدران المحلات في الأسواق والمراكز الحكومية، تحرّض الشعب على مقاومة الاحتلال الفرنسي وطردهم من جبل عامل، وتركيز السيطرة العربية.

لم يَرُقْ للحكومة الفرنسية ما رأته فأوقفت انتقاماً المؤرخ محمد جابر[٤]. عندها تألّفت فرق مسلّحة أخذت تمارس أعمالها بكثير من الفوضى والعفوية على أرض جبل عامل لأنها كانت تجد من العامليين كل مؤازرة وترحيب، وذلك لشعور العامليين بالاستياء من الفرنسيين الذين انفردوا بإدارة البلاد وأخذوا يمارسون ممارسات المحتلين. بدأت هذه الفرق المسلّحة أعمالها في جبل عامل ضد القرى المسيحية التي أبدت سرورها وارتياحها لدخول الفرنسيين من جهة، وضد الجنود الفرنسيين من جهة أخرى. ولنفس الأهداف وصلت قوة من دمشق تقدر بثمانين جندياً بقيادة عارف بك الحسن إلى قرية بلاط ووقعت على جسر الخردلي معركة بين العرب والفرنسيين[٥]. لكن اشتراك هؤلاء الجنود العرب في الأعمال العسكرية هذه لم يكن بأوامر من الأمير فيصل الذي كان مُحْرجاً في ذلك الوقت، لكن ربما كان اشتراك هؤلاء الجنود بإيحاء منه. يقول جورج أنطونيوس: «وكان الملك فيصل في موقف حرج للغاية فهو من ناحية يتلقى التهديدات من الجنرال غورو الذي أصبح مفوضاً سامياً على سوريا ولبنان، ومن ناحية أخرى يتلقى التوسل من أتباعه تدعوه إلى إعلان الحرب على فرنسا، فوقف حائراً لا يدري ماذا يفعل، لذلك فهو، وإن لم يشجع العصابات، فقد تغاضى عن أعمالها وربما أوحى بها»[٦].

لكن قائد الفرقة في حلب أعلن يوم ١٣ نيسان سنة ١٩١٩ رأي الحكومة السورية الصريح في هذا الموضوع إذ قال: «لـمّا كنا لا نستطيع أن نعلن الحرب رسمياً على

(٣) سليمان ظاهر، **العرفان**، ج١، سنة ١٩٤٧م، ص ٤٦.

(٤) **البشير**، ٢٢ تشرين الثاني.

(٥) مجلة **العرفان**، مجلد ٣٣، جزء ٣، ص ٢٥٦.

(٦) جورج أنطونيوس، **يقظة العرب**، ص ٤٢٠، بيروت، سنة ١٩٦٦.

الفرنسيين يجب علينا أن نملأ البلاد بالعصابات التي تجهز عليهم تدريجياً، وسيقود ضباطنا هذه العصابات فإذا استشهد أحدهم تعيل الحكومة عائلته»(٧).

وقد اتّهَمَ شاربتييه الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر من أركان الحركة الفكرية والوطنية بإثارة الفتن وتشجيع الثائرين في جبل عامل. ولعلّ ما يذكره الشيخ أحمد رضا عن الحوار الذي جرى بينهما وبين حاكم صيدا العسكري في ٣ نيسان سنة ١٩٢٠ يبرهن لنا صحة ذلك. فقد قال لهما: «إنني أعلم ما أنتما عليه وأعرف عملكما في تأييد الحكومة العربية في الشام وعلى الأخص الشيخ سليمان(٨). وقد بلغني أنكما تسهلان السبيل لما يفعله الأشقياء، (يعني بهم الثائرين)، من سلْب الراحة والأمن، فأنا أُنذركما الإنذار الأخير بعد السماح عمّا مضى بأنه إذا ظهر شيء من ذلك عنكما بعد الآن فإن الحكومة تعتذر في أخذ التدابير اللازمة معكما في هذا السبيل، والحكومة لا تُلام على عقاب من يعرقل مساعيها» فأجبناه: «بأن ما ذكره حضرة الحاكم العسكري بأننا نؤيد حكومة الشام العربية ونعمل لها فنحن لا ننكر بأننا عرب قبل كل شيء وأننا سوريون نحب وطننا وآمالنا كلها استقلالية بحتة ولنا بذلك فخر. وأما ما ذكره من أننا نؤيد العمل المخل بالأمن والراحة من عمل العصابات فإننا لا نرضى الفوضى ونشجب كل ما يخل بالراحة والأمن وكل ما يضر بالوطن وأبنائه، ولذلك فإننا نبرأ كل البراءة من هذه التهمة التي تعُدُّها إهانة لنا وللشرف وللمبدأ وحسبنا دليلاً على ذلك معاملتنا وعواطفنا الطيبة نحو المهاجرين من قرى مرجعيون إلى النبطية(٩) وما نشرته الجرائد من شكر عملنا في هذا السبيل، وهذه جريدة *المقطم* المصرية وجريدة *الحقيقة* وفيهما ما يؤيد ذلك من شكر المهاجرين للنبطية على إكرامهم لهم عامة وعلى أعمالنا خاصة ونحن ما فعلنا هذا إلّا بدافع حب الوطن وخدمة للإنسانية»(١٠).

جبل عامل ولجنة كينغ ـ كراين إنطلاقاً من مبدأ تقرير المصير الذي حمل الرئيس الأميركي ولسون لواءه، فإنه اقترح في مؤتمر الصلح اختيار أفضل الناس من ذوي الخبرة

---

(٧) قدري قلعجي، *جيل الفداء*، دار الكاتب العربي، بيروت، ص ٣٨٦.

(٨) لأن الشيخ سليمان ظاهر كان له وظيفة في دار الاعتماد العربي؛ الشيخ سليمان ظاهر، مجلة *العروبة*، ج١، كانون الثاني ١٩٤٧، ص ٤٥.

(٩) الشيخ أحمد رضا، مذكرات للتاريخ، *العرفان*، ج٨، م ٣٣، سنة ١٩٤٧، ص ٨٥٣ ـ ٨٥٤.

(١٠) *مذكرات الشيخ سليمان ظاهر*، غير منشورة.

والمؤهلات، لِتُشَكّل منهم لجنة مُخْتلطة تُمثّل الحلفاء وتذهب إلى سوريا[11] وذلك لاستفتاء السكان حول صفة المنتدب وجنسيته. ثم سارع ولسون إلى إرسال لجنة أميركية بعد أن تمنعت بريطانيا وفرنسا عن الاشتراك فيها وقد دعيت هذه اللجنة بلجنة «كينغ ـ كراين». وبعد أن أنهت هذه اللجنة مهمتها في فلسطين قدِمت إلى صيدا واتخذت دار البلدية مقراً لها. وهناك سمعت بيان وفود الطوائف الإسلامية والمسيحية، وقد كان موقف المسلمين في جبل عامل امتداداً لموقفهم في المؤتمر السوري، فقد بلغ عدد أعضاء الوفد الإسلامي نحو مائة عضو وقد فوّض الوفد إلى السيد عبد الحسين شرف الدين والشيخ حسين مغنية التكلم باسم الوفد أمام اللجنة الأميركية، وتولى السيد عبد الحسين الحديث في حوار طويل يقول عنه: «أفضيت خلاله بتصوير رغبات الأمة وأمانيها في الوحدة السورية بحكوماتها الدستورية. وأن يكون على رأسها الأمير فيصل ملكاً. ورفضت أن يكون لأية دولة أجنبية يد في حكم لبنان أو دخل فيه ولا سيما الحكم الفرنسي»[12]. ثمّ قدّم السيد عبد الحسين باسم جبل عامل إلى اللجنة الأميركية المذكرة التالية الموقعة من رجالات جبل عامل: «سعادة المستر كراين رئيس لجنة الاستفتاء الأميركية المحترم. سلام عليكم شعباً صدع رئيسه بمبادىء الحرية وتحية لكم تقرنون الفعل بالقول ورحمة اللّه، أمّا بعد فإني أؤكد الحديث الذي أدرته وأخي الإمام الشيخ حسين مغنية، وأسجل في هذه الوثيقة خلاصة الرأي الذي أدلينا به عشية الاجتماع منْعاً لكل لُبْسٍ لدى المترجم ودَفْعاً لأي دسٍّ من الذين يُحرّفون الكلام عن مواضعه وإليكم ذكراً في هذه البنود:

١) لا نرضى بغير استقلال سوريا الناجز بحدودها الطبيعية التي تضم قسميها الجنوبي (فلسطين) والغربي (لبنان) وكل ما يعرف ببر الشام دون حماية أو وصاية.

٢) تكون الحكومة ملكية ذات عدالة ومساواة، يستوي فيها جميع الناس كافة في الحقوق والواجبات.

٣) الأمير فيصل هو مرشح العرب الطبيعي لِمُلْك سوريا لِما له من جهاد في سبيل القضية العربية، ومن عبقرية سياسية وخلقية تؤهله لتسنّم هذا العرش.

٤) لا حقّ إطلاقاً لما تدّعيه فرنسا في أية بقعة من سوريا، ولا نقبل أية مساعدة منها.

---

(١١) زين نور الدين زين، *الصراع الدولي في الشرق الأوسط*، دار النهار، بيروت، الطبعة الثانية، ص ٩.

(١٢) عبد الحسين شرف الدين، صفحات من حياتي، مجلة *الألواح*، العدد ١٤، ص ٦.

٥) إذا كان لا بد لسوريا من مساعدة فإن الرئيس ولسون فتح باباً معقولاً لطلب المساعدة من أميركا، وذلك بإعلانه أن القصد من دخول الحرب إنما كان للقضاء على فكرة الفتح والاستعمار. هذا وإن المبادىء الكريمة التي أعلنها رئيس بلادكم تحملنا على الثقة في أن مطالبنا المشروعة هذه ستكون هي المعتمدة لتقرير مصيرنا لأنها من ضمن المبادىء التي نَصّت عليها مبادئه السامية. وتفضلوا بقبول الاحترام، ٥ شوال ١٣٣٧هـ»(١٣).

لكن بعد إخفاق سياسة ولسون وذهاب دعوته لإنصاف الشعوب أدراج الرياح، والخلف بالوعود المقطوعة في الحرب العالمية نظم الأدباء العامليون القصائد بذلك.

فهذه أبيات من قصيدة للشيخ سليمان ظاهر يقول فيها:(١٤)

أويلْسُنُ قُمْ لِتَحْرِيرِ الشُّعُوبِ ... وذُدْ عن حَوْزة المُلْكِ السَّلِيبِ

وَدافِعْ عَن حَقائِقِ خَيْرِ شَعْبٍ ... بِأبْلَغِ حُجَّةِ الفَطِنِ الأرِيبِ

أَغَرَّكَ مَوْعِدُ الحُلَفا بِسِلْمٍ ... يُعيدُ طَلاقَةَ الزمَنِ القَطُوبِ

هذا الموقف الذي وَقَفَه المُسْلِمون الشيعة اعْتُبِر خيبة أمَلٍ كبيرة لفرنسا التي كانت تُراهن، لتثبيت مركزها في سوريا ولبنان، على العناصر الإسلامية غير السُّنّيّة باعتبار أن هؤلاء كانوا مُضطَّهَدِين خلال الحكم العثماني زعيم السنّة آنذاك. أمّا عن موقف المسيحيين في جبل عامل الذي أعْلنوه للجنة الأميركية فإن الدلائل تُفيد أنّهُم كانوا منقسمين إلى قسمين: فالموارنة كانوا بأغلبيتهم يؤيدون الانضمام إلى دولة لبنان الكبير ويفضّلون فرنسا في حال اختيارهم للمنتدب، يؤكد لنا ذلك إقامة الحفلة التي أقامها أهالي عين إبل (أغلبية سكانها موارنة) احتفاءً بوصول الجنرال غورو إلى بيروت وذلك في نفس الفترة التي كانت فيها اللجنة الأميركية تمارس مهماتها(١٥). فهذا الابتهاج حدا بالسكان الشيعة إلى مواقف سياسية متضاربة مع أهالي البلدة وكان سبباً بوقوع فتنة كبيرة بين الطرفين. أمّا الطوائف المسيحية الأخرى فلم تكن تماشي الموارنة في مواقفهم السياسية هذه، فكاهن مرجعيون خليل هزار سنة ١٩١٩ ناهض الفرنسيين وأيّد حكم الشريف فيصل في دمشق ووقف موقفاً إيجابياً من

(١٣) وثيقة للسيد عبد الحسين شرف الدين، غير منشورة.

(١٤) مخطوطة غير منشورة عام سنة ١٩١٩م، ص ١٣.

(١٥) جريدة البشير، ٢ كانون الأول سنة ١٩١٩م، ص ٣.

القضايا العربية، حتى إن بعض غلاة الطائفية أطلقوا عليه لقب الخوري محمد(١٦).

هذه المواقف السياسية المتعارضة التي شهدها جبل عامل بين مؤيد للوحدة السورية بحماس ومؤيد للانضمام إلى دولة لبنان الكبير بحماية فرنسية، رافقتها أعمال مسلّحة قامت بها فرق من الجانبين لعبت دوراً هاماً في تلك الفترة. فقد ترأس الفرق المناهضة للفرنسيين في جبل عامل عدد من الزعماء القادرين. لكن أشهر هذه الفرق وأكثرها عملاً هي فرقة صادق الحمزة من قرية دبعال في قضاء صور، وهو ينتمي إلى أسرة آل الصغير، أي من أقرباء كامل الأسعد ولكنه نشأ نشأة فقيرة إذ عَرفَ منذ صِغَره التشرد والفقر، وبالرغم من أعمال المقاومة التي قامت بها فرقته فقد كان العامليون يُؤيدونها أكثر من الفرق الأخرى لأن رئيسها كان فقيراً مثلهم. وقد ضمّت فرقته أكثر من مائة وخمسين رجلاً مسلّحين بالبنادق والمسدسات والقنابل اليدوية(١٧)، وقد قامت بمعارك ضد الفرنسيين أو من يؤيدهم ويتعامل معهم فشملت كل الأراضي العاملية تقريباً. وهناك فرقة أدهم الخنجر الذي ينتمي إلى عائلة الدرويش التي منها آل الفضل في النبطية، ولعائلة أدهم الخنجر مواقف تاريخية بعيدة عن التعصب الطائفي وخاصة في الحوادث الطائفية التي حصلت سنة ١٨٦٠م، إذ كان جدّه أحمد بك الدرويش من أصحاب المروءة فَحَمى عدداً من المسيحيين خلال مذابح سنة ١٨٦٠ في داره التي ما تزال قائمة حتى الآن في قرية زفتا(١٨).

كانت فرقة أدهم تضم العشرات من الرجال وتمارس أعمالها في منطقة الشقيف. وهناك أيضاً فرقة محمود الأحمد بزي التي كانت أقل نشاطاً من الفرقتين السابقتين إذ لم تشترك إلّا في الهجوم الذي شنّ على قرية عين إبل الذي أوقع بالطرفين المتناحرين الخسائر الكبيرة. هذه الفرق العاملية كان يساندها في أعمالها أيضاً فرق من الحولة والجولان التي كانت تشن هجماتها في منطقة مرجعيون، ومن أبرزها فرقة الأمير محمود الفاعور، وقد امتازت هذه الفرق بأعدادها الكبيرة التي كانت تُقدَّر بالمئات، لدرجة أن الفرق الشيعية في جبل عامل كثيراً ما كانت تعمل تحت إمرة الأمير محمود الفاعور الذي اعْتُبِر في ذلك الوقت زعيم المقاومة العربية(١٩). لكن هذه الفرق المسلحة، رغم وجود التنسيق بينها،

---

(١٦) سلام الراسي، *لئلا تضيع*، ج١، بيروت، مؤسسة نوفل، ص ١٤٨.

(١٧) أحمد رضا، *العرفان مذكرات للتاريخ*، مجلد ٣٣، ج٧، ص ٧٣٣.

(١٨) سلام الراسي، *لئلا تضيع*، ص ٩٣.

(١٩) *المصدر نفسه*، ص ١٥٩.

ورغم أنها كانت كلها تحمل في أيديولوجيتها مبدأ مقاومة الاحتلال الفرنسي ومن يتعاون معه، فقد كان يغلب على الكثير من أعمالها طابع الفوضى وعدم التنظيم، حتى إن الشيخ أحمد رضا تطرق إلى ذلك في مذاكرته إذ يقول: «دخل بين عصابات الثوار جماعة خرجت عن الجادة ودخلت في الفوضى، وأصبحت تلتهم الأخضر واليابس ولا تتورع عن فعل ما لا يجوز في سبيل الأطماع الشخصية، ولم يقم زعماء الثوار بتنظيم حكومة تقف بهذه الجماعات عند حد، وأخشى أن يؤدي ذلك إلى خراب البلاد وخيبة الآمال»[٢٠].

ورغم قوة الفرنسيين الكبيرة في ذلك الوقت، والتي كانت تعمل في جبل عامل، إلّا أن رجال الفرق المسلّحة كانوا ينزلون بالفرنسيين خسائر كبيرة إذ أصيبت الفرقة الفرنسية بخسائر تتجاوز الخمسين بين قتيل وجريح[٢١]. ويمكننا القول إن هذه الفرق التي قاومت الاحتلال الفرنسي والمؤيدين له في جبل عامل كانت تُعبِّر بشكل ما عمّا يطمح العامليون إليه من رفض لكل استعمار واحتلال، وتنسجم مع تطلعات العامليين أيضاً في الانضمام إلى سوريا. لم تكن الفرق المناهضة للفرنسيين وحدها في ميدان العمل المسلح على أرض جبل عامل بل كانت هناك الفرق المؤيدة للفرنسيين والتي أشرفوا على تشكيلها من مسيحييّ جبل عامل، وكانت حجة الفرنسيين في ذلك تمكين هؤلاء المسيحيين من الدفاع عن أنفسهم ضد هجمات الفرق المناهضة، لكن الغاية الأساسية من تشكيل هذه الفرق لدى الفرنسيين كانت تأزيم حدّة الفوضى في جبل عامل وذلك عن طريق إذْكاء أعمال السلب والنهب من ناحية، وإثارة النعرات الطائفية لدى طوائف الجبل من ناحية ثانية، ممّا يفسح المجال لفرنسا بالادعاء أنها الحامي للمسيحيين وذلك ممّا يسهل عليها المطالبة بعدم ضم جبل عامل إلى سوريا. وعملية زجّ مسيحييّ جبل عامل في الصراع المسلح كان لفرنسا فيها غايات يوجزها أمين الريحاني بقوله: «السر هو أن المستعمرين الفرنسيين كانوا يريدون أن تتسع أعمال الاعتداء على المسيحيين ليتخذوا من ذلك حجة للقيام بعملية دفاع واسعة تشمل جميع الأراضي السورية»[٢٢]. وكما يقول مسعود ضاهر: «إنه من المغالاة القول إن فرنسا كانت عاجزة عن القضاء على تلك العصابات المناهضة للفرنسيين، بل إن القوات الفرنسية كانت تخطط سلفاً لاستغلال أعمال طائفية استفزازية،

(٢٠) أحمد رضا، العرفان، مذكرات للتاريخ، م ٣٣، ج٨، ص ٨٥٧.

(٢١) جريدة البشير، ١٣ كانون الثاني سنة ١٩٢٠.

(٢٢) أمين الريحاني، ملوك العرب، ج٢، ص ٣١٧، مطبعة صادر، بيروت.

فكانت تتباطأ عمداً عن نجدة القرى المسيحية التي تتعرض للسلب والتخريب»[٢٣]. وتواطؤ الفرنسيين مع رجال الفرق المؤيدة لها يظهر واضحاً في ما يورده سلام الراسي عن معركة حدثت في جديدة مرجعيون بين أبنائها وأبناء القليعة من جهة وعرب الجولان والخُولة من جهة ثانية «وقد حضر الجنرال غورو بنفسه مهنئاً إلى القليعة. كما أن المفوضية العليا الفرنسية أرسلت إلى أهالي القليعة شهادة بطول ذراع وعرض ذراع ومكتوبة باللغتين العربية والفرنسية هذا نصها: إن الجنرال غورو القوميسيار العالي للجمهورية الفرنسية في سوريا وكيليكيا والقائد العام لجيش الشرق يبلّغ مزيد تهانيه لأبطال القليعة على ما أبدوه من شجاعة في موقعتي ١٣ أذار و ١٥ حزيران سنة ١٩٢٠. فإن جموع المتاولة قد تكبّدت على أبواب القليعة خسائر دامية ونوائب فادحة، بفضل الشجاعة التي أظهرها أبطال القليعة وزعيمهم إبراهيم فرنسيس[٢٤].

وهكذا، بين الفرق المناهضة والفرق المؤيدة، كان جبل عامل يدفع الثمن من شبابه وأمنه ومستقبله، لذلك فكّر زعماؤه في مخرج من ذلك الوضع وخاصة بعد أن بدأت الحكومة االسورية تطالب هؤلاء الزعماء بتحديد موقف واضح وعملي وعدم الاكتفاء بالكلام فقط؛ فكان لا بُدّ من عقد مؤتمر لهؤلاء فكان مؤتمر الحجَيْر.

مؤتمر الحجير في الرابع والعشرين من نيسان ١٩٢٠ دعا الزعيم كامل بك الأسعد زعماء ووجهاء جبل عامل وكبار رجال الدين المسلمين فيه لعقد مؤتمر كبير عُرِفَ بمؤتمر الحجير نسبة إلى مكان انعقاده. وذلك في فترة كانت فيها الحركة الوطنية في جبل عامل تمرّ في مرحلة حرجة. فبعد اتّضاح مخطط الاستعمار الفرنسي القاضي بتقسيم سوريا انسجاماً مع مضمون اتفاقية سايكس بيكو التي عقدها مع الإنكليز، ثم فرض الانتداب على سوريا ولبنان معاً عقد المؤتمر السوري العام وأصرّ هذا المؤتمر على موقفه بوحدة بلاد الشام كلها تحت راية فيصل الذي توّج في ٨ آذار ١٩٢٠، نتيجة لذلك ازداد الوضع تأزماً في جبل عامل وذلك لمدى الترابط بين وضعه السياسي والوضع السياسي العربي العام. فالحكومة العربية أخذت تنشط لتعزيز قاعدتها فيه وذلك استناداً إلى موقف الجبل المؤيد لها والذي برز تأييده بشكل واضح في المؤتمر السوري المنعقد في ٢ تموز سنة

(٢٣) مسعود ضاهر، *تاريخ لبنان الاجتماعي*، ص ٣٩.

(٢٤) سلام الراسي، *لئلا تضيع*، ص ١٦١.

١٩١٩م[٢٥]، وفي استفتاء لجنة كينغ ـ كراين، كما أن سلطات الاحتلال الفرنسي كانت تحاول أن تكسب تأييد جبل عامل لصالح وجهة نظرها الداعية لضمه إلى دولة لبنان الكبير. وفي الوقت نفسه وصلت رسالة من قائمقام حاصبيا محمد عز الدين الحلبي إلى كامل الأسعد يقول فيها: «إنه تقرر الاحتفال بملكنا الملك فيصل ملكاً على سوريا يوم الاثنين ٨ آذار فأعلنوا ذلك في جبل عامل ليقيموا المهرجانات وليشتركوا بهذا الاحتفال برفع الأعلام العربية ذات الألوان الأربعة وفي وسط اللون الأحمر نجمة ذات سبعة أشعة»[٢٦] وعلى الفور ابتدأ صادق الحمزة زعيم أكبر الفرق العاملية المسلحة يطوف القرى ويرفع عليها الأعلام العربية، واحتفل الناس بتتويج فيصل احتفالاً كبيراً يقول فيه أحمد رضا: «كان لمنشور إعلان الاستقلال السوري وملكية الملك فيصل الأول بن الحسين على سوريا وقع عظيم في نفوس الناس وكان الاحتفال في بلاد بشارة شائقاً رائعاً والابتهاج عاماً. وكان المنتدب لإعلان ذلك صادق الحمزة الزعيم الثائر»[٢٧]. وهكذا احتفل أهالي جبل عامل بالاستقلال اعتقاداً منهم بأن أمنيتهم أصبحت وشيكة من أن تتحقق. هذا الموقف كان موقف الغالبية العظمى من مسلمي جبل عامل، أما المسيحيون فإنهم استقبلوا خبر التتويج بكثير من الخوف والحذر لأن ذلك يتعارض مع أمانيهم الثابتة في استقلال منفصل عن سوريا وبحماية فرنسية، لذلك ازدادت الفِرَق المسيحية المسلّحة نشاطاً بعد التتويج، كما ازدادت مواقفهم المعادية للحركة العربية، وقد تأزم الوضع في جبل عامل بازدياد عمل الفِرَق المناهضة للفرنسيين وخاصة بعد أن أخذت هذه الفِرَق تهاجم المواقع الفرنسية في أكثر أنحاء الجبل وتوقع بهم الخسائر كما أن الفِرَق المسيحية قامت بالمقابل بهجمات على مراكز هؤلاء الثوار.

ومنذ مطلع سنة ١٩٢٠م شهد جبل عامل تزايداً في اتصالات السلطات الفرنسية برجالات جبل عامل. فأخذت قادتها يقومون بزيارات إلى البلاد العاملية حيث كانوا يجتمعون إلى زعمائها، وكانت السلطات الفرنسية ترمي من وراء ذلك إلى تقريب فرنسا من قلوب العامليين، لكن هذه الزيارات كانت تُجابه من قبل العامليين بالمقاطعة واللامبالاة، ويصف لنا الشيخ أحمد رضا زيارة قام بها الجنرال غورو إلى النبطية في ٢٥ شباط سنة

(٢٥) ساطع الحصري، يوم ميسلون، بيروت، ص ٢١٨، ٢٢٨.
(٢٦) أحمد رضا، العرفان، م٣٣، ج٧، ص ٧٣٣، سنة ١٩٤٧.
(٢٧) المصدر نفسه، ٧٣٤.

١٩٢٠ يقول: «ورد يوم الإثنين أمر من حاكم صيدا العسكري بأن تستعد النبطية وما حولها لاستقبال الجنرال غورو يوم الأربعاء الساعة التاسعة صباحاً، فنشر مدير ناحية النبطية الأمر وأبلغه إلى مختاري القرى بطريقة رسمية، ولم يأت من القرى المجاورة أحد، حتى من النبطية لم يحضر هذا الاستقبال سوى جماعة لا يزيد عددها على بضعة عشر رجلاً من الوجهاء»[٢٨]. كما كان من ضمن أهداف هذه الزيارات التمهيد لحملة العرائض وجمع التواقيع التي حاولت فرنسا القيام بها والتي تستنكر ما جرى في سوريا وتحتج على ملكية فيصل وتطالب بإلحاق جبل عامل بلبنان الكبير. وقد عمدت السلطات الفرنسية إلى أسلوب الترغيب والترهيب كي تجبر أهالي جبل عامل وزعماءه على توقيعها، لكن العامليين رفضوا هذه العرائض ورفضوا التوقيع عليها رغم كل التهديدات التي أطلقتها سلطات الاحتلال[٢٩] وذلك لأن تعلقهم بالحكومة العربية وبملكية فيصل كان أقوى من كل ترهيب، لأن ذلك يشكل شيئاً كبيراً من الأماني التي جبلت عواطفهم عليها، فلما طلبت السلطة الفرنسية من مدير ناحية النبطية الحصول على هذه التواقيع أجاب: «إن ذلك غير ممكن له للروح السائدة في البلاد من التعلق بالملك فيصل وبالوحدة السورية والنفور من الالتحاق بلبنان»[٣٠].

إزاء هذا الرفض حاولت فرنسا استمالة زعماء جبل عامل إلى موقفها علّهم يساعدونها في تحقيق ما ترغب إليه، فجمعت قوات الاحتلال زعماء العامليين على جسر الخردلي في آذار سنة ١٩٢٠م وطلبت إليهم ذلك فكان الجواب على لسان كامل الأسعد: «إن العامليين يرفضون هذا الطلب ولا سيما الاعتراض والاحتجاج على ما قرّره المؤتمر السوري من تنصيب الملك فيصل ملكاً على سوريا لأنه هاشمي وذلك من أخص متمنيات الشيعة»[٣١]، فعرضوا عليه اللائحة التي يطلبون توقيعها قال: «إن الشعب العاملي لا يقبلها وأنا بصفتي رئيس هذه البلاد لا أستطيع أن أفعل ما لا يريدونه ولا يذعنون لرئاستي حينئذ ولا سيما إذا كان فيه ما يخالف مبدأهم الديني»[٣٢]. ولمّا خابت آمال الفرنسيين في تحقيق هذا الهدف بالطرق السلمية، لجأوا إلى أساليب الضغط والإكراه والتي قابلها الثوار بتصاعد الهجمات

(٢٨) المصدر نفسه، م٣٣، ج٥، ص ٤٧٢.

(٢٩) لقد اتهمت السلطات الفرنسية الشيخ أحمد رضا وسليمان ظاهر بأنهما من المعاكسين ويؤلّفان جمعيات سرّية سياسية لتحريض الأهالي. الشيخ أحمد رضا، العرفان، م٣٣، ج٨، ص ٨٥٦، سنة ١٩٤٧.

(٣٠) أحمد رضا، العرفان، م ٣٣، ج٧، ص ٧٣٤، سنة ١٩٤٧.

(٣١) المصدر نفسه، ص ٧٣٦.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ٧٣٦.

على الحاميات الفرنسية وعلى القرى المسيحية المؤيدة لهم فهوجمت جديدة مرجعيون في ٢٩ آذار كما هوجمت دير ميماس والخربة والقليعة، وفي الخربة كانت القتلى من الفريقين كثيرة[٣٣] حتى خاف زعماء جبل عامل من تدهور الوضع وكان هذا الأمر سبباً يضاف إلى الأسباب التي دعت إلى انعقاد مؤتمر الحجير.

أسباب انعقاد مؤتمر الحجير وأهم مقرراته تُجمِع المصادر على أن السبب المباشر لانعقاد مؤتمر الحجير هو الرسالة التي وردت إلى كامل الأسعد من قادة الثورة العربية، والتي يطلبون فيها منه، بصفته زعيم جبل عامل اتخاذ موقف صريح، فإمّا أن يكون مع الدولة السورية وعليه أن يعلن ذلك بكل وضوح، وإمّا أن يكون ضدها وعليه أن يعلن ذلك أيضاً. فقد وفد عليه السيدان أحمد مريود وأحمد العاصي مُوفَدَيْن من قِبَل قادة الثورة ويقولان له إنه انقضى دور الأقوال وجاء دور الأعمال، فعلى جبل عامل أن يصرح بخطته ومنهاجه فإمّا أن يكون معنا فليستعد للثورة وإمّا أن لا يفعل فيكون علينا ويكون لنا وله شأن[٣٤]. ويقول السيد عبد الحسين شرف الدين بهذا الخصوص وكان من المشتركين البارزين في مؤتمر الحجير ما يلي: «في هذه الفترة زاد الغيظ واضطربت الحال وجاءت رسل الرؤساء من العشائر في المنطقة يحملون لكامل الأسعد رسائل الثورة ويدعونه إلى خوض المعركة ويخيِّرونه بين اثنين: إمّا أن ينضم إليهم بجبل عامل فيكون معهم حرباً على فرنسا، وإمّا أن يعتزل فيكون غرضاً لحربهم قبل فرنسا. ولم يجد هذا البلاغ استعداداً من كامل بك لأنه لم يكن مهيأ له، فاستمهل الرسل وحملهم إلى أصحابهم رسالته، إنه ليس بالمتفرّد بالرأي في (عاملة) من دون العلماء من أولي الشأن ودون زعماء الدين، فلهم كلمتهم ولهم أتباعهم، فلا بد له من أجل يضربه لميعاد وتجتمع فيه العلماء والزعماء ويبحثون هذه القضية على ضوء التفكير والتأمل، وهكذا كان»[٣٥]. ولكن جريدة **البشير** تقول: «حضر إلى كامل الأسعد وفد من عرب البادية يطلبون منه أن لا يتعارضهم أحد في احتلال منطقة الساحل. فجمع كامل بك وجهاء البلاد والعلماء ورؤساء العشائر في وادي الحجير في ٢٤ نيسان»[٣٦]. ويقول محمد جابر: «لما استفحل أمر الثوار واشتدّ استياء

(٣٣) المصدر نفسه، ص ٧٣٧.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٩٨٩.

(٣٥) السيد عبد الحسين شرف الدين، صفحات من حياتي، مجلة **الأحرار**، عدد ١٥، ص ٢.

(٣٦) جريدة **البشير**، ٢٩ نيسان ١٩٢٠، ص ٢.

عقلاء البلاد من هذه الحال أرسل كامل بك الأسعد الدعوة للعلماء والأعيان لعقد مؤتمر عاملي من أبناء الشيعة»[٣٧]. فالحالة الأمنية كانت أيضاً من أسباب انعقاد هذا المؤتمر.

وهكذا، ولهذه الأسباب وجّه كامل بك الأسعد الدعوة إلى جميع الهيئات العاملية الدينية والاجتماعية والفكرية يطلب إليها عقد اجتماع للتداول في أمور خطيرة. واجتمع المدعوون في ٢٤ نيسان سنة ١٩٢٠ في مكان يتوسط البلاد يعرف بوادي الحجير، وحضره من رجال الدين السيد عبد الحسين شرف الدين، والشيخ موسى قبلان، والسيد جواد مرتضى. وكان من الأعيان آل الزين، وآل الأسعد وآل الفضل وغيرهم. كما تمثل رجال الفكر والأدب بالشيخ أحمد رضا، والشيخ سليمان ظاهر، ومحمّد جابر، وكان أيضاً صادق الحمزة من قواد الثورة يحيط به نحو الخمسين من رجاله وكلهم في عدتهم مع بنادق حربية ومسدسات وقنابل يدوية. وقد ترأس المؤتمر كامل الأسعد بصفته المسؤول عن تحديد الموقف السياسي في جبل عامل وزعيم البلاد. افتتح المؤتمر السيد عبد الحسين شرف الدين بكلمة شرح فيها الأوضاع الأمنية في منطقة صور، وبعد أن أنهى خطابه دخل كبار الحضور إلى سرادق خاص حيث شرع كامل بك الأسعد في الحديث عن الغاية من عقد الاجتماع، وعن الرسالة التي وردته من قادة الثورة العربية، وبعد ذلك ابتدأت المداولات فوافق المؤتمر، بناء على اقتراح من كامل الأسعد، على إرسال وفد إلى الشام مؤلف من السيد عبد الحسين شرف الدين والسيد عبد الحسين نور الدين لهذه المهمة، على أن يجتمعا بدمشق بعلّامة الشيعة السيد محسن الأمين ويقوم هؤلاء الأعلام بمفاوضة الملك فيصل باسم العامليين[٣٨]. كما قررت الهيئة العامة في المؤتمر أن يقدم باسم المؤتمرين وجبل عامل عامة التهنئة لملك سوريا بما قرّره المؤتمر السوري من إعلان الاستقلال وملكية فيصل ويحمل الوفد هذا القرار للملك[٣٩]. فبعد المداولة في المواد التي طرحت للبحث وإقرار المناسب منها كتبوا القرار ووقّعه المؤتمرون بالإجماع وهذا نصه: «إن المؤتمرين قرّروا بالإجماع انضمامهم للوحدة السورية والمناداة بجلالة الملك فيصل[٤٠] ملكاً على سوريا ورفض الدخول تحت حماية

(٣٧) محمد جابر، تاريخ جبل عامل، ص ٢٢٦.

(٣٨) أحمد رضا، مذكرات للتاريخ، العرفان، م٣٣، ج٩، ص ٩٨٩، سنة ١٩٤٧.

(٣٩) المصدر نفسه.

(٤٠) كان الملك فيصل يراهن على مؤازرة جبل عامل بدعم نظام حكمه في سوريا، يؤكد لنا ذلك ما ورد

أو انتداب الفرنسيين[41] ثم تطرق المؤتمرون إلى الناحية الأمنية في جبل عامل فتقرّر بالإجماع العناية التامة بحفظ الأمن في سائر أنحاء الجبل لجميع أبنائه من مسلمين ومسيحيين، واستدعي صادق الحمزة فدخل السرادق حيث انعقدت الجلسة يحفّ به رجاله شاهرين بنادقهم حوله فجلس أمام العلماء والقرآن بين أيديهم فأخذوا عليه وعلى رجاله العهد أن لا يتعرض لأحد من المواطنين أبناء جبل عامل، مسلمين كانوا أو مسيحيين، بسوء أو أذية فأقسم بذلك واستثنى من كان منهم متآمراً على الوطن واستقلاله مجاهراً بذلك مع الغاصبين المحتلين مسلماً أو مسيحياً أو من أي مذهب كان لأن جهادنا سياسي لا ديني»[42].

لم يَرُقْ لبعض الفئات العاملية المسيحية هذا الاجتماع فوقفوا موقف الحذر والريبة من هذا المؤتمر ومقرّراته، فجريدة **البشير** تقول في معرض تعليقها على مقررات المؤتمر:

«هذا ظاهر الاجتماع، أما بواطنه فمخفية ولا يصدق القول حتى يصدق العمل. وإن ما يجعلنا بريبة من نيات هؤلاء هو تهافتهم مؤخراً على مشترى الأسلحة»[43]. وقد اعتبر مسيحيو جبل عامل أن المؤتمر ما عقد إلّا بقصد التنكيل بهم ورسم الخطط لتنفيذ ذلك. وإن بعض الفئات المستفيدة من الفوضى التي كان يتخبط بها جبل عامل كانت دائماً تطلق

في مذكرات الشيخ أحمد رضا إذ يقول: «اجتمعت هذه الليلة ١٠ نيسان سنة ١٩٢٠ في صيدا بالعلّامة الشيخ محمد رضا الشبيبي في بيت أخينا الشيخ أحمد عارف الزين وأخبرنا أنه لمّا غادر دمشق منذ بضعة أيام بعد أن حظي بمقابلة جلالة الملك فيصل ملك سوريا قال له الملك: أنت ذاهب إلى صيدا فأبلغ أهل جبل عامل عامة وكامل بك الأسعد خاصة أنني كنت أقول إن جبل عامل يدي اليمنى وما زلت أقول ذلك ولكني أرجو منهم أن لا يتركوا للمفسدين بيني وبينهم مجالاً ولو بمقدار شعرة»، فقال له الشبيبي: «إن العامليين يفدون العرش والتاج بنفوسهم ونفيسهم». فقال له الملك: «إنني أعلم ذلك ولكن بلغهم ما أقول». ثم جاء الشيخ منير عسيران والحاج إسماعيل خليل إلى السهرة فأبلغهم الشبيبي رسالة الملك فيصل.

يذكر أن محمد الشبيبي العلامة الأديب، رئيس المجمع العلمي العراقي وعضو مجمع فؤاد الأول والمجمع العلمي العربي بدمشق، والنائب في البرلمان العراقي وممّن تقلّد وزارة المعارف العراقية غير مرّة وترأس مجلس الأعيان، زار صيدا في ١٠ نيسان سنة ١٩٢٠ ومكث بها زهاء شهر، وقد نظم له الشاعر محمد كامل شعيب العاملي قصيدة ترحيب مطلعها:

مطلع الشمس من جبينك يبدو ... ومن الذكر فاح مسكٌ وندُّ

(٤١) محمد جابر، **تاريخ جبل عامل**، ص ٢٢٦.

(٤٢) أحمد رضا، مذكرات للتاريخ، **العرفان**، م ٣٣، ج ٩، ص ٩٩، سنة ١٩٤٧.

(٤٣) **البشير**، ٢٠ أيار سنة ١٩٢٠.

الإشاعات التي تبقي هذه الفوضى مستمرة. ويشير محمد جابر إلى ذلك بقوله: «ولكن بعض الموظفين الذين التفوا حول الحاكم الفرنسي من بيت نور الدين وبيت العازوري وغيرهم لم يَرُقْ لهم ذلك الاجتماع ورأوا فيه خسراناً لمراكزهم وسدّ باب منافعهم، أشاعوا أن المؤتمر عقد للتنكيل بالمسيحيين»(٤٤). كما أن الصحف الموالية لفرنسا في ذلك الوقت، ومنها جريدة *البشير*، ساهمت في توتير الأجواء والتشكيك في مؤتمر الحجير ونوايا الشيعيين فتقول: «بشّرنا من ثلاثة أسابيع، الحاج إسماعيل يحيى بأن كبار الشيعة ومفكريهم وأسيادهم وبكواتهم وعلماءهم تعاهدوا في مؤتمر الحجير في ٢٤ نيسان على أن يمنعوا التعديات على المسيحيين ويقفوا في وجه كل من يتجرأ على مخالفة ما قرّروه... وإنما الحقيقة أن العصابات المتعدّدة اتفقت على أثر هذا المؤتمر على تقسيم القضاء فيما بينهم... وقد أهاج عواطف القوم السيد عبد الحسين شرف الدين من قرية شحور وهو زعيم شيعي في صور بتكراره على مواليه في مؤتمر الحجير تلك الفتوى الشرعية التي كان قد أصدرها بإفناء المسيحيين من القضاء لتخليص الشيعة من الأقلية المسيحية وجعلها سيدة البلاد»(٤٥). ويقول أمين الريحاني: «وقد عقد اجتماع في وادي الحجير، فضرب أحد المشايخ خيرة (استشار اللّه بالسبحة) على ذبح النصارى»(٤٦).

كان من نتيجة هذه المبالغات والإشاعات أن ازداد جبل عامل توتراً ووقعت حادثة عين إبل(٤٧) التي كبّدت الفريقين خسائر فادحة، وساءت الأحوال وكثر الوشاة الذين أذكوا نار

---

(٤٤) محمد جابر، *تاريخ جبل عامل*، ص ٢٢٦.

(٤٥) جريدة *البشير*، ٢٠ أيار سنة ١٩٢٠، م ص ٣.

(٤٦) أمين الريحاني، *ملوك العرب*، مطبعة صادر، بيروت ج ٢، ص ٣١٥ ـ ٣١٦.

(٤٧) عين إبل هي من القرى المسيحية الكبرى في جبل عامل وتقع بالقرب من بلدة بنت جبيل الشيعية. في هذه القرية وقعت حادثة كبرى في ٥ أيار سنة ١٩٢٠ سقط خلالها عدد كبير من القتلى، ذلك أن بلدة عين إبل كانت من مؤيدي القوات الفرنسية ومناهضي الحركة العربية، وفي تلك الفترة الحرجة أقامت حفلة استقبال بمناسبة قدوم الجنرال غورو إلى لبنان، كما أن أهاليها ألّفوا الجمعيّات المؤيدة لفرنسا وقد كانت هذه الجمعيات في ظاهرها عبارة عن جمعيات خيرية ولكنها كانت فرقاً مسلّحة تدربها قوات الاحتلال. وتقول جريدة *البشير* حول هذه الجمعيات لمراسلها في عين إبل «ألّف شبّان بلدتنا جمعية خيرية دعوها جمعية اتحاد الشبيبة غايتها السعي في إصلاح بلدتنا مادياً وأدبياً وتوحيد قلوب الشبيبة على عمل الخير. ونزعتها نشر حسنات فرنسا وبيان نياتها النبيلة نحو البلاد. هذه المواقف التي وقفتها عين إبل خلقت شعوراً كبيراً من الاستياء لدى جيرانها الشيعة، وكانت سبباً من الأسباب التي أدّت لوقوع الحادثة».

البشير، ٧ شباط سنة ١٩٢٠.

التعصّب، ممّا عكّر صفو الودّ بين الطائفتين، فرأى الفرنسيون أن الفرصة أصبحت سانحة للتظاهر بحماية النصارى وبإرسال حملات تأديبية إلى جبل عامل.

لكن الجريدة الوحيدة التي انفردت بالدفاع ورد التهم عن الشيعيين فهي جريدة **الحقيقة** لمنشئها كمال عباس الأزهري، وقد كتبت بهذا الخصوص، بعد دفاع شديد عن الشيعة ما يلي: «يجدر بنا أن ندوّن شهامة بعض المسيحيين المنكوبين ووفائهم لإخوانهم الشيعة، فقد قدّموا لحضرة الكولونيل نيجر عريضة شكروا فيها ما لاقوه من كرم شيعيي النبطية. وهذا ما جاء في العريضة: لجانب معالي القائد الإداري للمنطقة الغربية الليوتنان كولونيل نيجر، على أثر النكبات الأولى التي حدثت على أهالي جديدة مرجعيون ودير ميماس وجوارها فرّ الكثيرون بعائلاتهم إلى النبطية الذين لقوا من أهاليها كل مواساة وعناية ومشاعر كريمة ممّا حمل عائلات عديدة على الإقامة فيها، وفي الحوادث الأخيرة التي جَرَت في دير ميماس ظهر منهم الاهتمام بالكثيرين الذين لاذوا إلى بلدهم ومواساة المنكوبين منهم وتخفيف آلام البؤساء واستقبال الجميع في بيوتهم بكل ترحاب وأظهروا مروءة نادرة بإسعاف وإعانة الفقراء والبائسين منهم وتذمرهم من أعمال العصابات وتقبيح زعمائها ورجالها، ولم يهملوا الواجب في توقيف تيارها وبرهنوا على إحساسات وطنية. وعليه ولأجل تبيان الحقيقة صار رفع هذه المعلومات الحقيقية لمعاليكم ملتمسين العطف عليهم والنظر إليهم بعين الرحمة؛ الموقعون: الدكتور أسعد رحال، إلياس شمّاس الخوري، إبراهيم حوراني، داوود سليمان، فياض حداد، موسى عازار، شفيق حمزة، جرجس غشّوم»(٤٨).

لم يكن الحقد الطائفي هو السائد في جبل عامل ولكن العكس هو الصحيح، حيث إنه جاء في مذكرات الشيخ سليمان ظاهر أن «زعماء الموارنة الدينيين والزمنيين يسعون لعقد اتفاق مع زعماء الشيعة وتأليف جمعية من الطائفتين»(٤٩). لكن هذه الجمعية لم تتحقق بسبب سياسة الدولة العليا التي لم يكن لها مصلحة في لقاء الطوائف، بل كان همّها تغذية النعرات الطائفية، وهي السياسة التي عرفها لبنان منذ عهد الأتراك، وقد أبقت فرنسا على هذه السياسة لتحكم سيطرتها على هذا البلد، وقد كانت تحرّض على إثارة هذه النعرات الطائفية بعدة وسائل، وخاصة عن طريق الصحف التي كانت تأتمر بأمر السلطة العسكرية المنتدبة. وقد حاول الأدباء العامليون الوقوف في وجه هذا المخطط الطائفي، فكان لا بد

(٤٨) جريدة **الحقيقة**، العدد ١٣٢٢، ٦ تموز سنة ١٩٢٠ و **مذكرات الشيخ سليمان ظاهر**، غير منشورة.
(٤٩) **مذكرات الشيخ سليمان ظاهر**، غير منشورة.

لهم من مراجعة المسؤولين لمساعدتهم في إيقافه، فقام أحد أركان الحركة الفكرية والوطنية في جبل عامل، الشيخ أحمد رضا، بمقابلة الليوتنان ديبوي وقد رَوى هذه المقابلة في مذكراته قائلاً: «ذهبت إلى مقابلة الليوتنان ديبوي في قلم المطبوعات في المفوضية الفرنسية عملاً برأي الأديب بشارة الخوري (الأخطل) واستأذنت عليه فلم يلبث أن أذن وكان لطيفاً في حديثه، وبعد أن شرحت له الفوضى الصحفية في بيروت بالنسبة إلى حوادث الجنوب (جبل عامل) فوق ما يلقاه هذا الجبل من المظالم التي لا تطاق، وبينت له أن الشدة من الحكومة مع هجمات هذه الجرائد بالطعن الجارح والتحامل الفظيع سيؤدي إلى حوادث يصعب تهدئتها وحلُّها، فأصغى إلى كلامي ووعد بأنه سيقف دون هذه الفوضى الصحفية ويهدىء هذه الثورة الكلامية»(٥٠). ونتيجة للظلم الذي مارسه رجال الحكومة وأعوانهم على الشعب في تحصيل الغرامة التي أُخذت خمسة أضعافها وسلبت كل ثروة الفلاحين المساكين، رفع شكوى الشيعة ومطالبهم إلى الجنرال غورو الشيخ أحمد رضا ووفد من أعيان البلاد في كتاب يتضمن المطالب التالية:

«• تأمين المهاجرين من الطائفتين الشيعية والمسيحية بوضع فرق عسكرية على حدود الحولة لمنع تجاوز العصابات من المنطقة الشرقية مع تأليف قومسيون منتخب من الطائفتين من الرجال لأجل النظر في الوسائل التي تؤدي إلى دوام السلام واستتباب الأمن.

• الإمهال في تحصيل الغرامة التي فرضت عليهم وهي مئة ألف ليرة ذهبية.

• الطلب من فخامة الجنرال المثول بين يديه لعرض المعلومات التي توضح لفخامته حقائق الأحوال في الجبل، وتبرهن له أن لا عداء حقيقياً بين الشيعيين والمسيحيين، وأن المسيحيين مضى عليهم قرون متطاولة في هذه الديار وهم على أحسن وفاق وألفة عائشين بسلام، وأن المسلمين الشيعيين بشهادة التاريخ كانوا في أشد الحالات على النصارى يدافعون بكل ما لديهم من قوة، ولكن كان لمسلك بعض جرائد بيروت في تجسيم الخلاف وتوسيع دائرته أثر غير صالح لا يؤدي إلى النتيجة الحسنة، بل يوسع شقة الخلاف الذي يجعل البلاد خراباً»(٥١).

الحملة الفرنسية على جبل عامل إن الأحداث التي جرت في جبل عامل، والتي

---

(٥٠) الشيخ أحمد رضا، العرفان، م ٣٣، ج ١٠، سنة ١٩٤٧، ص ١١١٨.

(٥١) المصدر نفسه، م ٣٤، ج ٢، ص ١٩٩ ـ ٢٠٠.

اتخذت بشكل أساسي طابع التصدي لأنصار فرنسا المحليين، شكّلت ذريعة في يد السلطة الفرنسية لتجريد حملة عسكرية على جبل عامل لتصفية الثوار وضرب الانتفاضة في مهدها، بحجة وضع حد للفوضى في البلاد وحماية المسيحيين، ولكن قبل إرسال الحملة كان لا بدّ للفرنسيين من وضع حد لنشاطات رجال الفكر والأدب الذين يقاومون الانتداب ويطالبون بالوحدة السورية. يشير إلى ذلك الشيخ أحمد رضا بقوله: «كنت اليوم جالساً (١٩ أيار سنة ١٩٢٠) مع زميلي الشيخ سليمان ظاهر في محل تجارة أحدنا بالنبطية وقت الظهر، فجاءنا الشرطي داوود أبو شاهين يبلّغنا أن القومندان قائد القوة العسكرية المرابطة في النبطية يريد مقابلتنا. ولمّا دخلنا عليه قابلنا بشيء من العبوس وقال مبادراً!: إنكم جاهرتم بمبدأكم السياسي للقومندان شاربتييه فهو يستدعيكم إلى صيدا الآن... وصلنا صيدا في الساعة الثالثة بعد الظهر وارتاع من رآنا على هذه الحالة من أصدقائنا الصيداويّين ولمّا نزلنا في مقر القومندان شاربتييه قال لنا: إن القوة المنتدبة رأت بعد أن عزمت على إنفاذ الحملة العسكرية على قضاء صور أن تحْجُر عليكما في صيدا تحت الإشراف العسكري وأحذِّركما أن لا تتدخّلا في السياسة أو تدخلا في جمعيات صيدا، وإذا علمت أنكما فعلتما ذلك سأضطر لإبعادكما والتضييق عليكما، أنتم أحرار في نفس صيدا فلا تخرجوا منها وعليكم إثبات ذلك عندي في كل يوم في الساعة العاشرة صباحاً»[٥٢].

وفي ١٨ أيار سنة ١٩٢٠ سيّرت فرنسا إلى جبل عامل حملة انتقامية عددها ٤ آلاف جندي فرنسي يعاونهم أدِلّاء متطوعون (الأنصار) بقيادة الكولونيل نيجر. ولم تَلْقَ هذه الحملة مقاومة تُذْكَر سِوى مقاومة محدودة في وادي الحريق قرب تبنين. وعن هذه المقاومة يقول الشيخ رضا: «سمعنا اليوم أن الحملة الفرنسية المؤلفة من ٤ آلاف رجل، دخلت وادي الحريق بعد اجتيازها سهل صور. فتعرض لها الثائر صادق الحمزة ومعه بضعة رجال، فصدّوها عن التقدم بما كان مع الثائرين من الذخيرة مدة سبع ساعات حتى إذا نفدت ذخيرتهم ولم يمدّهم أحد تراجعوا ولم يُفْقَد منهم أحَد، أما الطرف الآخر فكانت خسائره بضعة جنود أحدهم سائق مصفّحة»[٥٣].

---

(٥٢) *المصدر نفسه*، م ٣٣، ج ١، ١٩٤٧، ص ١١١٨.

(٥٣) *المصدر نفسه*، م ٣٤، ج ٢، ص ١٩٩ - ٢٠٠.

جدير بالذكر أنّه بالرغم من الحوادث التي حصلت في جبل عامل بين الطائفتين الشيعية والمسيحية بقيت بعض الفئات المسيحية محافظة على الصداقة التي تربطهم بقيادات الفكر في الجبل أمثال الشيخ

أما الأسباب التي أدّت إلى عدم مقاومة هذه الحملة في جبل عامل فهي:

أولاً: كثافتها وتسلحها بالأسلحة الثقيلة، تقول جريدة **البشير**: «بلغنا أن قوة مهمة من الجيش الفرنسي قادمة بطريق البحر من الآستانة نزلت بجهات صور مع كامل عدّتها وانضمت إلى الجنود الذين كانوا هناك للتنكيل بالعصاة وزعمائهم»(٥٤).

ثانياً: الأمر الذي أصدره كامل الأسعد إلى عامة القرى التي تمر بها الحملة بعدم المقاومة(٥٥).

ثالثاً: عدم تمكن المدد السوري من الوصول، إذ إن الملك فيصل كان قد جهّز إلى جبل عامل قوافل من العتاد والأسلحة والأطباء. ولكن الزعيم كامل الأسعد أرجع ذلك كله معوّلاً على الحلول السلمية وآخذاً بالأناة(٥٦).

وهكذا فإن سكان القرى الشيعية عندما علموا بمجيء الحملة فرّوا إلى قرى فلسطين المجاورة. ولمّا دخلها العسكر والمتطوعون في الحملة أحرقوا فيها بيوتاً معيَّنة، ولكن المتطوعين لم يعفّوا عن بقية البيوت فهدّموها، حتى المساجد لم تَنْجُ، ونهبوا جميع ما تركه أهلها فيها ويقدره بعضهم بعشرات الألوف من الليرات الذهبية(٥٧). وكتبت **لسان الحال** مدافعة عن هذه التدابير: «على أنه خلافاً للنمائم التي اشتُهِرت لم يُحرق غير قسم من قرية بنت جبيل وهو القسم الذي أعدّ سكانه حادثة عين إبل، وأما بقية القرى فلم تُحرق غير بيوت زعماء العصابات. وقد قُتِل في المعركة عدد كبير من اللصوص وأُعْدِمَ الذين قبض عليهم والسلاح في أيديهم رمياً بالرصاص»(٥٨). ثم طوّق العسكر الفرنسي قرية شحور مطالبين العلّامة عبد الحسين شرف الدين فخرج منها مع أولاده الصغار وذهب

أحمد رضا وسليمان ظاهر، لما كان لهما من مكانة واحترام في صفوف المسيحيين لأعمالهم الوطنية الصادقة ولعدم تعصبهم الطائفي، يذكر ذلك الشيخ أحمد رضا بقوله: «جاءنا جماعة من مسيحيي مرجعيون إلى صيدا مظهرين تألمهم لاعتقالنا في صيدا وأخبرونا أن بعضهم راجع بعض المراجع العالية في بيروت في أمرنا وأخبرهم بحسن بلائنا في المدافعة عن المسيحيين وإكرامهم وبكرهنا لأمثال ما حصل من الفوضى»؛ الشيخ أحمد رضا مذكرات للتاريخ، **العرفان**، م ٣٤، ج ٢، ص ٢٠، سنة ١٩٤٧.

(٥٤) جريدة **البشير**، ٢٠ أيار سنة ١٩٢٠.

(٥٥) أحمد رضا، مذكرات للتاريخ، **العرفان**، م ٣٤، ج٢، ص ٢٠١ سنة ١٩٤٧.

(٥٦) السيد عبد الحسين شرف الدين، صفحات من حياتي، **الأضواء**، عدد ١٦، ص ٩، سنة ١٩٥٠.

(٥٧) أحمد رضا، مذكرات للتاريخ، **العرفان**، ج ٢، ص ٢٠٠ سنة ١٩٤٧.

(٥٨) جريدة **لسان الحال**، عدد ٩، حزيران ١٩٢٠.

شرقاً باتجاه الجولان، ولم يغادر العسكر الفرنسي شحور إلّا وأحرقوا دار السيد عبد الحسين، مصطحبين معهم السيد أحمد شقيق عبد الحسين مع عدد من وجهاء البلد وساقوهم إلى السجن[٥٩]. بعد ذلك تغلغلت الحملة في داخل البلاد وكثُر السلب والنهب وكانوا يفرضون الغرامات على كل قرية يمرون بها إلى أن استقرّت الحملة في قرية هونين، وإليها استدعى نيجر كامل بك الأسعد بقصد إلقاء القبض عليه وإرساله إلى بيروت إجابة لطلب الجنرال غورو الحاكم العام والقائد الأكبر لجيوش الاحتلال بتهمة أن له يداً في الحوادث الطائفية التي حصلت في جبل عامل، لكنه ترك بلدته الطيبة قاصداً دمشق، فزحفت الحملة إلى بلدته واحتل الجند داره ونهبوا ما بها من أثاث ورياش وهدموا بعضها وحُكِم عليه بالنفي مع بعض أحرار وزعماء البلاد، منهم عبد اللطيف بك الأسعد، محمد بك التامر، الشيخ عبدالله عز الدين، الحاج أحمد عرب[٦٠] السيد عبد الحسين نور الدين، والسيد عبد الحسين شرف الدين الذي لم يصدر العفو عنه إلّا بعد أن قابل وفد من علماء جبل عامل وأعيانه الجنرال غورو[٦١]. وقد خلّفت هذه الحملة في جبل عامل خسائر مادية كبيرة جداً، واعتبرت السلطة الفرنسية أن الطائفة الشيعية بجملتها مسؤولة عمّا جرى، فجمع الكولونيل نيجر في ٥ حزيران سنة ١٩٢٠ علماء جبل عامل وأعيانه في صيدا، وقد ضمّ هذا الاجتماع الشيخ أحمد رضا والشيخ عبد الحسين صادق وفضل الفضل والشيخ سليمان ظاهر والسيد محمد جابر والسيد يوسف الحاج علي ويوسف بك الزين، كما ضمّ أيضاً من كان في صيدا من وجوه الشيعة وأعيانها ومن وجوه أهل السنّة والمسيحيين[٦٢] بلغ عددهم أكثر من ٢٠٠ شخص ألقى عليهم الكولونيل نيجر خطاباً شديد اللهجة وجهه إلى الشيعة ثم تلا عليهم الأحكام قائلاً: «إن الحكومة يسوؤها أن يحكم على وجهاء الشيعة بهذه الأحكام الصارمة لكنهم هم الجناة على أنفسهم وهذه خلاصة الأحكام»[٦٣].

- حكم بالإعدام على رؤساء العصابات ومسببي الحوادث الطائفية في جبل عامل[٦٤].

---

(٥٩) عبد الحسين شرف الدين، *الألواح*، ١٦٤، ص ٩، سنة ١٩٥١.

(٦٠) جريدة *لسان الحال*، ١٧ آب، سنة ١٩٢٠.

(٦١) *مذكرات الشيخ سليمان ظاهر*، غير منشورة.

(٦٢) الشيخ أحمد رضا، *العرفان*، م٣٤، ج٢، ص ٢٠٢ - ٢٠٣.

(٦٣) أمين السعيد، *الثورة العربية الكبرى*، ج٢، ص ١٥٤.

(٦٤) من الذين حكم عليهم بالإعدام صادق حمزة، أحمد المحمود بزي، محمد التامر، عبد الحميد بزي، يوسف ظاهر وأدهم خنجر وغيرهم الكثير؛ (*لسان الحال*، عدد ٩، سنة ١٩٢٠).

• حكم بالنفي على كامل بك الأسعد والسيد عبد الحسين شرف الدين والحاج محمد سعيد بزّي وراشد عسيران ومحمد الحاج حسن عبد الله وإخوته.

وبعد تلاوة هذه الأحكام قال الكولونيل: «إن الحكومة أعدمت جميع الثوار الذين حاولوا متابعة حركاتهم أثناء وجود الحملة وعددهم يقدر بثلاثين، ثم ألقى عليهم شروط فرنسا. التي أوجب فيها على العامليين أن يتحمّلوا أثقال التعويضات عن الخسائر التي ولدتها هذه الحوادث المحزنة، وبعد ذلك قرأ على الحضور شروط الجنرال غورو وهي تنص على التعهد بجمع السلاح وحماية المسيحيين وإرجاع ما لم يتلف من المنهوبات، ثم التعويض وقدرة مائة ألف جنيه ذهباً تستعمل للتعويض على الذين سُلِبوا أو نُكبوا. وهذه الغرامة توزّع على القرى بمعرفة المتصرّف والقائمقامين بشكل يناسب ثروتها ومبلغ اشتراكها في الحوادث»[٦٥]. وقد قال أحد وجهاء صور معترضاً: «إن المنهوبات من قرى الشيعة بأيدي المسيحيين تزيد أضعافاً عن منهوبات المسيحيين»، فقال نيجر: «نعم ولكن ذلك جزاء والتعويض غير الجزاء»[٦٦]. وهكذا فقد كانت الشروط:

• دفع مئة ألف ليرة عثمانية غرامة حربية وتعويض المتضررين من الحرب.

• ضمان عودة المسيحيين الذين فرّوا من قراهم وحمايتهم والتعويض عن خسائرهم.

• ضمانة نشر السلام، وتسليم المحكوم عليهم إلى الحكومة.

• جمع الأسلحة من أقضية صيدا وصور ومرجعيون، وإلقاء المسؤولية على عواتقهم من كل أمر يجدّ وكل قتيل من الأقضية الثلاثة[٦٧]. لكن أعيان العامليين أضافوا إليها «ولا نقدر أن نحافظ على مسيحيي الأقضية من هجوم خارجي وإنما نكون مسؤولين إذا اشتركت قرانا في الهجوم»[٦٨].

لقد كانت هذه الغرامة التي فرضت على جبل عامل كارثة على هذه المنطقة الفقيرة وخاصة أنها جمعت أضعافاً مضاعفة؛ وفي هذا يقول أمين الريحاني: «فرض نيجر على أهل جبل عامل مائة وخمسين ألف ليرة ذهباً وفوّض إلى حاكم صيدا العسكري ورجاله، وفيهم

---

(٦٥) *لسان الحال*، ١٢ حزيران، سنة ١٩٢٠، ص ٢.

(٦٦) الشيخ أحمد رضا، *العرفان*، م ٣٤، ج٢، ص ٢٢، سنة ١٩٤٧.

(٦٧) أمين السعيد، *الثورة العربية الكبرى*، ج ٢، ص ١٥٤.

(٦٨) *المصدر نفسه*.

ثلاثة من الصوريين، لجمعها فجمعوا ضعف المائة وخمسين ألف ليرة بطرائق لا حاجة لذكرها»[٦٩]. هذه الغرامة سلبت كل ثروة الشيعة في جبل عامل فوقعوا في عجز مادي أفقر الطائفة؛ ولمّا قصد فريق منهم لمقابلة الجنرال غورو لعرض ما حاق بالبلاد من ظلم وجور، رفض مقابلة أي شخص منهم[٧٠].

إنفرد جبل عامل بهذه المصائب ولم يشاركه بها أحد ولم يلق في محنته من إخوانه ومجاوريه من بقية الطوائف عوناً ولا نصيراً، يشير إلى ذلك الشيخ أحمد رضا قائلاً: «بعد استفحال الفوضى في جبل عامل وتفاقم الخلاف بين جهلاء المسلمين والنصارى وعدم سنوح الفرصة لعقلاء الطائفتين لجمع الشمل، انتشرت دعاية مدبرة سياسية تديرها وتعمل عليها تحت الخفاء الدولة المحتلة، وعلى الأخص الجنرال غورو الذي امتلأ قلبه حقداً على أبناء هذا الجبل لموقفهم السياسي ضد الانتداب، وأقدمت جرائد المسيحيين في بيروت وفي مقدمتها **البشير**، جريدة اليسوعيين، التي كانت تحت تصرف الجنرال ورجال الانتداب، على التشنيع الشديد والسخرية والهزء بأهل هذا الجبل وأحجمت جرائد المسلمين في بيروت عن المدافعة وكذلك جرائد دمشق أيضاً»[٧١].

وهكذا، فإنّ نجاح الحملة الفرنسية في اجتياحها لجبل عامل، وفي القضاء على المقاومة سهّل لفرنسا ضمّه إلى دولة لبنان الكبير سنة ١٩٢٠.

الأدباء العامليون بين الوحدة السورية ودولة لبنان الكبير كان من أهداف السلطة الفرنسية إضعاف المقاومة في جبل عامل بالقضاء على العصابات فيه لتستطيع السيطرة على المنطقة، فأخذت تعمل على تحقيق أهدافها باستمالة بعض العلماء والزعماء إلى جانبها بواسطة الترهيب حيناً والإغراء أحياناً، هذا ما يوضحه أحد الأدباء الذين رفضوا الاشتراك بالوفد الذي أُلّف لمقابلة الجنرال قائلاً: «تألف وفد ذاهب إلى بيروت من الشيخ عبد الحسين صادق ومحمود بك الفضل وفضل بك الفضل والشيخ محمد أمين شمس الدين، وطلبوا منا، أنا والشيخ سليمان ظاهر، بأن نكون مع الوفد فاعتذرنا، وقد علمنا بما انجلى عنه سفر الوفد العاملي إلى بيروت، وذلك أنهم وعدوا الجنرال غورو بأن يطلبوا من

(٦٩) أمين الريحاني، *ملوك العرب*، ج ٢، ص ٣١٨.
(٧٠) أحمد رضا، مذكرات للتاريخ، *العرفان*، م ٣٤، ج ٣، ص ٣٥٣.
(٧١) *المصدر نفسه*، ص ٣٥٧.

المؤتمر إلحاق جبل عامل في لبنان، وكتبوا عريضة للمؤتمر ومعه عريضة أخرى للجنرال. وقال الأول إننا اجتمعنا وقررنا أن يرجع لبنان إلى حدوده القديمة فيشمل جبل عامل على شريطة أن يكون له امتياز خاص ضمن الكيان اللبناني. وقال آخر إنهم يطلبون من الجنرال رفع هذا التقرير إلى مؤتمر السلام العام. واعتذر الشيخ عبد الحسين صادق بأن زعماء البلاد وعلماءها كانوا تحت الخطر وأن الأصلح لجبل عامل أن يدخل في لبنان»(٧٢).

إن السعي لتحقيق المصالح الذاتية كان حافزاً قوياً عند بعض زعماء جبل عامل في اتخاذ مواقف سلبية متقلّبة بين الحين والآخر، وهذا ما يؤكد عليه الشيخ أحمد رضا بقوله: «الغريب أن الذين رفعوا هاتين العريضتين كان بعضهم بالأمس القريب يوقّع على عكسها بواسطة الأمير فيصل إلى مؤتمر السلام»(٧٣). أمّا كامل بك الأسعد الذي كان منفياً من قِبَل الفرنسيين، عندما تأكد لديه بأن السيطرة الفرنسية على البلاد أصبحت شبه ثابتة، وحتى يكسب ودّهم وعطفهم عليه فإنه استدعى المختارين وكثيراً من الأهالي فَقَدِمُوا ووقّعوا العرائض المذكورة، وقام سُعاة كامل بك في توقيع العرائض، فكانوا في النبطية الحاج ملحم شرف الدين لناحية الشقيف، والحاج علي فياض لناحية الشومر، ونعمان بك الجواد لناحية جباع.

ويقول أحد المطّلعين على هذه العرائض الدكتور ذوقان قرقوط ما يلي: «لكن من مراجعة الموجود من هذه العرائض في وثائق وزارة الخارجية الفرنسية يتضح أنها إلى جانب صدورها من فئات معيّنة تشكل أقلية في هذه المناطق تكاد تكون جميعها صورة واحدة حتى لنجد التواقيع الصادرة عن القرية الواحدة مكتوبة بحبر واحد بل كأنما استعمل لوضع أختام كل قرية حبر واحد، وقد أُخذ بها ولم يؤخذ بعرائض الجانب الآخر وهي الأكثرية التي تقدمت أيضاً مطالبةً بالانضمام إلى سوريا»(٧٤). فمنذ مطلع عام ١٩٢٠ أخذ الزعماء العامليون يعلقون الآمال على نصرة الحركة الوطنية في سوريا برئاسة فيصل في المحافظة على وحدة البلاد السورية، لكن إرادة الدول الكبرى قد خيّبت آمال العامليين والسوريين بشكل عام. فقد اعترفت بريطانيا لفرنسا بالانتداب على سوريا ولبنان في مؤتمر سان ريمو (San Rimo)(٧٥) نيسان ١٩٢٠. من هنا أخذ المندوب الفرنسي الجنرال غورو يعمل على

(٧٢) أحمد رضا، *العرفان*، م ٣٣، ج ٣، ص ٢٥٧.

(٧٣) *المصدر نفسه*، ص ٢٥٨.

(٧٤) الدكتور ذوقان قرقوط، *تطور الحركة الوطنية في سوريا*، ص ٣٩، سنة ١٩٧٥.

(٧٥) إن أخبار اتفاق سان ريمو بين الإنكليز والفرنسيين لاقتسام البلاد العربية التي وعدوها بالاستقلال لمّا

بسط السيادة الفرنسية على بلدان المشرق، وفي ١٩ تموز سنة ١٩٢٠ وجّه الجنرال غورو القائد الأعلى للقوات الفرنسية إنذاراً إلى الملك فيصل أتبَعه بإنذار ثانٍ في ٢٢ تموز بضرورة قبول الانتداب الفرنسي على سوريا. ولمّا رفضت الحكومة العربية في دمشق الإنذارين زحفت الجيوش الفرنسية ووقعت معركة ميسلون(٧٦) التي استشهد فيها وزير الحربية السوري يوسف العظمة فدخلت عندها القوات الفرنسية دمشق في ٢٥ تموز سنة ١٩٢٠م بعد أن غادرها الملك فيصل إلى فلسطين، وهكذا دخلت سوريا بعد لبنان تحت الانتداب الفرنسي.

إعلان لبنان الكبير بعد موقعة ميسلون ومغادرة الملك فيصل الأراضي السورية إبتدأ البحث الجدّي في دمج جبل لبنان القديم مع لواء بيروت المؤلّف من أقضية صيدا وصور ومرجعيون، وضم أربعة أقضية إليه من جهة الشرق هي بعلبك وحاصبيا وراشيا والبقاع، ومن ثَمّ إعلان لبنان الكبير مستقلاً تحت الانتداب الفرنسي(٧٧).

ففي ٣١ آب سنة ١٩٢٠ صدر القرار بتوسيع حدود لبنان، وفي أول أيلول أعلن الجنرال غورو من مركزه في قصر الصنوبر في بيروت ولادة لبنان الكبير الذي تحدّد بالقرار رقم ٣٣٨ الصادر في ٣١ آب سنة ١٩٢٠ كما يلي: «من الشمال مصب النهر الكبير على خط يلازم مجرى هذا النهر صعوداً، على علو بلدة جسر القمر حتى التقاء النهر الكبير مع رافد وادي خالد. ومن الشرق خط القمم الفاصل بين وادي خالد ونهر العاصي المار بقرى

انحازت إلى صفوفهم حرّكت شاعرية الشيخ أحمد رضا، وكان قد ترك نظم الشعر، فنظم قصيدة بهذه المناسبة تصوّر لنا حالته وما يخفيه من هلع وجزع ومكابدة فهاجت عواطفه ليقول:

مضى زمن السُّلْوى فلا مردُّ ... لسالفة ولا عيش يطيب
وكيف يطيب لي عيش وقومي ... بهم قد أحدق الخطر القريب
أسورية يُباح حِماك نهباً ... ومجدك في يد الأعدا سليب
تريدين السلامة من طبيب ... وقد أهدى لك الداء الطبيب

(٧٦) كما أن معركة ميسلون وسقوط مُلك فيصل حرّكت عواطف ومشاعر الشيخ سليمان ظاهر فنظم بعدها قصيدة بعنوان «سقوط الشام» سنة ١٩٢٠م مطلعها:

أمل بصدر العرب والإسلام ... هل ذاهب فيه سقوط الشام
بلد غدا حرماً يطوف به إلى الورى ... كالبيت ذي الإحلال والإحرام
وفيصل فصل القضاة لغيره ... ما كان عند تنكر الأحكام

(٧٧) بشارة الخوري، *حقائق لبنانية*، ص ١٠٨، ج ١، سنة ١٩٦٠.

مصرعة، ماربعنا، فيسان، على علو قرى بريفا ومتربة. أمّا في الجنوب فحدود فلسطين التي ستحدّد لاحقاً باتفاقات دولية، ومن الغرب البحر المتوسط»[٧٨].

وبذلك وضعت السلطات الفرنسية حداً لتطلع العامليين إلى الانضمام لسوريا وهو الأمل الذي طالما دفعهم لرفض أشكال الوجود الأجنبي كله على أراضيهم. والذي عبّر عنه العامليون في مواقف كثيرة أدهشت قادة الاحتلال الذين كانوا يراهنون على الشيعة لضرب الحكم العربي في دمشق. ولعل ما يذكره الشيخ أحمد رضا عن الحوار الذي جرى بينه وبين حاكم صيدا العسكري يعطي صورة واضحة عن ذلك. فقد قال له الحاكم العسكري: «كيف ترون الشكل الموافق للحكومة في هذه البلاد وهل الأصلح لها الفرنساويون أو العرب؟ فقلنا له: إننا ونحن شعب عربي سوري نتمنى أن تكون حكومتنا عربية سورية وهل يلام المرء على حبه لقومه.... ثم قال (الحاكم) إن الحكومة الفرنسية تحب الشيعة وتميل إليهم، ومتى تقرر المصير وأصبحت فرنسا هي الدولة المنتدبة لسوريا فإن الشيعة سينالون حقوقهم وزيادة، فقلنا له: إن علماء الاجتماع قرروا أن على الحاكم واجباً وعلى المحكوم واجباً آخر... فإعطاء المحكومين حقوقهم والعدل بينهم مما يجب على الحكومة. فقال: وهل تظنون أن حكومة الشام تعطي الشيعة حقوقهم؟ فقلنا: وما الذي يمنع ذلك؟ ثم قال: لمن تَدْعون في مساجدكم؟ قلنا: إننا ندعو لملك العرب الملك حسين، فقال: وكيف تقولون برئاسة الملك حسين الدينية وهو سنّي وأنتم شيعة؟ قلنا: لأنه حاز الشروط من حيث كونه قُرَشياً هاشِمِيّاً ولا يمنع من خلافته كونه سنياً»[٧٩].

لم يكن ضم جبل عامل إلى لبنان الكبير نهاية لهذه الآمال، بل بقيت الأكثرية العاملية في جبل عامل تطالب بالوحدة السورية، وقد امتزجت هذه الفكرة في نفوس الأكثرية منهم حتى عدَّ الخارج عنها في سنة ١٩٣٦م خارجاً على الوطن والعروبة، وذهب في سبيل هذه العقيدة الراسخة عدّة شهداء. وقد عبّر العامليون عن مواقفهم بعدّة مناسبات ومؤتمرات اشتركوا فيها.

العامليون والثورة السورية بقي التضامن العاملي مع الحركة الوطنية في سوريا على

(٧٨) مسعود ضاهر، *تاريخ لبنان الاجتماعي*، ص ٥١، سنة ١٩٧٤.

(٧٩) أحمد رضا، *العرفان*، م٣٣، ج٨، ص ٨٥٣.

أشدّه في مقاومة الانتداب الفرنسي، وبقيت شعارات الوحدة مع سوريا تجمع العديد من زعماء وأدباء جبل عامل. لكن في سنة ١٩٢٥ عام نشوب الثورة السورية وُضع هؤلاء العامليون أمام مشاكل عدّة: انقسام طائفي، خوف من مواجهة الجيش الفرنسي، عدم إدراك أبعاد الثورة السورية، رغم شعاراتها الوحدوية.

إرتبطت الثورة السورية ارتباطاً وثيقاً بانتفاضات إقليم البلّان ووادي العجم ووادي التيم، أي بذلك الجزء المحاذي لسوريا والمرتبط اقتصادياً بها وتشده إليها علاقات اجتماعية ومذهبية. وقبيل منتصف تشرين الأول، وفي الوقت الذي كانت المعارك فيه على أشدّها في دمشق وضواحيها وفي القلمون وحماة. وقد خلا جبل الدروز من الفرنسيين تماماً، كان أكثر من ١٥٠ خيالاً يجتازون منطقة دمشق إلى إقليم البلّان أي منطقة جبل الشيخ، فيتخذون من مجدل شمس قاعدة لهم ويباشرون بشنّ هجماتهم ليطهّروا وادي التيم من الفرنسيين ويحرّروا بالتالي الأقضية الأربعة من سيطرتهم[٨٠]. فتداعى فريق من زعماء جبل عامل ومرجعيون للاجتماع في حاصبيا في دار الحكومة حيث تُلِيَ على الوفود الحاضرة خطاب مفتوح موجّه من قائد جيش الثورة العربي زيد الأطرش إلى عموم أبناء الوطن خلاصته إن الثوار قادمون إلى هذه الديار لإنقاذها من النفوذ الأجنبي، وإنهم قاموا باسم الوطن لا باسم طائفة دون طائفة والناس آمنون على أنفسهم وعلى أموالهم ولهم حريتهم الشخصية. وإن الثائرين لم يثوروا على الشعب الفرنسي وإنما ثورتهم على الاستعمار الذي قلب الانتداب إلى استعباد... وإنه يجب على أبناء الوطن معاونتهم لإدراك هذه الغاية ومن يخلّ بذلك يعتبر خائناً للوطن[٨١].

وعلى أثر هذا أُلِّفت لجنة للرد رأت أنه تبيّن للثوار المخاطر من قدومهم نظراً لوجود انقسام بين الأهلين من المنتظر تسويته.

وفي أوائل تشرين الثاني احتلّ الثوار حاصبيا مركز القضاء بدون مقاومة ودخلوها بين أناشيد الرجال وزغاريد النساء وألفوا حكومة وطنية برئاسة نسيب غبريل من أعيان مسيحييها[٨٢] وكان عددهم قد تجاوز ١٥٠٠ فارس، ورفعوا على المنطقة العلم العربي، وكان المستشار الفرنسي قد لجأ إلى شيخ البلد فأمنه وحماه وأوصله مع رجاله إلى النبطية

---

(٨٠) الأقضية الأربعة هي: صور، مرجعيون، حاصبيا، راشيا.

(٨١) ذوقان قرقوط، مرجع سابق، ص ٦٨.

(٨٢) إن قيادة الثورة كانت تحرص دائماً على إظهار الطابع الوطني العربي لا الطائفي لمبادئها. فأمام هجرة

سالمين، وجاءت إليهم الرسل الموالية من أهالي الجديدة والقرى المجاورة من مسلمين ومسيحيين، فلمّا تبين للثوار أن ثمة معارضة مسيحية مسلّحة وتردّداً من قبل الشيعة(٨٣) كفّوا عن دخول مناطق جبل عامل مع أنهم كانوا قادرين. ويُعتقد أن موقفهم هذا جاء نتيجة لإخلاء الفئات الموالية للفرنسيين مناطق جبل عامل والتحاقها بمراكز الجيش الفرنسي في صيدا.

الدستور وردود فعل العامليين على وضعه نتج من جراء اندلاع نيران الثورة في أنحاء كثيرة من سوريا ولبنان أن اضطرب الوضع السياسي والاقتصادي اضطراباً شديداً في البلاد، وظهرت النقمة على أعمال رجال الانتداب في كل مكان، حتى في صفوف أصدقاء فرنسا، فرأت باريس أن لا بد لها من نهج جديد تنتهجه يحول دون التدهور الكامل، فأقالت مفوضها السامي الجنرال سراي واستبدلت به مفوضاً مدنياً من أعلام

المسيحيين من قضاءي حاصبيا وراشيا توجهت قيادة الثورة إليهم بالرسالة التالية: «إلى إخواننا المسيحيين في قضاءي حاصبيا وراشيا المحترمين: بلغنا أن بعضكم داخلهم الخوف من وجود الحملة الوطنية في جوارهم فأخذوا ينزحون توهماً منهم أن الثورة الوطنية قد تصيبهم بأذى فساءنا هذا الخبر وآلمنا جداً لألم أخوان لنا لا فرق بينهم وبين أيّ كان من الطوائف الأخرى، وثانياً لأن عملهم هذا يؤذي شعورنا لما فيه من عدم الثقة بما أسلفناه من البيانات التي أوضحنا فيها حقيقة الثورة الوطنية. ولقد اضطررنا بسبب موقفكم هذا إلى مخاطبتكم بصفة الطائفية على حين أننا لم نفعل ذلك من قبل تنزيهاً للثورة الوطنية من شوائب النزعات البعيدة عن الروح القومية، ولكننا رأينا بعض السذج لم يدركوا الأغراض النبيلة التي ترمي إليها ثورتنا هذه فأسرعنا ببيانها على هذه الصورة تطميناً لهم ونرجو عمّا قريب أن نثبت لكم وللملأ أن حركتنا القومية تستند على مبدأ «الدين لله والوطن للجميع»؛ ذوقان قرقوط، مرجع سابق، ص ١٢٩.

(٨٣) تمت مكافأة المتاولة في مطلع سنة ١٩٢٦ بإصدار نظام أساسي للبنان يتضمن للمرة الأولى اعترافاً رسمياً بالمذهب الشيعي الجعفري وبوضعيتهم كملّة وذلك لعدم تلبيتهم الدعوة للتضامن مع الثوار. أمّا عدم انضمامهم للثوار في مجابهة الفرنسيين على ما يعتقد فإن ذلك طبيعي، لأن بداية الثورة سنة ١٩٢٥ كانت أسبابها المباشرة أن وفداً درزياً سعى في ٢٥ نيسان لمقابلة المفوض السامي لإسماعه شكوى من مظالم الحاكم الفرنسي لجبل الدروز Carbillet ولتذكيره أيضاً أن حاكم الجبل ينبغي أن يكون درزياً حسب اتفاقية سنة ١٩٢١ ولكن المفوض السامي أجاب بمدح Carbillet وبإعلان أن الاتفاقية لا تصلح لشيء سوى أنها مجرد وثيقة تاريخية. إلى جانب ذلك قدم وفد درزي آخر إلى بيروت لمقابلة المندوب السامي لكنه لم يَحْظَ سوى بالاجتماع إلى رئيس المخابرات الفرنسية Major Dentz؛ أنظر: ستيفن هامسلي لونغريغ، ترجمة بيار عقل، *تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي*، ص ٢٠٧، سنة ١٩٧٨ دار الحقيقة، بيروت.

البرلمان الفرنسي هو مسيو هنري دي جوفنيل، أحد أصحاب جريدة *Le Matin* الباريسية، وعندما وطئت قدماه أرض لبنان والثورة في أوجها ألقى خطاباً إيجابياً وتحذيرياً دعا فيه القائلين بالثورة إلى سلوك سبيل التفاوض بدلاً من الحرب، وختمه بقوله: «الحرب لمن يريد الحرب والسلام لمن يريد السلام»(٨٤). ورأى دي جوفنيل أن يؤكد سياسته الإيجابية الجديدة التي جاء ينفذها باسم فرنسا، فزار المجلس التمثيلي اللبناني وخطب خطبة طويلة قال فيها: «إن عهد الاستشارات قد انتهى وسأطلب من حاكم لبنان الكبير أن يدعو مجلسكم إلى دورة استثنائية يضع فيها دستور لبنان»(٨٥). وادّعى المفوض السامي بأنّه سيهيىء في مهلة ثلاث سنوات قانوناً نظامياً لسوريا ولبنان. هذا القانون سيوضع بموافقة السلطات المحليّة وسيأخذ بعين الاعتبار حقوق ومصالح وأمنيات الشعب الذي يعيش على تلك الأراضي(٨٦).

وقد بادر المجلس التمثيلي إلى انتخاب لجنة لوضع الدستور برئاسة موسى نمّور، ومن الأعضاء ميشال شيحا، شبل دموس، عمر الداعوق، يوسف الخازن، فؤاد أرسلان، يوسف سالم، جورج زوين، بترو طراد، روكز أبو ناضر، صبحي حيدر، يوسف الزين، جورج ثابت وعبود عبد الرزاق. ورأت اللجنة أن تقوم باستفتاء شعبي على بعض النقاط المحدّدة فوجّهت إلى رؤساء الطوائف الدينية والموظفين وكثير من الشخصيات والأفراد أسئلة تتعلق بالأسس التي يجب أن يقوم عليها ويرتكز كل دستور.

فكانت الأسئلة على الشكل التالي:

- ما هو شكل الحكم: ملكي، دستوري، أو جمهوري ولماذا؟
- البرلمان يجب أن يتألف من غرفة أو اثنتين ولماذا؟
- الحكومة يجب أن تكون مسؤولة أمام رئيس الدولة أو أمام البرلمان ولماذا؟
- مسؤولية الوزارة يجب أن تكون منفردة أم جماعية أم الشكلين معاً ولماذا؟
- هل يجب أن نتبنى الطائفية أساساً في توزيع المراكز على مجلس النواب ولماذا؟

---

(٨٤) يوسف سالم، **٥٠ سنة مع الناس**، ص ٦٣ ـ ٦٤، سنة ١٩٧٥، وأيضاً بشارة الخوري، **حقائق لبنانية**، ص ١٣٢.

(٨٥) يوسف سالم، **٥٠ سنة مع الناس**، ص ٦٥.

(٨٦) *La Syrie et le Liban sous l'occupation et le mandat français 1919-1927*, Convention du mandat, (24 avril 1922), S. D. N.

• مجلس الشيوخ الجديد سينتخب أم سيعيّن؟

• إذا عيّن فما هو عدد أعضاء هذا المجلس؟[87].

لقد تقبّل المسيحيون هذه الأسئلة بِغِبْطةٍ ورِضىً. لكن المسلمين امتنعوا عن الإجابة على هذه الأسئلة. هذه المعارضة عُبِّر عنها بواسطة العرائض التي وُجّهت إلى رئيس اللجنة الدستورية. ففي ٥ كانون الثاني ١٩٢٦ اجتمع عدد من كبار مسلمي بيروت في دار جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ووضعوا العريضة التالية: «من المعلوم أن مطالب الطائفة الإسلامية التي هي أكثرية في البلاد التي أُلحقت بمتصرفية لبنان منذ إعلان لبنان الكبير، هي رفض هذا الانضمام. والآن فإن الطائفة الإسلامية في بيروت بالإجماع تغتنم فرصة ردود الأسئلة الموجهة إليها في اللجنة الدستورية لأن تعيد تثبيت احتجاجاتها السابقة على إلحاقها بلبنان ورفض الاشتراك في الأسئلة الموجهة إليها من اللجنة المشار إليها في ما يتعلق بسن الدستور اللبناني، وتؤيد وتكرر طلب الرجوع إلى ما كانت تحفظه لنفسها بشأن الالتحاق بالوحدة السورية على قاعدة اللامركزية»[88]. كذلك فعل المجلس البلدي في بعلبك ومسلمو طرابلس وعكار. وأيضاً لم تختلف العريضة التي تقدم بها أهالي صيدا إلى المفوض السامي عن العرائض التي تقدم بها المسلمون عامة وكلها تطالب بالوحدة السورية وبالانفصال عن لبنان الكبير، وقد وقّع هذه العريضة أعيان صيدا وفي مقدمتهم الأديب العاملي صاحب مجلة **العرفان** الشيخ أحمد عارف الزين. أمّا أهالي جبل عامل الشيعة فإنهم كانوا أوّل من ثار بوجه الفرنسيين،وعندما هاجمت القوات الفرنسية مناطقهم لم يروا مساعدة من أحد[89]. وقد عرفت فرنسا أهمية هذه المنطقة فركّزت عليها جهودها واستطاعت استمالة بعض الزعماء عن طريق الإغراء بالمناصب[90] الحكومية وغيرها. ولكن الأدباء العامليين كان لهم دورهم أيضاً. وكل هذه العوامل كان لها تأثيرها في العريضة التي تقدم بها أهالي جبل عامل والتي تنص على ما يلي: «نحن أهالي جبل عامل منذ إلحاقنا بلبنان الكبير ما زلنا نرى الغرم علينا والغنم له ندفع الضرائب ولا ينفق علينا منها سوى القليل حتى نرى حقنا مهضوماً معه فلا نعطى من الوظائف ما نستحقه ومعلوم أن هذا

---

(٨٧) *ملحق النهار*، بيروت، ١ كانون الثاني ١٩٧٥، ص ٤٨.

(٨٨) أمين السعيد، *الثورة العربية الكبرى*، ص ٤١٢.

(٨٩) *العرفان*، مجلد ٣٤، ص ٣٥٧.

(٩٠) فقد كان يوسف الزين الشيعي من جبل عامل عضواً في لجنة وضع الدستور.

الاستئثار شديد على النفوس جداً. لذلك نطلب من عميد الدولة المنتدبة المسيو دي جوفنيل تحقيق آمالنا الراسخة في نفوسنا وهي: فصلنا عن لبنان بإنشاء إدارة مستقلّة تحت إشراف الدولة المنتدبة وإن آمالنا وطيدة بعدل المفوض السامي وإنصافه أن يجيب طلبنا هذا الذي هو حق وعدل».

الموقعون: أحمد رضا، محمد التامر، راشد عسيران، حسين الدرويش، النائب نجيب عسيران، النائب السابق فضل الفضل، علي جابر، سليمان مروة، علي عبد الله، خنجر عبد الله، إسماعيل خليل، محمد جابر، محمود الأمين، السيد علي بدر الدين، سعيد صباح، وأحمد حاج علي[٩١].

ولقد سجل يوسف الحكيم في مذكراته **بيروت ولبنان في عهد آل عثمان**، توجهاً لدى الشيعة نحو الفرنسيين قائلاً: «يتساءل المرء عن سبب لجوء المتاولة الجعفريين إلى القنصلية الفرنسية عند الحاجة، خلافاً للسُّنَّة الذين يرون في شخصية الحاكم العثماني ملاذهم الأوحد. ولعلّ السبب في ذلك يرجع إلى أن الدولة العثمانية كانت، حتى إعلان القانون الأساسي، شديدة التمسك بمذهبها السنّيّ فتفضّل أهل السنة على غيرهم من المذاهب الأخرى، بينما تفتح المراجع الفرنسية صدرها لكل من يلجأ إليها»[٩٢].

أسباب انعقاد المؤتمر السوري الأول بالرغم من جميع الأحداث والتطورات التي جرت في لبنان من إعلان لبنان الكبير إلى إعلان الدستور... تمسّك المسلمون بمبادئهم ورغباتهم التي طالما طالبوا بها وهي الانفصال عن لبنان الكبير والتمسك بالوحدة السورية[٩٣]. وقد جاهروا بهذه المبادىء أكثر من مرّة وفي عدة مناسبات، لكنها ظهرت واضحة خلال رفضهم الرد على الأسئلة التي وجّهت إليهم عند وضع الدستور اللبناني. لكن بعد إعلان قانون الانتخاب السوري في ٢٠ آذار سنة ١٩٢٨ وقّع رئيس الوزراء، بعد اطلاعه على لائحة الانتخاب في ٤ نيسان، قراراً رسمياً رقمه ٣٥ يحدّد عدد الممثلين لكل

---

(٩١) أمين السعيد، *مرجع سابق*، ص ٤١٥.

(٩٢) يوسف الحكيم، *بيروت ولبنان في عهد آل عثمان*، ص ١٢٤.

(٩٣) كان العامليون يعتبرون أن الوحدة السورية تحقق آمالهم من تآخ ومحبة ونشر السلام. وما جاء في **العرفان**، مجلد ٦ صفحة ٤٠٧، يؤكد لنا ذلك: «إن الوحدة السورية أنجح دواء لأدوائنا وأفضل واسطة لجمع قلوبنا ولا يستحسن ضم لبنان الكبير لهذه الوحدة فقط بل حبذا ضم فلسطين وما وراء الأردن هذا اذا اتحدت القلوب وتحسنت النيات».

دائرة سورية، ويوزع المراكز بين مختلف الطوائف الدينية[٩٤]، ممّا يستدعي وضع دستور للدولة السورية. ومن جهة ثانية لم يأخذ الحكام السوريون بعين الاعتبار المناطق اللبنانية المنفصلة عن سوريا سنة ١٩٢٠م. فوجىء المسلمون اللبنانيون عامة والعامليون خاصة بعدم إشراكهم في وضع الدستور السوري مع العلم أنهم كانوا مُمَثّلين في الوزراة التي شكلت في العهد الفيصلي كرضا ورياض الصلح. كما كانوا يعتبرون أن القضية السورية قضية واحدة لا تقبل التجزئة. هذا ما دفع رياض الصلح لعقد مؤتمر في دمشق في ٢٨ حزيران سنة ١٩٢٨ في منزل ياسين بك الجابي، حضرته وفود بلاد العلويين والبلاد التي ضُمّت إلى لبنان القديم. والغاية من عقد هذا المؤتمر في العاصمة السورية الضغط على الجمعية الدستورية من أجل وضع بند في الدستور السوري يؤكد على اعتبار المناطق اللبنانية التي أضيفت سنة ١٩٢٠ إلى جبل لبنان جزءاً لا يتجزأ من سوريا، وقد اتّخذ قرارات تؤكد على النهج الوحدوي الذي طالما نادوا به منذ فترات طويلة.

مقررات المؤتمر لبّت الوفود المدعوة لعقد المؤتمر دعوة رياض الصلح، فكانت تمثل كلاً من بيروت وطرابلس ووادي التيم وعكار والبقاع وبعلبك وتل كلخ، كما جاء وفد من المدن السورية، اللاذقية وطرطوس وبانياس. أما وفود صيدا وصور ومرجعيون وجبل عامل فقد مثّلها رياض الصلح، الشيخ أحمد رضا، الشيخ أحمد عارف الزين، محمد زنتوت، الحاج إسماعيل خليل، يوسف أبو ظهر، توفيق الجوهري، سامي زنتوت، بديع الزين، سعيد عسيران، مراد غلمية، فؤاد الميداني ومحمد الحوماني. وقد انْتُخِبَ رئيساً لهذا المؤتمر بإجماع الآراء السيّد عبد الحميد كرامي، والسيد أحمد عارف الزين والدكتور ملحم الفرزلي سكرتارين، وافتُتحت الجلسة بكلمة للرئيس شكر فيها ناخبيه موضحاً الغاية التي من أجلها عُقِد هذا المؤتمر، وبعد المداولة وُضع البيان ووُقّع من الجميع وهذه صورة البيان:

«إن المسألة السورية هي مسألة كاملة وغير منفصلة نظراً لسكانها الذين يشكلون أمة واحدة بمختلف عناصرهم، متماسكون فيما بينهم مترابطون بروابط العرق، ولا يمكن أن يفصلهم اختلاف الدين أو الشعائر. فبما أن ظروفاً صعبة منعت قسماً من الشعب السوري من الاشتراك بمداولات المجلس المكلّف بإعادة تأليف الدستور وتثبيت القانون النهائي، فنحن أبناء تلك المناطق المحرومة من التمتع بهذه الحقوق، جئنا إلى دمشق عاصمة سوريا

---

(٩٤) Ministère des Affaires Étrangères, *Rapport 1928*, p. 13.

ومركز المبادىء القيّمة ومعقل الوطنيين لكي نعقد مؤتمراً نهار السبت في ٢٣ حزيران سنة ١٩٢٨ وذلك أثناء انعقاد مجلس النواب، وحيث الشعب الفرنسي النبيل سيعلن نصوصاً وأحكاماً تتعلق بخلق روابط متينة وحليفة مع بلادنا وترتكز على الاعتراف بحقوقنا الشرعية(٩٥). فبعد اطلاعنا على المسألة السورية من جميع مظاهرها واستعراضنا المراحل المختلفة التي اجتازتها منذ ٨ سنوات قرّرنا ما يلي:

• إن المؤتمر يوافق على الميثاق الوطني ويطلب من مجلس النواب تحقيق وحدة الأراضي السورية وضم جبل الدروز المعروف ببلاد العلويين، كذلك الأراضي التي ألحقت بلبنان القديم بعد الاحتلال.

• نرجو من مجلس النواب إدخال بند خاص في الدستور ينص على أن سوريا مؤلفة من الأراضي المذكورة أعلاه وأنها دولة مستقلة مطلقة وغير متجزئة.

• إن المؤتمر يبعث بتحياته الوديّة إلى مجلس النواب، ويمنح ثقته التامة إلى الكتلة الوطنية التي تعمل في البلاد كما في الخارج على تحقيق الميثاق الوطني.

هذا القرار سيبلغ إلى رئيس مجلس النواب وإلى المندوب السامي وإلى وزراء الخارجية وعصبة الأمم(٩٦).

المؤتمر الإسلامي (القدس) ١٩٣١ إزدادت حدّة التوتر بين اليهود والعرب في فلسطين، وخاصة بسبب حائط المبكى في القدس حيث وقعت حوادث دامية وعنيفة بين الطرفين. بعدها دعا الحاج أمين الحسيني(٩٧) إلى عقد مؤتمر إسلامي عام في القدس في

(٩٥) André Bruneau, *Tradition et politique de la France au Levant*, Paris 1931, p. 318.

(٩٦) العرفان، مجلد ٣، ص ٤٠٣، عدد ٥، سنة ١٩٤٦.

(٩٧) كان للحاج أمين مكانته المرموقة في نفوس العامليين فقال عنه الشيخ أحمد عارف الزين معدداً مناقبه: «هناك مجاهد كبير عزيز على كل عربي في المشارق والمغارب بل على كل مسلم جاهد وغامر وشرّق وغرّب وشرّد وعذّب في سبيل مبدئه ألا وهو الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر وزعيمها الأوحد ومجاهدها المفرد»؛ أحمد عارف الزين، العرفان، م٢٢، ج٩، ص ٨٢٦.

ويقول نزار الزين نجل الشيخ أحمد عارف الزين «في نهاية الاجتماع طلب الحاج أمين الحسيني من الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء أن يصلي بالمسلمين وبعد إلحاح قبل الشيخ محمد ذلك وألقى خطاباً لقي أعجاباً وتقديراً من الحضور حيث استهله بقوله: «يبنى الإسلام على دعامتين: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة».

شهر كانون الأول سنة ١٩٣١. وكانت أهداف المؤتمر الأساسية لفت نظر الرأي العام الإسلامي إلى المشكلة الفلسطينية، وفي الوقت الذي كان فيه الحماس للمؤتمر يزداد تصاعداً، أخذ خصوم الحاج أمين من السياسيين الفلسطينيين يعملون على إحباطه وذلك من خلال عقد مؤتمر آخر منافس له أسموه «مؤتمر الأمة الإسلامية»[٩٨]. افتتح الحاج أمين المؤتمر الإسلامي بخشوع وذلك بحضور الشخصيات السياسية البارزة في العالمين العربي والإسلامي التي قَدِمَت من ٢٢ قطراً مختلفاً، وأكّد في خطابه أهمية فلسطين للإسلام والمسلمين. وبعد أسبوعين من البحث والدراسة قرّر المؤتمر انتخاب لجنة تنفيذية وإقامة فروع لها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. وأعلن المؤتمر قدسية المسجد الأقصى والأماكن المجاورة له، كما أعلن أهمية فلسطين بالنسبة للعالم الإسلامي وشجب الصهيونية والسياسة البريطانية في فلسطين، واقترح فضلاً عن ذلك إنشاء جامعة إسلامية تسمّى جامعة المسجد الأقصى، وإنشاء شركة أراضي إسلامية لإنقاذ الأراضي العربية والحيلولة دون سقوطها في أيدي الصهيونيين. وأثناء الجلسة الأخيرة للمؤتمر أعلن الأعضاء شجب الاستعمار الغربي، (بما في ذلك الاستعمار البريطاني)، في جميع البلاد الإسلامية[٩٩]، وأثار عدم الاهتمام الذي قابل به البريطانيون مطالب المؤتمر السخط والاستياء، كما أن الفلسطينيين لم يجنوا فيما بعد من انعقاد المؤتمر أية فوائد ملموسة، فقد توقفت اللجنة التنفيذية بسبب ما هيمن على أعضائها من الإهمال والأنانية، وتحوّلت إلى هيئة فخرية غير فعّالة. كما فشل الحاج أمين بجمع التبرعات للجامعة ولشركة الأراضي بسبب نفوذ بريطانيا لدى المسلمين. ونظراً لأهمية هذا المؤتمر عند المسلمين في شتى أقطارهم فمن الطبيعي أن يشارك علماء وأدباء جبل عامل في هذا المؤتمر حيث حضره الشيخ سليمان ظاهر ورياض الصلح والشيخ أحمد رضا.

مؤتمر ١٩٣٢ طالب المسلمون اللبنانيون المؤيدون للانتداب الفرنسي بإجراء إحصاء في لبنان ليبرهنوا أنّ المسلمين ليسوا أقلية في الدولة. وفي ١٩٣٢ جرى إحصاء في جوّ من التوتر الحادّ من قبل جميع الطوائف الدينية «يجب أن نعترف بأن الطوائف الدينية عديدة في لبنان. وأن العامل الديني في هذا البلد له أهميته من الناحية السياسية. وهذا ما يزيد من

(٩٨) عزّة محمد دروزة، *القومية العربية*، ص ٨٦، بيروت، سنة ١٩٥٧.

(٩٩) *المصدر نفسه*، ص ٢٦٧.

تعقيد وارتكاب أخطاء في عملية الإحصاء البشري». فعشية الإحصاء في كانون الثاني ١٩٣٢، اجتمع المسلمون السنّة والشيعة والدروز في مؤتمر عام في نادي الشبيبة المسلم واتفقوا على ضرورة التجاوب مع نداء الدولة بخصوص عملية الإحصاء القائمة على توزيع الحقوق المدنية في الجمهورية اللبنانية.

إنتخب هذا المؤتمر لجنة دائمة مؤلّفة من ثلاثة أعضاء يمثلون الطوائف الثلاثة المسلمة مهمتها اتخاذ الإجراءات الشرعية التي تؤمن سير عملية الإحصاء بطرق سليمة، ولفت نظر ممثلي الدولة المنتدبة إلى حقوق الشعب المهضومة. كانت نتيجة هذا الإحصاء ما يلي: يبلغ عدد الشعب اللبناني ٨٤٧٥٢٦ مواطناً موزعين حسب الطوائف: ١٧٥٩٢٥ سنة؛ ١٥٤٢٠٨ شيعة؛ ٥٣٠٤٧ دروز؛ ٣٥١٨ يهود؛ ٦٣٠١ طوائف متفرقة؛ ٦١٢٩٦ أجانب؛ ٢٢٦٣٧٨ موارنة؛ ٤٥٩٩٩ كاثوليك؛ ٧٦٥٢ أرثوذكس؛ ٦٧١٢ بروتسنت؛ ٥٦٩٤ أرمن؛ ٢٥٧٤ سريان أرثوذكس؛ ٢٦٧٥ سريان كاثوليك؛ ٥٢٨ أرثوذكس.

الميثاق القومي العربي كان المؤتمر الإسلامي يضم عدداً كبيراً من الأعضاء البارزين السابقين في جميعة «العربية الفتاة» «وجمعية العهد» ١٩٠٨ - ١٩١٨، وأقطاب نظام حكم فيصل السابق في دمشق المعروفين بالاستقلاليين، (أعضاء حزب الاستقلال) وكان هؤلاء يحملون وجهات نظر قومية عربية أكثر منها إسلامية، ومن ثم فقد انتهزوا فرصة انعقاد المؤتمر ليبحثوا شؤون الوطن العربي وليضعوا خطة للعمل المنسّق. وقبل يومين من انتهاء المؤتمر الإسلامي اجتمع نحو ٥٠ عضواً منهم في منزل عوني عبد الهادي ووضعوا «الميثاق القومي العربي». وأوضح المؤتمرون في هذه الوثيقة البارزة العواقب السياسية الوخيمة لانقسام العالم العربي وتشرذمه، وقرروا مكافحة الاستعمار والنضال في سبيل استقلال جميع الأقطار العربية وتوحيدها. وانبثقت من هذا الاجتماع لجنة تنفيذية اختير معظم أعضائها من الفلسطينيين، (عوني عبد الهادي وخير الدين الزركلي وصبحي الخضرا وعجاج نويهض وأسعد داغر وعزت دروزة)، مهمتها نشر «الميثاق القومي»[(١٠٠)] وتعميمه والإعداد لمؤتمر عام يضم مندوبين من جميع الأقطار

(١٠٠) جاء نص الميثاق على الوجه التالي:

المادة الأولى: إن البلاد العربية وحدة تامة لا تتجزأ وكل ما يطرأ عليها من أنواع التجزئة لا تعده الأمة ولا تعترف به.

العربية وذلك للبحث عن الوسائل والخطط اللازمة لتنفيذ الميثاق على مستوى شعبي في البلاد العربية كلّها.

مؤتمر ١٩٣٣ في تشرين الثاني ١٩٣٣ عقد في بيروت مؤتمر لمسلمي لبنان فقط. وبعد أن درس المؤتمرون الحالة الاقتصادية والسياسية للمناطق التي يمثلونها، قرروا بالإجماع التظاهر وإثبات مطالب سكان تلك المناطق التي لم تتغير ولم يطرأ عليها أي تعديل منذ الهدنة. وقد رفعوا عريضة مفصّلة يطلبون فيها الانضمام إلى الوحدة السورية وتنص على ما يلي:

«يا فخامة العميد، نحن الموقّعين على هذه العريضة من سكان مدينة بيروت ومدينة طرابلس وملحقاتها ومدينتي صيدا وصور وجبل عامل وملحقاتها الممثلين لأكثرية أرباب الأملاك والتجارة والصناعة في البلاد المذكورة، المضمومة إلى لبنان القديم على غير إرادة منها. نتشرف بأن نقدم لفخامتكم عريضتنا هذه لنطلعكم على الوضع الشاذ الذي وُجِدْنا فيه منذ الاحتلال إلى اليوم ولنبسط لكم شكوانا من الأمور التي لا تتفق مع مصالحنا ورغباتنا في شيء ولا يمكننا السكوت عنها بوجه من الوجوه.

يا فخامة العميد، لقد سبق وقدمنا لأسلافكم في مناسبات عديدة عرائض واحتجاجات أعربنا في كل منها عن عدم رضانا عن ضم بلادنا إلى جبل لبنان القديم ورفعنا مرات عديدة لحكومة فرنسا وإلى جمعية الأمم مطالبنا وبأننا نحرص جداً على أن نكون ضمن الوحدة السورية العامة التي لا حياة لبلادنا بدونها، كما أن مندوبينا في المجلس النيابي اللبناني سنة ١٩٢٦ يوم سنّ الدستور اللبناني احتجّوا رسمياً على إلحاقنا بلبنان القديم. وفي حزيران سنة ١٩٢٨ عقد في دمشق مؤتمر عام اشترك فيه كثيرون من ذوي الرأي والمكانة في البلاد الملحقة بلبنان ومن جملتهم نواب الساحل في المجلس النيابي اللبناني وقرّروا بالإجماع على تجزئة البلاد وعلى إلحاق قسم من البلاد السورية بلبنان القديم.

المادة الثانية: توجه الجهود في كل قطر من الأقطار العربية إلى جهة واحدة هي استقلالها التام كاملة موحّدة ومقاومة كل فكرة ترمي إلى الاقتصار على العمل للسياسات المحلية والإقليمية.

المادة الثالثة: كما كان الاستعمار بجميع أشكاله وصيغه يتنافى كل التنافي مع كرامة الأمة العربية وغايتها العظمى فإن الأمة العربية ترفضه وتقاومه بكل قواها؛ راجع: عبد الوهاب الكيّالي، **تاريخ فلسطين**، ص ٢٩٦.

فالآن يا فخامة العميد جئنا نقدم لكم هذه العريضة لنطلعكم على حقيقة رغباتنا الملخصة بما يلي:

- الوحدة التامة للبلاد السورية وإقامة حكومة وطنية لها السلطة الفعّالة والتي تمثل فعلياً البلاد.
- منح الإدارة الجمركية إلى الحكومة الوطنية.
- السماح للاجئين السياسيين بالعودة إلى بلادهم واشتراكهم المجدي في الحياة السياسية»(١٠١).

مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٠ آذار ١٩٣٦ إن أول مؤتمر عقد بين مندوبين فرنسيين وسوريين كان بفضل تدخل رياض الصلح، وقد قرر المؤتمر سفر مندوبين سوريين إلى باريس للبحث مع الحكومة الفرنسية حول مشروع اتفاق مماثل كالذي وُقّع بين إنكلترا والعراق(١٠٢) وقد اعترف المفوض السامي في بيان أُذيع له في آذار سنة ١٩٣٦ بمبادىء الوحدة السورية ودعا الوطنيين إلى المشاركة في الحكم، ووعد بإجراء محادثات في باريس لتحديد قانون الدولة المنتدبة في المستقبل. كما أذيع بلاغ من قبل المتباحثين في سوريا وُجّه إلى الشعب يدعوهم فيه للركون إلى السكينة لكي يسهل عليهم عملهم. وقد أثارت الحوادث في سوريا لدى المسلمين في لبنان شعوراً بالتضامن والتعاطف نحو الشعب السوري ممّا أحدث ردة فعل لدى المسيحيين وخلق جواً من الصراع الطائفي الحساس في المناطق اللبنانية. في الوقت نفسه أصبحت مسألة التفاوض الفرنسية اللبنانية على بساط البحث السياسي. فضلاً عن ذلك، ففي ١٠ آذار وجّه أهالي النبطية برقية إلى المفوض السامي هذا نصها: «نكرّر طلبنا بالوحدة الممتدة حتى جبل عامل. إن استفتاءً شعبياً حراً يؤيد طلبنا ويرجو من حضرتكم إبلاغه إلى وزارة الخارجية وعصبة الأمم»(١٠٣).

كما أن هناك أيضاً مدينة عاملية هي بنت جبيل وجّهت أيضاً البرقية التالية: «نحن شباب جبل عامل نؤيد الكتلة الوطنية ولا نرضى بأي شيء يعرقل الوحدة السورية»(١٠٤). وكذلك

---

(١٠١) عبد الرحمن الكيّالي، *مراحل الانتداب الفرنسي ونضالنا الوطني ١٩٣٦ - ١٩٣٩*، ص ١١٤، سوريا، سنة ١٩٦٠.

(١٠٢) Homet Marcel, *Histoire secrète du traité franco-syrien*, Paris 1938, p. 104.

(١٠٣) C. P. M., n° 1776, (S. D. N.), Genève le 10 mars 1936.

(١٠٤) 6 A/4892, C. P. M., n° 1469/24, Genève le 12 mars 1936.

فعل ابناء صور الذين وجهوا كتاباً ممّا جاء فيه:«نحن أبناء صور نرجو أن تنقلوا إلى الوزارة وإلى عصبة الأمم تمنياتنا ونعلن إلحاقنا بسوريا التي نضحي بأنفسنا في سبيلها»(١٠٥). وفي ١٠ آذار قرّرت اللجنة التنفيذية لمؤتمر ١٩٣٣ أن يجتمع في بيروت ممثلو المناطق المنفصلة عن سوريا للبحث في الوضع العام، فانعقد اجتماع في بيت سليم علي سلام وتجمّع مندوبون عن جبل لبنان، وأثناء المحادثات، ولأول مرة، ظهر اقتراحان سياسيان، فالأول كان يمثله يوسف يزبك، وهو البحث في تعزيز الاستقلال والحرية التامة دون الإلحاح على الوحدة؛ والثاني يمثله أحمد عارف الزين، وهو الاحتجاج على الالتحاق بجبل لبنان والمطالبة بالوحدة السورية.

بدأ بالكلام رئيس المؤتمر السيد سليم علي سلام، الذي قال بعد الترحيب بالحاضرين قائلاً: «تعلمون أيها السادة أننا في ظروف خطيرة، ففي دمشق العزيزة التي بذلت أغلى ما تبذله الشعوب لتحقيق حريتها واستقلالها سيتألف وفد لمفاوضة الحكومة الفرنسية في مصير البلاد السورية. ولـمّا كنتم من مفكري هذه الأمة ومن مجاهديها المخلصين فقد دعوناكم لعقد مؤتمر نقرر فيه موقفنا نحن أبناء الأقضية والمدن المنسلخة عن أمّنا سوريا. فأرجو أن يتفضل كل منكم بأن يدلي برأيه في هذه القضية».

تناول الكلام من جبل عامل الشيخ أحمد عارف الزين بقوله: «إن هذا المؤتمر ليس الأول من نوعه، فقد عقدنا مؤتمرات كثيرة مثله أذكر منها مؤتمر دمشق سنة ١٩٢٨م، والمؤتمر الأخير الذي عقد سنة ١٩٣٣، وفي كل مرة كنا نحتج على إلحاقنا بالرغم منّا بجبل لبنان وفصلنا عن سوريا. إن الوحدة السورية أيها السّادة هي حيوية لنا، ونحن مهما جرى لا نرضى عنها بديلاً. وإذا كنّا نطالب بها فإنما نسعى ونعمل لها لأنها الخطوة الأولى للوحدة العربية التي ننشدها»(١٠٦). أمّا الشيخ سليمان ظاهر فقد قال: «إننا أيها السّادة على باب انقلابات عظيمة وإذا كنّا لا ننظّم صفوفنا ونعمل لتحقيق رغباتنا فإننا نضيع هذه الفرصة السانحة الآن. إذا كان المؤتمر قد انعقد لتقرير مصير الملحقات وحدها فكان يجب أن لا يدعى إليه اللبنانيون. وإذا كان المؤتمر لجميع البلاد في الجمهورية اللبنانية فيجب أن يشترك الجميع في مقرراته، نحن رجال الدين نطلب الوحدة القومية، وكما حاربنا التفرقة بين السنّي والشيعي فكذلك نحارب التفرقة بين المسلم والمسيحي، إن

---

(١٠٥) 6 A/ 4892, C. P. M., n° 1469/24, Genève le 13 mars 1936.

(١٠٦) *Procès-verbaux du Congrés du Sahel et des quatre quazas*, 10 mars 1936, Librairie al-Ittihad, p. 523.

الوطن لجميع أبنائه. في سوريا الآن استعداد لعقد معاهدة مع فرنسا تضمن للبلاد حقوقها وحريتها فإذا كانت هذه المعاهدة قائمة على أساس الوحدة السورية فمن الواجب أن ينضم أفراد من المنطقة الساحلية إلى الوفد السوري المفاوض ليكون الوفد مُمثِّلاً البلاد بأسرها، وإذا كان لبنان بوضعه الحالي سيعقد هو أيضاً معاهدة مع فرنسا فيجب أن نشترك مع اللبنانيين في المفاوضة»(١٠٧).

قبل انتهاء النقاش طلب كاظم الصلح الكلام معتذراً بأن الطلب جاء متأخراً، متمنياً أن ينتهي هذا الحوار سريعاً، لأن المفوض السامي سيعود قريباً إلى باريس، لكن بالرغم من عناد وتصلّب عادل عسيران وشفيق لطفي وكاظم الصلح فإن المجتمعين اقترحوا النص التالي:

«أثناء الحرب العالمية الكبرى التي وقف فيها العرب إلى جانب القوى المتحالفة، اعتبرنا بأن نتائج هذه الحرب ستؤمّن الاستقلال لبلادنا المقهورة الخاضعة للسيطرة الأجنبية، وأن الحلفاء، وعلى رأسهم فرنسا، قررت أن تدافع وتؤيد تطبيق مبادىء الحرية للشعب واحترام رغباته دون الأخذ بعين الاعتبار القوة أو الضعف، الأكثرية أو الأقلية، لكن في نهاية العدوان وبعد الاضطرابات السياسية غير المنتظرة فإن بلدنا سوريا كانت خاضعة إلى نظام لا يتجاوب مع حاجاتها ولا مع رغباتها. فمنذ الاحتلال لم نتوقف عن الاحتجاج رسمياً وفي مئات المناسبات ضد هذه الحالة، وإعلان حقوقنا المهضومة، وقد كان هذا غرض عدة مؤتمرات ساهم بها العديد من المندوبين الذين يمثلون الأراضي المنفصلة عن سوريا بعد استعراضنا للاضطرابات الحالية، وبعد أن علمنا بتدخل بعض نواب جبل لبنان الذين لا يستطيعون مطلقاً تمثيل المناطق المنفصلة عن سوريا، الذين طالبوا بعقد معاهدة مع فرنسا ملزمين هذه المناطق التي هي من جهة أخرى في تناقض واضح مع سلطة هؤلاء النواب المحدودة والمنتخبين على قواعد لا تسمح لهم بأخذ قرارات من هذا النوع. بالنظر لكل ما تقدم فإن المؤتمر المنعقد في بيروت في ١٠ آذار سنة ١٩٣٦ قرر أن يؤكد دون تحفّظ المطالب التي وردت في المؤتمرات السابقة وعلى رأسها السلطة والوحدة التامة. نؤكد لسعادتكم بأن كل حل آخر ليس له حظ في النجاح»(١٠٨).

---

(١٠٧) *Procès-verbaux du Congrès du Sahel et des quatre quazas*, 10 mars 1936, *op. cit.*, p. 23.

(١٠٨) S. D. N., Comité permanent du mandat, n° 1776, 10/03/1936.

وفي اليوم التالي نشر كاظم الصلح في كتيب وجهة نظره ومعارضته أثناء مشاورات المؤتمر، لقد أشار بأن السعي نحو الوحدة انبثق عن محادثات جرت بين شطري البلد دون الرجوع إلى الخارج[١٠٩].

وفي بيروت، كما في باريس، أثارت المناقشات الكلامية بين اللبنانيين موجة جديدة من الاضطرابات على جميع المستويات، كذلك حدثت اضطرابات في كل من صور وصيدا وقرى جبل عامل.

فمنذ ١٠ نيسان، وهو اليوم الذي أوقف فيه بعض المحرّضين ضد الانتداب في بلدة بنت جبيل، (جبل عامل)، عاد الوضع ليتأزم من جديد. فقد حدثت بعض الاشتباكات بين البوليس والمواطنين الذين حاصروا المخفر حيث لجأ رجال الأمن، وكانت حصيلة هذه الاشتباكات قتيلين من المواطنين وجرح العديد من رجال البوليس.

بعد وقت قصير عادت الاضطرابات من جديد وذلك على أثر انعقاد مؤتمر شيعي في الطيبة، فأقفلت الأسواق في كل من النبطية وصيدا وصور وبنت جبيل. وفي ١٠ نيسان سنة ١٩٣٦ عقد مندوبون عن الطلاب اللبنانيين والسوريين في أوروبا ومندوبون عن الجمعية السورية العربية في جنيف وروما وليون وغرنوبل ولندن ونانسي وتولوز اجتماعاً في باريس (Salle du Palais de la Mutualité; 25, rue St. Victor) توجه خلاله المندوبون إلى عصبة الأمم بنداء مطالبين بتأدية رسالتها الإنسانية إلى جانب الوحدة السورية. ولإعطاء صدى لهذه الاضطرابات تعاون المؤتمرون مع الطلاب الجزائريين والتونسيين والمغاربة في فرنسا.

مؤتمر صيدا سنة ١٩٣٦ في ٥ تموز سنة ١٩٣٦، بينما كانت المحادثات قائمة بين فرنسا وسوريا، عقد القادة المسلمون مؤتمراً في منزل عباس المحمد في صيدا. وحضر هذا المؤتمر مندوبون عن كل من طرابلس وصيدا وصور ومرجعيون والنبطية وبنت جبيل، وتمنّع عن الحضور مندوبون عن مدينة بيروت.

وقّع المجتمعون على مقررات المؤتمر التالية:

«إن تجربة ثمانية عشر عاماً قامت بها السياسة بتجزئة البلاد أتت بأسوأ النتائج وقضت على اقتصاديات البلاد وتجارتها، وبما أن عامة البلاد السورية بكافة طبقاتها ومذاهبها قد

---

(١٠٩) كاظم الصلح، *مشكلة الاتصال والانفصال*، بيروت ١٩٣٦، كتيب من ١٦ صفحة.

شعرت بضرر هذه التجزئة، وخاصة البلاد المنسلخة عن سوريا الملحقة بلبنان على غير رغبة منها، وبما أن تقرير مصير الشعوب والبلاد موقوف على أخذ رأيها وهذا الذي تقضي به الحقوق الدولية ومبادىء عصبة الأمم ووعود الحلفاء لذلك، فإن المؤتمر المنعقد في صيدا بتاريخ ٥ تموز سنة ١٩٣٦ الممثل لمدينة طرابلس ومدن صيدا وصور ومرجعيون والنبطية وبنت جبيل وغيرها، المعروفة بجبل عامل، تستنكر هذه التجزئة الواقعة كما أنكرت ذلك في مختلف الوسائل من عرائض وبرقيات رُفِعَت للمراجع المختصة منذ تقرير التجزئة. والآن بمناسبة المفاوضة القائمة في باريس بين الجانبين السوري والفرنسي لذلك فالمجتمعون يطلبون من فرنسا الحرة وحكومتها الشعبية، بدافع القومية العربية والمصلحة الاقتصادية والاجتماعية ما يلي: تحقيق الوحدة السورية والسيادة الوطنية، ولا نقبل بأي حل آخر.

وإذا اعتقد المندوبون الفرنسيون بأنه لا يوجد هناك إجماع على هذه المطالب فإننا نطلب اللجوء إلى استفتاء شعبي. إننا نمنح ثقتنا للمندوبين السوريين لتحقيق آمالنا»[١١٠]!

وقد انقلب هذا المؤتمر إلى مهرجان وطني عظيم في صيدا كان من نتيجته أن سُجن فريق كبير من أبنائها، ومن بينهم الشيخ أحمد عارف الزين[١١١] الذي أعلن أمام المحكمة في بيروت تمسّكه بالوحدة السورية قائلاً: «إنني أحترم أمتي ووطني منذ خمسة وعشرين عاماً، وإنني أصرّح أمامكم بأنني كنت من المحبّذين للإضراب وأنا مستعد لأحمل كل مسؤولية، وقد رغبت في الإضراب لإظهار شعورنا بتعلقنا بالوحدة السورية وتمسكنا بها»[١١٢].

---

(١١٠) كان الموقعون السادة: رئيس المؤتمر عبدالحميد كرامي، نائب الرئيس الشيخ أحمد رضا، السكرتير أحمد عارف الزين، وسليمان ظاهر، ألفريد أبو سمرا، علي الزين، معروف سعد، علي فياض، عبدالرؤوف الأمين، علي البزري، عباس الحر وغيرهم؛ **العرفان**، نيسان ١٩٤٦، م ٣٢، ص ٤٠٤.

(١١١) وقد حوكم أمام المحكمة المختلطة في بيروت وكان محامي الشيخ أحمد الأستاذ حبيب أبو شهلا موضحاً جهاد الشيخ وتاريخ حياته الحافلة بالتضحيات وقد صدر الحكم وقتها بالسجن أربعة أشهر قضى منها شهرين ثم أخلى سبيله، وكان صدفة في السجن مع الشيخ أحمد أنطوان سعادة مؤسس الحزب القومي السوري في لبنان سنة ١٩٣٢ وفي سجنه كان الزين يؤذن ويصلي أمام المسجونين ويعظهم، وقد قال أنطون سعادة يومها للخوري الذي كان يأتي كل أحد ليعظ النصارى يجب أن تحضروا لنا رجال دين أمثال هذا الشيخ الذي وهو في السجن يعظ ويرشد الناس؛ (عن ابنه نزار، في ٧٩/١١/٢٨).

(١١٢) **المقتطف** الدمشقية، ٣١ آب سنة ١٩٣٦، العدد ٩٣٦.

بعد هذا المؤتمر وجهت جريدة *بيروت* اليومية نقداً لاذعاً للمجتمعين في صيدا، مما حمل مجلة **العرفان** على الرد قائلة: «إن قادة بيروت يتحمّلون مسؤولية الانشقاق بين صفوف المسلمين لأنهم تخلّوا عن المطالب الموحّدة وتركوا أهالي طرابلس وحدهم على ساحة القتال متجاهلين آخر مؤتمر في صيدا».

إن اختلاف وجهات النظر بين القادة المسلمين في بيروت والمناطق الأربعة الأخرى ناتج عن ضرورة اقتصادية، لأن الازدهار الاقتصادي للعاصمة لا يستهدف باقي المناطق المنفصلة عن سوريا. يقول د. سمير صباغ في هذا الصدد:

«لقد اختيرت مدينة بيروت عاصمة للبنان، وكانت الأكثرية الساحقة من عدد سكانها من المسلمين السنّة، وقد خصّت بمرفئها الذي كان أول مرفأ في المنطقة، وكان له أهمية عظمى ودور مهم بتسهيل العلاقات التجارية بين الشرق والغرب. وفي تلك الفترة، أي فترة الانتداب الفرنسي، كانت التجارة الفرنسية مع السوق الداخلية السورية تتم بواسطة التجار البيروتيين، هؤلاء التجار انحدروا من عائلات برجوازية كبيرة من بيروت فأدركوا أهمية وفائدة وجود دولة مستقلة، لهذا بدأوا بتغيير وتلطيف مواقفهم التي كانت معادية لكل حركة تقوم لبناء دولة مستقلة، كما أخذوا موقفاً إيجابياً من الدولة المنتدبة، كذلك أدركوا ضرورة نهج مبدأ الوفاق والتحالف مع جميع الطبقات الاجتماعية المهيمنة على الطبقات الشعبية»[١١٣].

ومن جهة أخرى فإن قناعات سكان هذه المناطق كانت ناتجة عن سببين:

١) قديماً كان اقتصاد المناطق الأربعة متأثراً بالاقتصاد السوري مما شجع على بناء دولة جديدة مستقلة الذي ينتج قطع العلاقات الاقتصادية معها (المناطق الأربعة).

٢) إن أجهزة الدولة الإدارية تسيطر عليها فئة معينة من اللبنانيين الموارنة وذلك دون مشاركة باقي الطوائف اللبنانية الأخرى.

على أثر هذا الاختلاف بين القادة المسلمين، جرى اجتماع في شهر آب برعاية مفتي الجمهورية اللبنانية كانت غايته إعادة الوحدة بين صفوف المسلمين وتحرير عريضة ورفعها

---

(١١٣) Samir Sabbag, *La société politique libanaise et le pouvoir présidentiel*, thèse de sciences politiques, Grenoble 1974, p. 33-34,

إلى الرئيس إدّه تطالب بطرح مواضيع السيادة الوطنية، الاستقلال التام، الوحدة السورية على الاستفتاء الشعبي(١١٤).

مؤتمر ٢٣ تشرين الأول سنة ١٩٣٦ وفي ٢٥ أيلول سنة ١٩٣٦، اليوم التالي لتوقيع الهدنة الفرنسية السورية، عاد المفوض السامي الفرنسي الكونت دي مارتل إلى باريس واستقبله اللبنانيون الموجودون في فرنسا بحماس شديد، خاصّة المؤيدين لاستقلال لبنان وفصله عن سوريا وإقامة علاقات ودية مع فرنسا والدفاع عن أهداف ومصالح السوق الأوروبية في الشرق.

وحسب رسالة ڤيينو(١١٥) بأنه يجب على الدولة اللبنانية تعيين ممثلين عنها لإدارة المحادثات المرتقبة مع فرنسا من جهة أخرى، وبإيعاز وتحريض من رياض الصلح بدأ المسلمون برفع احتجاجاتهم، وعقدوا مؤتمراً وطنياً مسلماً أعلن فيه القادة عدم تخلّيهم عن الوحدة مع سوريا إلّا مقابل الوعد بالتحالف معها(١١٦).

وبالمقابل صرّح الأمير شكيب أرسلان بأن المعاهدة الفرنسية السورية جيدة، «ولكن إذا كان هناك البعض ممّن يشعر بوجود بعض النقص فما عليهم إلّا العمل لتهيئة الجو المناسب لتكملة هذا النقص في شرعية واستقامة. إنني متأكد جداً بأن هذه المعاهدة ستحظى بتأييد كبير من قبل الأكثرية في مجلس النواب السوري»(١١٧).

بعد توقيع المعاهدة الفرنسية السورية بأيام قليلة حدثت اضطرابات وفوضى في مدينة طرابلس. فخلال زيارة رئيس الجمهورية اللبنانية لهذه المدينة قام بعض الشباب والأولاد بالهتافات مطالبين بالوحدة السورية، رافضين الإذعان لأوامر البوليس الذي هاجم المتظاهرين لتشتيتهم وأوقف البعض منهم. وفي اليوم التالي أُغلقت جميع المحلات في طرابلس احتجاجاً على العنف الذي مارسه البوليس. دام هذا الإضراب لمدة ثلاثة أيام تخللها عدة مظاهرات ولكن دون حدوث أي أضرار. كما تكررت اضطرابات في أسواق صيدا وصور وليوم واحد دون أية أهمية(١١٨).

---

(١١٤) جريدة *بيروت*، ١٤ آب، ١٩٣٦.

(١١٥) كان ڤيينو المذكور بمثابة مدير عام مساعد لوزارة الخارجية الفرنسية في عهد حكومة «الجبهة الشعبية» بزعامة ليون بلوم.

(١١٦) *Revue politique et parlementaire*, Paris 1937, p. 95.

(١١٧) *L'Asie Française*, novembre 1936, p. 308.

(١١٨) *المصدر نفسه*.

تُوِّجت هذه الأحداث بعقد مؤتمر وطني إسلامي في ٢٣ تشرين الأول ١٩٣٦ في منزل عمر بيهم في بيروت، حضره حوالي ٤٠ مندوباً عن جميع المناطق اللبنانية درسوا خلاله الحالة الجديدة التي خلقتها المعاهدة الفرنسية اللبنانية.

على أثر نتائج هذا المؤتمر، ولمواجهة الأحداث السياسية الحديثة قرّر المجتمعون بالإجماع ما يلي: «إن المسلمين الذين يؤلفون الأكثرية الساحقة من الشعب اللبناني لم يتوانوا لحظة، منذ بدء الانتداب الفرنسي، عن إبلاغ الدولة المنتدبة وهيئة الأمم بتعلّقهم بالوحدة السورية على الصعيد السياسي كما على الصعيد الاقتصادي وأعلنوا مع بعض العناصر الشعبية اللبنانية السيادة الوطنية والاستقلال التام للبلاد والوحدة السورية».

كانت الصيغة لهذه الوحدة هي أولاً تأمين الوحدة لجميع المناطق السورية منتظرين فيما بعد تحقيق الوحدة التامة لجميع البلاد العربية مؤكّدين من الآن وصاعداً تعلّقهم بالسيادة الوطنية، ولا يرون أية معارضة لقيام تحالف بين هذه البلاد وهي في ظل الانتداب.

وقد وجّه المسلمون نداء حاراً إلى كل من يشاركهم رأيهم، كما دعوهم لتبنّي موقفهم، معتبرين ذلك مرحلة أولى نحو تحقيق رغباتهم الوطنية، هذا الموقف سيكون كذلك متعلقاً بمدى تطوع الانفصاليين لتبنّيهم هذا المبدأ والبدء في التداول مباشرة، لتحقيق تحالف بعد توقيع المعاهدة اللبنانية الفرنسية لا يقل أهمية بشيء عن المعاهدة الفرنسية السورية. ولكن للأسف نلاحظ، بالرغم من جميع المحاولات التي اتُّخذت لإقامة إدارة ثابتة في البلاد، أن هناك بعض الامتيازات الخاصة التي منحت لفئة معينة من المواطنين على حساب الفئات الأخرى، ممّا أثار الحقد والكراهية بين الطوائف، لهذا طالب المسلمون بوضع حدّ لمثل هذه الحالة وذلك بالمعاهدة اللبنانية الفرنسية متأمّلين الاستقلال الإداري بين المقاطعات اللبنانية وتأمين المساواة بين جميع الطوائف اللبنانية المختلفة، وذلك في ممارسة حقوقهم وواجباتهم.

بالرغم من كل الثقة والاحترام الذي منحه المجتمعون للمندوبين اللبنانيين، فقد وجدوا أن من الضروري رفع الاحتجاجات ضد الطريقة التي اتبعت في تسمية المنتدبين التي ليس لها هدف سوى إبعاد المؤيدين للوحدة السورية عن المحادثات الجارية(١١٩).

أخيراً عيّن المؤتمرون لجنة تنفيذية للسهر على تنفيذ قرارات المؤتمر واتخاذ الوسائل

(١١٩) C. P. M., n° 1955, S. D. N., Genève le 28 novembre 1936, p. 24-25.

الضرورية في حالة عدم أخذ هذه القرارات بعين الاعتبار في المعاهدة المقبلة. كلّف المؤتمر اللجنة التنفيذية بالاتصال مع باقي الطوائف الأخرى بهدف البحث عن الموافقة على النقاط المنصوصة في البرنامج، وتقرير الاجتماع في مؤتمر وطني جديد عامّ إذا أمكن الأمر(١٢٠).

بعد أن اعترفت اللجنة بهذه المطالب بواسطة رسائل متبادلة ٦ و٦ مكرر، أخذت الحكومة اللبنانية على عاتقها (بالنسبة للحكومة الفرنسية) الالتزام بضمانة المساواة في الحقوق المدنية والسياسية بين جميع الرعايا ودون أي تمييز،وتوزيع النفقات العامة بنسبة عادلة لمصلحة المواطن بين مختلف المناطق.

وفي رسالة متبادلة، عدد ٦ مكرر، نصّت على تطبيق برنامج تصحيحي للإدارات وتوحيد النظام المالي، هذه الإجراءات الأخيرة اتُّخذت لإلغاء بعضٍ من عدم المساواة الموجودة في نظام جمع الضرائب بين الأراضي القديمة المستقلة عن جبل لبنان والأراضي المنضمة إلى لبنان عام ١٩٢٠(١٢١).

أثناء المحادثات اللبنانية الفرنسية أعلن بعض وجهاء جبل عامل تأييدهم لكيان الدولة اللبنانية، وفي ٢٩ تشرين الأول سنة ١٩٣٦ تلقى المندوب السامي في بيروت البرقية التالية:

«نحن الأكثرية السّاحقة نعبّر عن تمنيات سكان جبل عامل، لا نرضى بديلاً عن لبنان بحدوده الحالية ونرفض الولاء لبعض أبنائه الذين تنقصهم الصداقة ويُشْتَرَوْنَ بالمال باسم أبناء جبل عامل. نرجو تحقيق رغباتنا ونقل مطالبنا إلى وزارة الخارجية وإلى هيئة الأمم».

من جهة ثانية أعلن أهالي بلدة بنت جبيل في برقية موجهة إلى المندوب السامي رفضهم القاطع لكل اتفاق لا يأخذ بعين الاعتبار استقلال لبنان الاقتصادي والسياسي(١٢٢).

---

(١٢٠) اللجنة التنفيذية كانت مؤلّفة من الشيخ أحمد عارف الزين، الشيخ أحمد رضا، سليم علي سلام، عمر بيهم، رياض الصلح، سليم طباره، عبد الحميد كرامي، بهيج الجوهري، يوسف أبو زهر، الأمير شكيب أرسلان، فؤاد نكد، علي بزي، الشيخ إبراهيم الخطيب، فريد حيدر، عواد فاضل، توفيق حلاوي، الحاج نجيب بكّار، خالد عبد القادر، محمد أبو عرب، الحاج علي بيهم، الأمير إسماعيل شهاب، الشيخ سعد قيس، السيد محمد مرتضى، الدكتور عز الدين الرفاعي؛ جريدة النهار، ٢٦ تشرين الأول، سنة ١٩٣٦.

(١٢١) Ministère des Affaires Étrangères, Rapport à la S. D. N., Genève, 1936, p. 12.

(١٢٢) وقع هذه البرقية كل من: محمد سليم بزي، حسن بزي، موسى إبراهيم بيهم، محمد علي السيد.
C. P. M., n° 1955, Genève, S. D. N., le 7 novembre 1936.

أدباء جبل عامل والقضية الفلسطينية قبل تنفيذ معاهدة سان ريمو لم تكن هناك حدود تفصل جبل عامل عن فلسطين، بل على العكس كانت ولاية صيدا أيام العثمانيين تشمل معظم شمال فلسطين، وكذلك ولاية عكا كانت تشمل معظم جبل عامل، والعلاقات الاقتصادية بين جبل عامل وفلسطين كانت متكاملة بين الطرفين. من هنا فإن أحداث فلسطين قد أثرت بالعامليين أكثر من غيرهم، لذلك فإنّه من النادر أن نرى شاعراً أو أديباً عاملياً لم يتناول قضية فلسطين في شعره أو في بحثه. ولم يترك العامليون مناسبة من أجل فلسطين إلّا وكانت مشاركتهم بها فعّالة وكيف لا، وهم الذين شاركوا في القتال على أرض فلسطين مع إخوانهم الفلسطينيين، فعلى أثر ما قام به الصهاينة في فلسطين من اغتيال شخصيات عربية بارزة ومطالبتهم الإنكليز بتحقيق وعد بلفور بإيجاد وطن قومي لهم في الأراضي المقدّسة، جرت مظاهرة ضخمة في صيدا في ٢٦ آب سنة ١٩٢٩ ضمّت آلاف المتظاهرين من جميع أنحاء جبل عامل، وسار في طليعة المظاهرة القضاة والعلماء والوجهاء، كما انضم إليها الآباء الموارنة مع العديد من أبناء طائفتهم والكهنة الكاثوليك والأرثوذكس مع بقية أبناء الطوائف المسيحية، وهم يحملون الأعلام الخاصة بكنائسهم، وارتفع فوق رؤوس المتظاهرين أربع يافطات كبيرة كتب عليها:

١) يعيش الاتفاق المسيحي الإسلامي.

٢) تحيا فلسطين عربية.

٣) لتسقط الصهيونية.

٤) يسقط بلفور ووعده.

وكان المتظاهرون ينشدون الأناشيد الوطنية ويرددون الهتافات بوحدة الصف المسيحي والإسلامي(١٢٣).

وعلى أثر تسهيل هجرة اليهود من قبل البريطانيين، تحقيقاً لإقامة وطن صهيوني في فلسطين(١٢٤)، وأثناء إعلان الشيخ عز الدين القسّام الثورة في فلسطين سنة ١٩٣٦ ضد

---

(١٢٣) منير الخوري، *صيدا عبر حقب التاريخ*، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، سنة ١٩٦٦، ص ٣٣١.

(١٢٤) بهذه المناسبة نبّه الشعراء العامليون، ومنهم الشيخ أحمد رضا، من الأخطار التي ستحدث في فلسطين من جراء الهجرة فنظم قصيدة دعا فيها العرب إلى مشاركة إخوانهم الفلسطينيين مشاركة فعّالة.

الإنكليز والصهاينة وسقوط مئات الشهداء على أرضها، وإعلان الإضراب الذي دام ستة أشهر، تَنادى الشباب الوطني في جبل عامل إلى تشكيل لجنة تمدُّ يدَ المساعدة للمجاهدين. فتألفت من الشيخ أحمد عارف الزين، وتوفيق الجوهري، ومعروف سعد، ومحيي الدين البزري، وسليم الزين، وغيرهم.

وعمدت هذه اللجنة إلى تشكيل لجان فرعية لجمع التبرعات ومراقبة الطرقات لمنع تسرب الخضار واللحوم إلى الصهاينة، وعندما أخذت هذه اللجان تمارس صلاحياتها وأعمالها الموكولة إليها، أصدرت السلطة الفرنسية مذكرة توقيف بحق بعض الشبّان الذين قاموا بهذه الأعمال من اعتداء على السيارات التي تنقل الخضار والمؤن إلى يهود فلسطين[١٢٥].

وعلى الأثر خرجت الجماهير في مظاهرة كبرى شارك فيها الوجهاء والأعيان من البلاد، وانتهت المسيرة إلى سراي الحكومة، ولمّا وصلت إليها أقفلت أبوابها. عندئذ تألف وفد من الشيخ أحمد عارف الزين وسعد الدين الصلح والشيخ توفيق الجوهري والحاج علي البزري وغيرهم، لمقابلة المحافظ والمستشار طالبين إطلاق سراح المعتقلين[١٢٦]. وفي اليوم التالي جرت أيضاً مظاهرة كبرى في صيدا سار في مقدمتها الشيخ أحمد عارف الزين والدكتور رياض شهاب وتوفيق بك الجوهري وغيرهم من الوجهاء، والجميع يهتفون لفلسطين مطالبين بإطلاق سراح المعتقلين. ولمّا كانت المدينة قد أضربت بدون إنذار فقد أصبح الفقراء في حاجة شديدة إلى المواد الغذائية، عندها تألفت لجنة لدرس القضية على رأسها الشيخ أحمد عارف الزين وتوفيق الجوهري وغيرهم وأمّنوا جميع حاجات الأهالي الغذائية.

أما بالنسبة للمعتقلين فقد تابع أعضاء الوفد مساعيهم للإفراج عنهم حتى أُخْليَ سبيلهم بكفالة مالية، وعند خروجهم من السجن كانت الجماهير الغفيرة بانتظارهم فاستقبلوهم استقبالاً حافلاً خطب فيهم الشيخ أحمد عارف الزين، ونزيه البزري وعادل عسيران. ومن ثم عادت البلاد إلى حياتها العادية، ولكن الاجتماعات والمؤتمرات السرّية تأييداً للوحدة السورية ولفلسطين لم تتوقف، وكانت تعقد في بيت كل من الشيخ أحمد عارف الزين

---

(١٢٥) النهار، العدد ٨٣٠، ٥ حزيران، سنة ١٩٣٦.

(١٢٦) شفيق الأرناؤوط، *معروف سعد: ثورة ونضال*، ص ٧٢ سنة ١٩١١.

وهلال الجوهري وعادل عسيران، ويحضرها عبد الحميد كرامي وكاظم الصلح وعلي ناصر الدين والدكتور رياض شهاب. وفي ١٢ تموز سنة ١٩٣٦ انطلقت تظاهرة سلمية في صيدا نحو سراي الحكومة ومكتب المستشار الفرنسي للاحتجاج على سياسة الإرهاب التي تستعملها سلطات الانتداب ضد رجال الحركة الوطنية والثورة الفلسطينية، واشترك في هذه المظاهرة أكثر قرى جبل عامل. وقد هتف المتظاهرون بالوحدة السورية والتضامن مع الفلسطينيين فأطلق الجنود عليهم النار إرهاباً، فقتل من جراء ذلك المواطن عبد الحليم الحلّاق إضافة إلى جرح بعض الفتيات اللواتي ما لبثن أن توفّين. عندها قررّت صيدا الإضراب المفتوح احتجاجاً، وأرسلت إلى بيروت وفداً تألف من الشيخ أحمد عارف الزين وراشد عسيران وعبد الهادي الصلح والشيخ سعد الدين الصلح مفتي صيدا والسيد يوسف أبو ظهر وغيرهم، ليقدموا استنكار الأهلين لذلك البطش والإرهاب. وقد قابل الوفد رئيس الجمهورية محتجاً على قائد الدرك الياس مدور الذي أمر بإطلاق الرصاص، وأُرسلت برقيات عديدة من جميع أنحاء جبل عامل يحتج فيها مُرسِلوها على قتل الشبان والفتيات ويطلبون كف يد المدوّر[(١٢٧)].

وأثناء تشييع الشهداء في صيدا اشتركت جماهير غفيرة ووفود من جميع الأنحاء، وقد اشترك من جبل عامل وفد مؤلّف من أدبائه ووجهائه، منهم الشيخ أحمد رضا وسليمان ظاهر والشيخ علي الزين والدكتور بهجت ميرزا وأحمد بزي ومحمد صفي الدين وألفرد أبو سمرا وغيرهم الكثير، وقد رثى عدد كبير من الخطباء الشهداء وحَمَلوا على السلطة والانتداب، منهم الشيخ أحمد عارف الزين والشاعر موسى الزين شرارة وعبد الحميد كرامي وجميل العازوري. وأصرّ أهالي صيدا وجبل عامل المثابرة على الإضراب إضراباً شاملاً إلى أن يجري تحقيق نزيه في الحوادث وينال المسؤولون جزاء ما ارتكبته أيديهم. وتألفت لجنة من الشيخ أحمد عارف الزين والحاج علي البزري وكاظم الصلح وعادل عسيران وذلك للإشراف على تنظيم الإضراب وتقرير مصيره وجمع الإعانات للمنكوبين، ولكن قبل تحقيق مطالب الأهالي بمعاقبة مرتكبي الحوادث فوجئوا بإصدار ثماني مذكرات توقيف أصدرها المستنطق الفرنسي المسيو تمبال بحق جماعة من وجوه وشباب أبناء الجنوب، فكان من جملة المعتقلين الشيخ أحمد عارف الزين، ونُقِل الجميع مخفورين إلى

---

(١٢٧) النهار، العدد ٨٣٢، ٨ حزيران، سنة ١٩٣٦.

بيروت[١٢٨]. وما إن علم الناس بهذه الاعتقالات حتى هبّت موجة من الاستياء وأعلنت البلاد الإضراب المستمر، ثم ذهب إلى بيروت وفد مؤلف من السيد راشد عسيران والشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر والشيخ عباس الحر وبهيج الجوهري والدكتور رياض شهاب لمقابلة رئيس الجمهورية، مطالبين بإلغاء كل ما من شأنه التعرّض لحرية القول والكتابة... ثم تعرّض الوفد للبلاغ الذي أذاعته الحكومة تهدد فيه الصحف بالتعطيل إذا تعرّضت للكيان اللبناني... كما طالبوا بإطلاق سراح المعتقلين.

وأثناء الاحتفال بذكرى أسبوع وفاة الشهيد عبد الحليم الحلّاق استغل المحتفلون هذه المناسبة وبدأوا يهتفون مطالبين الاستمرار في الإضراب ما دام المعتقلون في السجن، ثم ساروا في شبه مظاهرة اصطدموا عندها برجال الشرطة ووقعت معركة بين الطرفين أسفرت عن إصابة بعض المتظاهرين واعتقال عدد منهم.

وهكذا نرى أن اعتناق أهالي الجنوب للفكرة القومية العربية وإيمانهم بها جعلهم يضحّون حتى بنفوسهم من أجلها. وقد أجرت جريدة *بيروت* تحقيقاً عن الاضطرابات في صيدا وجبل عامل تحت عنوان «يقظة الجنوب» قالت فيه: «على الرغم من الإهمال البادي في الثقافة، فقد وُجِدَ أفراد متنورون حاولوا إيجاد يقظة فكرية في الجنوب وقد نجح هؤلاء الأفراد إلى حد بعيد ساعدهم في ذلك انتشار الصحافة في القرى... وقد كان للحوادث في المشرق العربي، (العراق مصر والشام)، أثر فعّال في إذكاء هذه اليقظة فإذا بسكان الجنوب تنبثق في نفوسهم روح الحماس وإذا هم يعتنقون الفكرة القومية الصحيحة ألا وهي الفكرة العربية. ومن أسباب النقمة في الجنوب كان نظام الحصر أو المونوپول الذي أدّى إلى حرمان الجنوب من زراعة كمية كبيرة من التبغ التي كان يتمتع بزراعتها قبل الحصر، بالإضافة إلى أن التسعير الذي فرضه المونوپول لا يتساوى مع أسعار المحصول اللبناني. وكان الغبن اللّاحق بمزارعي بنت جبيل كبيراً فقاموا بمظاهرات قمعتها السلطة وأدّت إلى أربعة قتلى وخمسة عشر جريحاً، فأضربت مدن الجنوب كلها وكان الإضراب شاملاً بصورة خاصة في صيدا»[١٢٩].

وعن الحوادث في بنت جبيل تقول جريدة *بيروت*: «إن أهم سبب في حوداث بنت

---

(١٢٨) منير الخوري، *صيدا عبر حقب التاريخ*، ص ٣٣٣.

(١٢٩) جريدة *بيروت*، ٢٨ تموز سنة ١٩٣٦.

جبيل كان توقيع عريضة في سبيل طلب الوحدة وعريضة ضد نظام تجارة المونوپول، هذا وهناك عوامل كثيرة مترابطة أدّت إلى الاضطرابات الأخيرة في صيدا. فأثناء قيام احتفال بأسبوع شهداء بنت جبيل ألقيت خطب كثيرة وكان من جملة الخطباء عادل عسيران. والظاهر أن السلطة رأت في خطابه ما يمس كرامتها فاعتقلته بحجة أن خطابه كان مهيّجاً وحُكم عليه بالسجن أسبوعاً، وقد أدّى ذلك إلى تجديد الإضراب والقيام بالمظاهرات المتوالية بصورة أشدّ من الأول... وفي أثناء ذلك كانت حوادث فلسطين قد تطورت وأثرت على الشعب في الجنوب بسبب الارتباط والعلاقات الاقتصادية الوثيقة بين البلدين، وقد نشأت فكرة منع تصدير الخضار واللحوم للتضييق على أعداء العرب، نجم عن ذلك الاعتقالات الكثيرة وتجدّد الإضراب والمظاهرات في الجنوب»[١٣٠].

لم تقتصر مشاركة العامليين لإخوانهم الفلسطينيين في محنتهم بالمظاهرات والاحتجاجات فقط، بل تعدّتها إلى المشاركة الفعلية والاستشهاد معهم على أرض فلسطين، فعندما احتدمت المعارك احتداماً عنيفاً في جميع جهات فلسطين أبدى القائد فوزي بك القاوقجي بطولة رائعة بمساعدة فريق كبير من ضباط العرب بينهم المقدم محمد صفا[١٣١] من زبدين، (جبل عامل)، كما استشهد في حيفا شاب عاملي من بنت جبيل اسمه محمد قاسم الزقلوط[١٣٢]. كما انصبّت جهود العلماء والشعراء منهم لدعوة العرب والمسلمين إلى الجهاد من أجل فلسطين قبل أن تضيع وتكون بداية لانهيار العرب والمسلمين[١٣٣]. ومع بداية أحداث فلسطين في الثلاثينات والأربعينات نادراً ما خلت قصيدة لشاعر عاملي من ذكر فلسطين وتصوير مأساة شعبها.

فعندما جاء قرار مجلس الأمن بالتقسيم وقال العرب «كلّا» وأعدّوا العدّة للتدخّل العسكري، نَظَمَ السيد حسن الأمين لهذه المناسبة قصيدة بعنوان آمال يقول فيها:

---

(١٣٠) *المصدر نفسه*.

(١٣١) محمد صفا هو نجل الشيخ أسد اللّه صفا قاضي صيدا الجعفري، *العرفان*، م ٣٤، ج ٥، ص ٧٩١.

(١٣٢) *العرفان*، م ٣٤، ج ٢، ص ٣٠٧، سنة ١٩٤٧م.

(١٣٣) إن نائبين لبنانيين عامليين تطوّعا في سبيل نصرة فلسطين هما الأستاذ نصار غلمية والسيد محمد علي غطيمي.

طِيبي فلسطينَ الأبيّة وأسْلَمي | وطَناً لهُ يغنو الزمانُ ويُطْرِقُ
اليَعْرُبيّون الأُباةُ تَواثَبوا | من كُلِّ فجٍّ للوَغى وتَدفَّقوا
نَسَلَتْهُمُ الصَّحْراءُ أبْطالاً إذا | ساروا إلى غاياتِهم لمْ يُلْحَقوا

ثم يعود ليخاطب من يدّعي العدل قائلاً:

قُولوا لِمَنْ مَلأَ الزمانَ تَشَدّقاً | بالعَدْلِ أينَ العدْلُ يا مُتَشَدِّقُ
أمِنَ العدَالةِ أن تُقسَّمَ أرضُنا | ويُبادَ فيها قومُنا ويُمَزَّقوا
صَبْراً فلسْطينُ الصَّبورُ لقدْ دَنا | يَوْمٌ يُمِضُّ الظالمينَ ويُرهِقُ(١٣٤)

أما الشاعر محمد علي الحوماني صاحب مجلة **العروبة**، فيخاطب بغداد ومصر والشام معزّياً قائلاً:

عَزِّ بَغْدادَ ومِصْراً والشّآما | منْ رَمى القدْسَ رمى البَيْتَ الحَراما
هاتِ عَنْ يافا وحَيْفا خَبَراً | يَخْنُقُ العَبْرةَ أو يُطْفي الأواما
عَبَثَتْ بها يَدُ البَغْيِ فَلَمْ | تَعْفُ عن شَيْخٍ ولَمْ تَرْحَمْ غُلاما

ثم يعود ليذكّر بلفور بما صنعه وكان سبباً في تقتيل الأبرياء والأطفال:

قُلْ لبلْفور وقَدْ حالَتْ عَلى | فَمِه دَمْعَةُ عَيْنيْها ابْتِساما
وَرمَتْ كَفّاه في تَوْقيعِه | غَرَضَ الحَقِّ فَسَجَّتْه رِماما
قُلْ لَهُ ما شِئتَ فاخْضِبْ أرضَنا | مِن دَمِ الأحْرار أو دَمْعِ اليتامى(١٣٥)

وهذا الشاعر إبراهيم شرارة تهتزّ مشاعره وعواطفه لما أصاب فلسطين فيقول:

في فلسطينَ لئيمٌ مُجْرِمٌ | أعْمَلَتْ كفّاه في القدْسِ نهابا
مَهْد عيسى وأماني مريمٍ | وسَما المِعْراجِ تَأبى الاغْتِصابا
فَسَلينا الروحَ وهي المُرْتَجى | نَبْعَثِ الرّوحَ وإنْ عَزَّتْ جَوابا
ليْسَ يَهْدأ الدَّمُ مِنْ فَوْرتِه | قبْلَ أنْ تُعْطى فلسطينُ الرِّغابا(١٣٦)

وهذه الشاعرة زهرة الحر تدعو لتحطيم قيود العبودية ونصرة فلسطين السليبة لأننا أمّة لا تقبل الضيم والهوان أبداً:

---

(١٣٤) حسن الأمين، من بلد الى بلد، سنة ١٩٧٣.

(١٣٥) محمد علي الحوماني، مجلة **العروبة**، الجزء الثاني، شباط سنة ١٩٤٧، ص ١.

(١٣٦) **العرفان**، م ٣٤، ج٤، ص ٥٥٢.

يَا فلسطينُ آطمئنّي إنّنا أُمَّةٌ تَحْمي حِماها والدِّيارا
أُمّةٌ لا تَألَفُ الضَّيْمَ ولا تَرتَضي في العيْشِ هَوْناً وصَغارا
أُمّةَ العُرْبِ انجديها بُقْعَةً هامَتِ الإسْلامُ فيها والنّصارى
شَرُفَتْ أرْضاً وطابَتْ تُرْبَةً في النَبيّينَ وفي خَيْرِ العَذارى
يا رِجالَ العُرْبِ لا تَعْتَذِروا لَيْسَ مِنْ يَعْرُبٍ مَنْ رام اعْتِذارا(١٣٧).

إن وعد بلفور الذي طُرح على العالم العربي بثقله، أثار النفحة القومية لدى شعرائنا، فنظم الشاعر الوطني الشيخ سليمان ظاهر قصيدة بعنوان «وعد بلفور» هذا بعض منها:

لا يَغْتَرِرْ بالمُنى أبْناءُ صَهْيُونِ فَوَعْدُ بلفور وعْدٌ غَيْرُ مَضْمُونِ
سَائِلِ بريطانيا ماذا جَنَتْ يَدُها وما تُحاوِل مِنْ تَمْليكِ صَهْيُونِ
جاسوا خِلالَ دِيارِ العُرْبِ مُخْصبَة بالْغُلْبِ تَحْتَ اسْمِ تَثْقيفٍ وتَمْدين(١٣٨)

ثم يخاطب الإنكليز الذين هم السبب فيما حصل وفيما سيحصل بفلسطين التي أصبحت موطناً للصهاينة، فيما العرب يُجْلَوْنَ عن أرضهم بالقوة فيقول:

العَدْلُ عِنْدَ الإنكليزِ بأن تَرى دارَ القَريب غَنيمَةً للأبْعدِ
العربُ تُجْلى عَنْ فلسْطين لكيْ تُمسي مَراحَ الأوفدِ المُتَهَوِّدِ
وعَدوا بَني صَهْيونَ وعْداً مُنْجَزاً لكِنْ بِهِ لِلْعُرْبِ خُلْفُ المَوْعِدِ
أبِصُنْعِهِمْ يَرْضى المَسيحُ وأحمدٌ ولَقَدْ أساؤوا لِلْمَسيحِ وأحْمَدِ(١٣٩)

أمّا الشاعر موسى الزين شرارة فيبكي على ضياع مجد أمته الحافل بالبطولات، ويبكي على ضياع فلسطين من العرب، مذكّراً أبناء قومه بما وصلوا إليه من عزّة وإباء، وبما يحيق بهم الآن من هوان وتشريد، فيقول:

ضاعَتْ فلَسْطينُ فَلْنَنْدُبْ فلسْطينا هاتِ الدّمُوعَ دِماءً يا مَآقينا
لا تَذْكُرِ اليَوْمَ قحْطاناً ولا مُضَراً ولا تَقُلْ بَغْدُ هَاروناً ومَأمونا
نَحْنُ أحْفادُ مَنْ تَلِدُ العُروشُ ومَنْ سَادوا المُلوكَ قَديماً والسَّلاطينا
نَحْنُ أحْفادُ مَنْ شَعَّتْ حَضارتُهُم على البَسيطَةِ عِرْفاناً وتَمْدينا
ماذا يَقولُ صَلاحُ الدينِ إنْ سَمِعَتْ أُذناه أنَّا أضَعْنا أرضَ حِطّينا

(١٣٧) مخطوطة تقدمة الشاعرة.

(١٣٨) الفلسطينيات، وعد بلفور، ص ٥. نشرت أيضاً في جريدة المقتبس، الدمشقية سنة ١٩٢٩م.

(١٣٩) المصدر نفسه.

وأنّــنــا الـيَــوْمَ لا دارٌ ولا سَــكَــنٌ   مَعَ الوحوشِ قِفارُ الأرْضِ تُؤْوينا[١٤٠]

ولم تفت قضية فلسطين علماء ومهاجري[١٤١] جبل عامل بل أثارت حميّتهم. فوجّه السيد العالم محسن الأمين نداءً إلى أبناء العرب للجهاد ونصرة فلسطين بعنوان «إلى الجهاد من أجل فلسطين» جاء فيه:

«أيها العرب، أيها المسلمون، إنّ لكم في فلسطين تراثاً زاخراً بالمفاخِر والمآثر وهي الآن تستفزّ عزائمكم وتستصرخ نجدتكم لنصرتها. ففي كل ناحية فيها دم وقتل وتدمير وخوف وذعر، وفي كل مكان جرحى وقتلى وثكلى ومفجوعون. وإن بني أبيكم يدافعون دفاع المستميت فلا تبخلوا عليهم بالقليل وقد بذلوا الكثير من المال والأرواح والبنين فوالله لا يستسيغ الغمض من بات وأخوه مفترش القَتاد وأيّ لذّة للعيش والبلاء محيط والقلق مساور»[١٤٢].

كما وجه المهاجر العاملي علي عباس خليل نداءً للعامليين قال فيه: «أجل أخوتي، أسْرعوا إلى فلسطين، إلى ساحات الشرف والمجد، لعمري هذا هو اليوم العصيب الذي تُدّخَر لأجله القوى ويكنز من أجله المال... لا بخل اليوم في الأرواح والأموال. لنُثبت إلى الملأ بأن العربي نهض من سباته وأصبح باستطاعته الدفاع عن نفسه، وباستطاعته أيضاً أن يُرجع ذلك المجد المفقود، مجد العرب الغابر، لبيك يا فلسطين لبيك! ها هو صوتك الصارخ قد وصل إلى أذن المهاجر العربي في أقطار الأرض، وها هي الأموال يتبرّع بها المهاجرون لنصرتك»[١٤٣].

وقد كان لأقوال الأمير شكيب أرسلان ومواقفه من القضية الفلسطينية قدوةٌ للعامليين يتمثّلون بها ويُردّدونها. فهذا عامليٌّ ينقل لنا كلمة للأمير من مقالة قالها سنة ١٩٣٨: «إذا سقطت فلسطين أصبحت الأمة العربية أثراً بعد عين لأن القضية الفلسطينية ليست قضية عرب فلسطين وحدهم، وإن هذه المصيبة إذا تمّت عليهم لا ينحصر أثرها بهم وينقرضون في فلسطين كما انقرض عرب الأندلس بل قضية فلسطين هي فادحة

---

(١٤٠) العرفان، ج٥، م ٣٦، ص ٤٩٢

(١٤١) عندما عاد النائب عادل عسيران من أميركا بعد أن مثّل لبنان في هيئة الأمم المتحدة قال: «إن مهاجري جبل عامل كثيرو الاندفاع والحماسة لكل قضية حيوية وخاصة لقضية فلسطين» العرفان، ج٤، م٣٤، ص ٦٣٧.

(١٤٢) العرفان، ج٤، م ٣٤، ص ٦٢١.

(١٤٣) العرفان، مجلد ٤، جزء ٣٤، صفحة ٦٢١، سنة ١٩٤٨.

عامة للعالم العربي بأسره بل للعالم الإسلامي بحذافيره بل للعالم المسيحي معه»(١٤٤).

هكذا كان العامليون، أدباء وعلماء ومهاجرين، مندفعين ومتحمسين للقضية الفلسطينية ولكل قضية عربية وإسلامية، فعملوا على نصرتها بكل ما في وسعهم وبحسب الوسائل التي كانت تتوفّر لديهم، فكانت إمّا عن طريق المشاركة الفعّالة في المؤتمرات والجمعيات والندوات السياسية التي كانت تعالج هذه القضايا، والتي كانت تهدف إلى توحيد كلمة العرب والمسلمين وجمع شملهم ضدّ كلّ عدوّ متربّص بهم، وإمّا عن طريق نظمهم القصائد والأشعار الحماسية ونداءاتهم التي تثير عواطف الشعب وشعوره، فيندفع مضحياً بما يستطيع التضحية به من أجل القضايا المشتركة.

كان عام ١٩٣٦ نهاية للخلاف الحاصل بين المسلمين والمسيحيين حيث قبلوا بالتعايش ضمن الكيان اللبناني وكانت المؤتمرات التي عقدت الدليل على عمق الخلاف في الطرح بين أنصار الكيان اللبناني والوحدة السورية، خلال ذلك كان التقاء على صعيد القيادات السياسية للطوائف. لكن القواعد الشعبية بقيت بمعزل عن هذا الاتفاق، وبقيت شعاراتها الطائفية الخاصة بها. هذا ما يفسّر ولادة الأحزاب اللبنانية مثل الكتائب بين أوساط الموارنة، والنجّادة بين أوساط السنّة.

ورغم أن القيادات السياسية للطوائف الدينية استطاعت أن تمسك بالنظام اللبناني وتتعايش فيما، بينها بقيت مسألة تطبيق ما اتفق عليه في الرسالتين ٦و٦ مكرّر للمعاهدة اللبنانية الفرنسية لعام ١٩٣٦ للمساواة بين الطوائف، بقيت محور الصراع الداخلي في لبنان حتى اليوم. وذلك ما سنحاول إبرازه من خلال مواقف المفكّرين العامليين من مسألة الصراع في المساواة بين الطوائف الدينية.

أدباء جبل عامل والقضايا السياسية في إطار الدولة اللبنانية ١٩٣٦ ـ ١٩٤٨ في هذه الحقبة الجديدة من نضالات جبل عامل، والتي بدأت على أثر مؤتمر تشرين الأول ١٩٣٦، أصبحت المواقف تختلف عن السابق فيما يختص بالأمور السياسية الداخلية والقضايا العربية. ففي القضايا الداخلية تركزت نضالات العامليين على حقوق الطائفة التي ينتمون إليها، بعدما أخذت زعامات كل طائفة تنفرد بمطالبها الخاصة، خاصة أن زعماء السنّة في بيروت قد أُعْطُوا وعداً بحصر رئاسة الحكومة بطائفتهم، إلى جانب أنه كان لهم

(١٤٤) العرفان، مجلد ٩، جزء ٣٥، صفحة ١٣٧٤، سنة ١٩٤٨.

مشاركة فعّالة في احتلال المناصب في الإدارات الرسمية. بعكس سكان جبل عامل الشيعة الذين كانوا بعيدين ولا يخضعون للإدارة المركزية في بيروت، وبالتالي لم تكن مشاركتهم في الإدارات الرسمية إلّا وقْفاً على قلّة ضئيلة منهم. أمّا على الصعيد العربي فلم ينفرد مفكرو جبل عامل عن الإجماع الإسلامي بالتراجع عن مبدأ الوحدة مع سوريا والقبول بالعيش في دولة لبنان الكبير، لكن مواقفهم من القضايا العربية أخذت تتمحور حول دعم حركات التحرر في الوطن العربي وإخراج دول الانتداب من أراضيها. وكان رأيهم ترك قضية الوحدة لتقررها شعوب المنظمة العربية بملك إرادتها وحريتها.

النضال من أجل المساواة بين الطوائف إن جميع العرائض التي رفعها أبناء جبل عامل كانت تنوّه بعدم المساواة في توزيع مراكز الدولة الإدارية بين مختلف الطوائف، كذلك في طريقة جباية الضرائب التي كانت تختلف بين منطقة وأخرى. وقد رفعت هذه الشكاوى على أساس تبادل الرسائل ٦ و٦ مكرر، هذا ما تؤكده وزارة الخارجية الفرنسية «إن الشكاوى الوحيدة التي رفعها الشيعة كانت تركز على عدم توفر المراكز التي يشغلها أبناء طائفتهم»(١٤٥).

وفي ٢ كانون الأول سنة ١٩٣٧ أرسل نائب جنوب لبنان رشيد يوسف بيضون برقية إلى المفوض السامي هذا نصها:

«إن طلبك إيضاح عدد الموظفين الذين يشغلون مراكز قليلة في الدولة السورية دفعتنا للفت نظركم إلى الطائفة الشيعية في الدولة اللبنانية التي تمثل الأكثرية في العدد، لكنها تحتلّ العدد القليل من مراكزها، فنطلب العدالة والمساواة والنظر في أمر هذه الطائفة. أرجو إبلاغ طلبي هذا إلى الوزارة الخارجية وهيئة الأمم». (التوقيع: رشيد يوسف بيضون ١٥ كانون الأول سنة ١٩٣٧)(١٤٦).

كما أرسل وجهاء جبل عامل الذين يؤيدون رشيد بيضون برقية تطالب الزعامات السياسية العاملية بأخذ موقف عملي لتثبيت حقوق الشيعة في الدولة اللبنانية هذا نصها:

«إن تجار ووجهاء الشيعة في بيروت يعلنون تأييدهم لنوابهم الذين انسحبوا بلياقة من

---

(١٤٥) Comité permanent du mandat, 6A, n° 4892, Genève, S. D. N., 1937.

(١٤٦) Comité permanent du mandat, 6A, n° 2034, Genève, S. D. N., 1937.

المجلس احتجاجاً على اغتصاب حقوق الطائفة، نرجو منكم إبلاغ هذا التأييد إلى وزارة الخارجية الفرنسية وإلى هيئة الأمم»(١٤٧).

وقام السيد علي سلام، على رأس وفد، بزيارة المفوض السامي الكونت دي مارتل يطالبه بتطبيق المساواة بين جميع الطوائف في لبنان، موضحاً أن الطائفة الشيعية التي تأتي في الدرجة الثالثة من حيث العدد تصل في الدرجة الأخيرة من حيث مساهمتها في المسؤولية الإدارية، كما تريد الحصول على حقوق مشروعة قد أعلنتها منذ زمن بعيد ولكن دون جدوى.

إن المطالبة بحقوق هذه الطوائف ومشاركتها في الحكومة لم تمنعا التقاء الممثلين السياسيين لتلك الطوائف لوضع ميثاق وطني يلحظ كيفية التعايش بين الطوائف الدينية في لبنان.

ففي شباط ١٩٣٨ أقام السيد يوسف السودا حفلة في داره في بيروت لنخبة من المثقفين، وتُلِيَ الميثاق الوطني، ويلخص في استقلال لبنان التام وتوثيق عرى الإخاء والمساواة، وأن تكون اللغة العربية وحدها اللغة الرسمية، وتوحيد الثقافة وتحقيق استعمال الحريات، والعمل على إلغاء الامتيازات. وقد خطب الدكتور إدريس والأستاذ نصري المعلوف والأستاذ السودا صاحب الدار. وكان من أدباء جبل عامل الشيخ أحمد عارف الزين. كانت كلماتهم تدور حول الانضمام للحلف العربي، لكن الميثاق لم يُثِمر إلى ذلك(١٤٨). اعتبر الانتداب الفرنسي أن أي اتفاق لبناني يجمع ما بين الطوائف يشكل خطراً على الوجود الفرنسي في لبنان، من هنا كان الفرنسيون يلجؤون إلى اتباع سياسة تفريق اللبنانيين على أساس طائفي.

في ١٧ حزيران سنة ١٩٤٣، وبتأييد من المفوض السامي، وقّع رئيس الجمهورية اللبنانية أيوب ثابت (ماروني) مرسوم ٤٩ و٥٠ اللذين أحدثا انشقاقاً في صفوف الطوائف الدينية في لبنان. ففي النص عدد ٤ في المرسوم ٤٩ جاء ما يلي: «إن عدد السكان يتألف من الأشخاص المسجلين في سجلات الدولة الرسمية المؤرخة في ٣١ كانون الأول ١٩٤٢ ومن الأشخاص غير المسجلين في هذه السجلات، ولكن أصلهم لبناني ويقيمون

---

(١٤٧) الموقعون هم: إبراهيم فياض الحاج، يوسف بيضون، سليمان بيضون، كامل الحاج علي، نجيب قاسم عباس، محمد أمين صفا، إبراهيم الرز، محمد جمال، يوسف الحاج علي، أحمد الحاج علي وكثير غيرهم.

(١٤٨) العرفان، مجلد ٧، ص ٧٦٢.

في الخارج وقد اختاروا الجنسية اللبنانية[١٤٩]. كما أن المرسوم ٥٠ حدّد عدد النواب بـ ٥٤ نائباً برلمانياً، منهم ٣٢ للطائفة المسيحية و٢٢ للطائفة المسلمة.

هذان المرسومان أحدثا ردّة فعل في صفوف القادة المسلمين الذين احتجوا لعدم المساواة السياسية في التمثيل البرلماني. ففي ١٩ حزيران سنة ١٩٤٣ عقد وجهاء الطائفة المسلمة اجتماعاً برئاسة مفتي الجمهورية اللبنانية، وقد تليت المقررات أمام جان هللو (Jean Helleu) الذي ناب عن المفوض السامي وحيث قام في نفس النهار بزيارة المفتي في منزله، وقد جاء في المقررات ما يلي:

١) مطالبة الدولة اللبنانية بإلغاء المادتين ٤٩ و٥٠ تاريخ ١٧ حزيران سنة ١٩٤٣ بخصوص زيادة عدد المقاعد وتوزيعها بين الطوائف والمناطق.

٢) إحصاء عام يتم تحت إشراف لجنة محايدة وموضع ثقة.

٣) تتم الانتخابات حسب نتائج الإحصاءات الجديدة، أو المطالبة بانتخابات منظّمة حسب الانتخابات السابقة التي تحدّد عدد المقاعد بـ ٤٢ مقعداً.

٤) مقاطعة المسلمين عامة في جميع أنحاء الدولة اللبنانية لهذه الانتخابات حتى قبول مطالبهم.

وفي ٢١ حزيران سنة ١٩٤٣ لبّى المسلمون دعوة الجمعيات المحمّدية في بيروت إلى مؤتمر عامّ ينعقد في نادي جمعية اتحاد الشبيبة الإسلامية، للبحث في مرسومي الحكومة اللبنانية رقم ٤٩ و٥٠ الصادرين بتاريخ ١٧ حزيران سنة ١٩٤٣ والمتعلّقين بزيادة عدد المقاعد في مجلس النواب اللبناني، وتوزيع هذه المقاعد بين الطوائف والمناطق، ولتقرير العمل على رفع الحيف الذي لحق بالطوائف المحمدية من هذين المرسومين.

وقد حضر للاشتراك في هذا المؤتمر العام وفود من أبناء مختلف المذاهب المحمدية، (سنة، شيعة، ودروز)، ومن أبناء المناطق اللبنانية وبينهم المرشحون لمجلس النواب. وأعلن افتتاح المؤتمر برئاسة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ محمد توفيق خالد الذي ألقى كلمة الافتتاح. وهنا نصّها:

«أخوتي الأعزاء، نجتمع اليوم لبحث قضية تهمّ الطائفة الإسلامية وتهمّ اللبنانيين جميعاً. ذلك أن اختلال المساواة يثير المشاحنات بين الطوائف المختلفة التي يتألف منها لبنان،

---

(١٤٩) محمد جميل بيهم، الصراع السياسي في لبنان، ١٩٨٠، ص ٥٥.

ويكون سبباً في التباعد الذي نحاربه ولا نرضاه لأبناء أمتنا. فإذا نحن طالبنا اليوم بشدة كما كنا نطالب في الماضي بالعدل والمساواة فلمصلحة الجميع. هذا ما نريد أن يفهمه أبناء طائفتنا وما نرجو أن يعرفه أخواننا أبناء الطوائف الأخرى».

وبعد الشيخ محمد خالد ألقى كل من السّادة عبد الحميد كرامي ورياض الصلح وعبداللّه اليافي وبهيج تقي الدين كلمات أيّدوا فيها كلمة مفتي الجمهورية محمد خالد، وأعلنوا تأييدهم لمقررات المؤتمر، بعدها قام ممثّل جبل عامل الشيخ سليمان ظاهر وألقى كلمة الجبل قائلاً:

«إنّه لا طوائف هناك ولا شيع بل فروع لشجرة واحدة هي الإسلام، أعلن تضامن الشيعة في لبنان مع أخوانهم في كل ما يقرره هذا المؤتمر».

وبعد أن انتهى الخطباء من الكلام تلا أمين السر المنتخب المحامي حسين أبو ظهر المقررات التي اتخذت في دار رئيس المؤتمر المفتي محمد خالد، والتي ألقيت على مسامع سفير فرنسا المندوب العام السيد هيللو في أثناء زيارته لسماحة المفتي.

من أهم هذه المقررات.

١) مطالبة الحكومة اللبنانية بإلغاء المرسومين الصادرين في ١٧ حزيران سنة ١٩٤٣ رقم ٤٩ و٥٠ اللذين يتعلقان بزيادة عدد النواب وتوزيع المقاعد على الطوائف والمناطق.

٢) إجراء إحصاء عام شامل بإشراف لجنة محايدة موثوق بها.

٣) إجراء الانتخابات على أساس الإحصاء الجديد الذي نطلبه وإلّا فعلى أساس القانون القديم الذي يجعل عدد أعضاء المجلس ٤٢ نائباً منتخباً.

٤) يمتنع المسلمون عموماً في أنحاء الجمهورية اللبنانية عن الاشتراك في الانتخابات إلى أن تتحقق هذه المطالب.

٥) تأليف لجنة للعمل سريعاً على كل ما من شأنه تحقيق هذه المطالب وحفظ حقوق الطوائف المحمدية في التمثيل الشعبي العام العادل.

٦) إبلاغ نسخة من هذه المقررات لمقام الحكومة اللبنانية ولفخامة سفير فرنسا الحرّة ولممثلي بريطانيا العظمى والولايات المتحدة الأميركية ومصر والعراق وسائر ممثلي الدولة الحليفة.

وبعد أن تُلِيَت هذه المقررات تعالت الأصوات مُعبِّرة عن فرحها من كل جانب وعن تأييدها التام لهذه القرارات ووقّع عليها وجهاء الطوائف الإسلامية، وقد انبثق عن المؤتمر لجنة تنفيذية وافق على تعيينها المؤتمرون بالإجماع كما وافقوا على تفويضها بالسهر على تنفيذ مقررات المؤتمر وذلك بالسماح للطوائف المسلمة بالوصول إلى أهدافها.

الميثاق الوطني ١٩٤٣ إن الانتخابات التشريعة (النيابية) حملت إلى البرلمان القادة السياسيين التقليديين من مختلف الطوائف. هؤلاء القادة كانوا بأجمعهم مؤيدين للتعايش بين الطوائف، ولكنهم انقسموا بالنسبة لصيغة هذا التعايش. فقد وافقوا على أن يبقى الحكم بين أيديهم، لهذا فقد حاولوا خلق ميثاق وطني جديد بتنظيم التعايش بين جميع الطوائف. فالميثاق الوطني لعام ١٩٤٣ وُصف بأنه دستور غير مكتوب، وأنه عهد شرف بين رجال السياسة المسيحيين والمحمديين، وتكون نتيجته التفاهم التام على توزيع المقاعد. فقد وضعوه لأنه المحور الذي يلتقون حوله والسبيل الوحيد إلى الاستقلال. إنما هناك شيء يجب أن يقال ويوافق عليه جميع المؤلفين الذين كتبوا في هذا الشأن أن الميثاق الوطني جسّده رجلان هما بشارة الخوري الماروني ورياض الصلح المسلم. وجوهر الميثاق وأبعاده ومراميه هي قبل كل شيء أن يكون ولاء اللبنانيين، محمديين ومسيحيين، لهذه البقعة من الأرض التي اسمها لبنان لا لسواها.

ويقول صبري حمادة الذي كان رئيساً لمجلس النواب في مطلع عهد الاستقلال في العام ١٩٤٣: إن الكلام على الميثاق يعود بنا حتماً إلى العام ١٨٦٢ يوم أُنشيء أول مجلس إدارة لجبل لبنان. يومها كان عدد أعضاء المجلس ١٢ عضواً: مارونيان، سنيان، شيعيان، درزيان، أرثوذكيان، ٢ روم كاثوليك، وهذا العدد هو الذي أوحى في ما بعد باعتماد طريقة الـ ٦و٦ مكرر أي ٦ مسيحيين و٦ محمديين، وظل الأمر على ما هو عليه طوال عد المتصرفية. ولـمّا جاء الفرنسيون وأعطوا المسيحيين أكثر من المسلمين أشار المسلمون إلى الغبن اللاحق بهم، وصاروا مرّة يطالبون بالوحدة السورية ومرة بالانفصال عن لبنان الكبير والدخول في اتحاد سوري على أساس اللامركزية، ثم كان مؤتمر الساحل الذي طالب بالوحدة السورية وهذا حصل في العام ١٩٣٦. ولكن عندما جاء الاستقلال بدأت المشاورات لتشكيل لوائح الانتخابات ودار البحث على من يكون رئيس الجمهورية ورئيس المجلس، وفي مقابل اعتراف المسيحيين بـ«الوجه العربي» للبنان قَبِل المسلمون بتوزيع المقاعد في المجلس على أساس ٦ ـ ٥ واتفق على أن تكون رئاسة الجمهورية للطائفة

الأكثر عدداً وهي الطائفة المارونية، وأن تكون رئاسة الوزراء للطائفة الثانية عددياً وكانت الطائفة السنّية، ورئاسة المجلس للشيعة.

ويؤكّد المؤرخ يوسف يزبك أن الميثاق الوطني يتضمن اتفاقاً مبدئياً على توزيع مناصب الدولة وإداراتها بالتساوي بين جميع أبناء الطوائف المختلفة دون أي تمييز(١٥٠).

وفي سنة ١٩٤٦ شغل النائب حبيب أبو شهلا (أرثوذكس) مركز رئيس مجلس ضد المرشح صبري حمادة (شيعي).

ظلّت المشكلة الطائفية هاجساً دائماً عند الشيعة ونوّابهم في جبل عامل، وكانت احتجاجاتهم تدور دائماً حول إنصاف هذه الطائفة وإعطائها حقوقها المشروعة أسوة ببقية الطوائف. فعندما عقد المجلس النيابي جلسته في ٢١ كانون الأول سنة ١٩٤٧، وبعد أن نالت الحكومة الثقة بالإجماع في تلك الجلسة فوجىء المجلس باستقالة النواب عادل عسيران ورشيد بيضون وكاظم الخليل احتجاجاً على عدم تخصيص الطائفة الشيعية بمقعدين وزاريين أسوة بالدروز(١٥١).

الاستقلال على أثر الانتخابات اللبنانية سنة ١٩٤٣، فازت أكثرية نيابية مؤيدة لاستقلال لبنان عن فرنسا، وقد حملت بشارة الخوري (ماروني) إلى رئاسة الجمهورية، ورياض الصلح (مسلم سنّي) إلى رئاسة الحكومة، وصبري حمادة (شيعي) إلى رئاسة مجلس النواب، واستطاع هؤلاء الرؤساء أن يجنّدوا أكثرية من اللبنانيين لمطالبة فرنسا بإعطاء لبنان استقلاله.

أمام الرفض الفرنسي لهذا المطلب حصلت مظاهرات واضطرابات شملت معظم المناطق اللبنانية ومنها جبل عامل. وكان للمفكرين العامليين دور بارز في قيادة تلك المظاهرات العاملية وفي إثارة الشعب بخطاباتهم وقصائدهم الحماسية. وقد برزت المواقف الاستقلالية للعامليين بصورة بارزة أثناء إقدام الجيش الفرنسي على اعتقال بعض أعضاء الحكومة ورئيس الجمهورية في ١١ كانون الثاني سنة ١٩٤٣. فقد عمّ الإضراب الخيام وحاصبيا والنبطية وصيدا وغيرها من مدن وقرى جبل عامل احتجاجاً على هذه المبادرة الفرنسية.

والملاحظ أنه لأول مرّة سار أبناء الطوائف المختلفة وجميع الأقليات القومية ومنهم

---

(١٥٠) باسم الجسر، *الميثاق الوطني*، سنة ١٩٤٣، ص ١٥٤.

(١٥١) بشارة الخوري، *حقائق لبنانية*، ص ٢٨.

الأرمن نحو هدف وطني واحد، وبالتفاف كل أبناء الطوائف حول القيادة السياسية أفرجت سلطات الانتداب عن المعتقلين في ٢٢ تشرين الثاني الذي اعتبر يوم استقلال لبنان.

وبعد أن نال لبنان استقلاله التام رأى مفكّرو جبل عامل من الحكام الوطنيين إهمالهم لمصالح الشعب وعدم إقامة العدل والمساواة بين الناس، الذي هو مطلبهم الأساسي، وأنهم استأثروا لأنفسهم وللمقربين منهم بثروات البلاد وخيراتها.

هذا ما حدا بالشيخ سليمان ظاهر أن ينْظُم قصيدة بعنوان: «لبنان والاستقلال» مطلعها:

أتَرى لُبنانَ ذا مُستقبَلِ ... ناهجاً فيه سَبيلَ الدُولِ
وَوُلاة الأمرِ فيه هَمُّهُم ... أنْ يَسوسوه بِغيرِ الحِيَلِ
ويُشيعوا العَدْلَ فيهِ شامِلاً ... لا عَلى أساسِ الهَوى والمِلَلِ
أم سَيَبْقى نافِذَ الحُكْمِ بِهِ ... كُلُّ مَنْ في حُكْمِهِ لمْ يَعْدِلِ
ورِجالُ البَرلَمانِ جُلُّهُمُ ... مُبْتَلىً بالجَهْلِ أو بالكَسَلِ

بعد الاستقلال قيل للشيخ أحمد عارف الزين: يجب الآن أن تدخل في السياسة الإيجابية، أي أن تؤيد الحكومة اللبنانية وأن تشترك في الحكم، فكان جوابه: المحافظة على الاستقلال أهمّ من الاستقلال ذاته وأنا سأراقب وأنتقد إذا كان هناك خطأ»[١٥٢]. كما زاره عبد الحميد كرامي وكان يومها رئيس وزراء وكان له في الحكم ١٥ يوماً وأخذ يشكو أمام الشيخ من سوء الحالة فقال له الشيخ: «لماذا هذه الشكوى وأنت في الحكم؟» فأجابه: «ليتني عملت مثلك لأن الكل يكذب ويجب أن تكذب معهم وإلّا عارضوك، الكل يسرق ويجب أن تسرق معهم وإلّا وضعوا لك العصيّ في الدواليب»[١٥٣]. وهكذا لم تستمر حكومته أكثر من ٧ أشهر. وفي بداية الاستقلال أيضاً جاء إلى الشيخ الزين سكرتير ترابو وهو مستشرق يدعى لويس ماسينيون وكان عضواً في المجمع العلمي بدمشق والقاهرة، وكان له مجلة في باريس تدعى *Les Études Islamiques* وكان أستاذاً في Collège de France في باريس وقال له: «نحن كانتداب فرنسي مستعدون لتقديم مطابع جديدة لمجلتك العرفان وأن نكلّفك بوزارة المعارف في أول حكومة تؤلف نظراً لمكانتك الأدبية»، فأجابه الشيخ: «لتبق صداقتنا أدبية حتى نرى ماذا ستفعلون»[١٥٤].

---

(١٥٢) ما أفادني به ابنه نزار الزين ٧٩/١١/٢٨.

(١٥٣) ما أفادني به ابنه نزار الزين ٧٩/١١/٢٨.

(١٥٤) ما أفادني به ابنه نزار الزين ٧٩/١١/٢٨.

لكن المعركة بين سلطات الانتداب الفرنسي واللبناني، والتي أدّت إلى اعتراف فرنسا باستقلال لبنان، لم تكن نهاية الصراع، بل كانت حافزاً للبنانيين للمطالبة بجلاء الجيوش الفرنسية عن لبنان. هذا المطلب تحقّق تحت ضغط المظاهرات وإقفال الأسواق في جميع أنحاء لبنان، ومنها جبل عامل حتى تمّ الجلاء وأصبح ٣١ كانون الأول مناسبة وطنية يحتفل بها في كل سنة. وفي مطلع سنة ١٩٤٧ عيّد لبنان وأقيمت الحفلات وتليت الخطابات ولم تقتصر هذه الحفلات على العاصمة فقط بل تعدّتها إلى الملحقات؛ واستقبل محافظ الجنوب في سراي الحكومة في صيدا الجنوبيين على اختلاف طبقاتهم، وكان من جملة المهنئين الشيخ أحمد عارف الزين والشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر وغيرهم من العلماء والأعيان(١٥٥). كما أقيمت حفلات خارج لبنان احتفالاً بهذه المناسبة، ففي بغداد أقامت جمعية العلوم الاجتماعية حفلة تلا فيها الشاعر العاملي حسن الأمين قصيدة مطلعها:

اللّهُ أكْبَرُ إنَّ القَوْمَ قَدْ رَحَلوا ... وأقْفَرتْ مِنْهُم بَيْروتُ والجَبَلُ

وختمها قائلاً:

فالْيَوْمَ تَهْتِفُ والدُّنيا مُهَلِّلَةٌ ... يا لِلْبشائِرِ إنّ القَوْمَ قدْ رحَلوا

وبهذه المناسبة أيضاً نظم الشيخ سليمان ظاهر قصيدة يؤكد فيها على الوحدة الوطنية بين المسيحيين والمسلمين ومحبتهم جميعاً للبنان هذا بعض منها:

إهنأْ بِعيدِ الجَلاءِ اليَوْمَ لُبْنانُ ... فقدْ وفَتْ لَكَ بَعْدَ الخُلْفِ أزْمانُ
يَوْمُ الجَلاءِ وهلْ يَومٌ يُماثِلُه ... وفيهِ عَنْكَ آنجلَى هَمٌّ وأشْجانُ
ومُسلمٌ ومسيحيٌّ بِهِ اغْتَبَطا ... كَما تَعانَقَ إنْجيلٌ وقُرآنُ
واليومَ كُلُّهُمُ، إنْ في مذاهِبِهِم ... تَفرّقوا، في هَوى الأَوطانِ إخوانُ(١٥٦).

أدباء جبل عامل والقضايا العربية (١٩٣٦ ـ ١٩٤٨) في هذه الفترة تركّزت جهود أبناء الوطن العربي، ومنهم العامليون، على تحرير الأراضي العربية من دول الانتداب وكان في مقدمتها تحرير فلسطين، ولهذه الغاية كانت تعقد المؤتمرات والندوات على صعيد الوطن العربي، وكان العامليون في مقدمة المشتركين فيها، من أهم هذه المؤتمرات مؤتمر بلودان.

---

(١٥٥) العرفان، م٣٣، ج٣، ص ٢٤٥، سنة ١٩٤٧.

(١٥٦) سليمان ظاهر، مخطوطة غير منشورة.

ففي ٨ آب سنة ١٩٣٧، عقد في بلودان (سوريا) المؤتمر القومي العربي الكبير الذي ضمّ وفوداً وشخصيات من الأقطار العربية، كلبنان وسوريا وفلسطين والعراق والأردن والمغرب والجزائر وتونس والسعودية، ومن أعضائه الأمير شكيب أرسلان ورياض الصلح، ومن أدباء جبل عامل الشيخ أحمد عارف الزين والشيخ سليمان ظاهر والشيخ أحمد رضا وموسى الزين شرارة وألفريد أبو سمرا وعلي بزّي. وقد دعت للمؤتمر لجنة الدفاع عن فلسطين التي كان يرئسها نبيه العظمة، وذلك للبحث في الواجبات المترتبة على العرب في مختلف أقطارهم، واتخاذ التدابير الفعّالة لمقاومة أخطار الصهيونية التي تهدّد الوطن العربي بإنشاء دولة يهودية في جزء من أجزائه، فلسطين، وقد اقتُرح انتخاب الحاج أمين الحسيني، مفتي فلسطين ورئيس اللجنة العربية العليا، رئيس شرف للمؤتمر بموافقة الجميع وصدرت القرارات التالية:

- رفض تقسيم فلسطين وإنشاء دولة يهودية فيها.
- تأييد وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين وإصدار تشريع بمنع انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود.
- التأكيد على أن فلسطين جزء لا يتجزأ من الأقطار العربية.

وتألفت لجان مختلفة للعمل على تنفيذ القرارات.

تجدر الإشارة إلى أن هذا المؤتمر ضمّ ١١٩ فلسطينياً وطنياً و٧٥ سورياً و٦٠ لبنانياً و٣٥ أردنياً و١٣ عراقياً و٤ مصريين.

وعلى أثر انفضاض مؤتمر بلودان كتب أحد الأدباء من طلاب الجامعة الأميركية في بيروت للشيخ سليمان ظاهر لمعرفة رأيه في الوحدة العربية وبماذا تتحقق وكيف تقاوم ما يعترضها من العقبات وعن الطرق العملية لإنقاذ فلسطين من الصهيونية؟ فبعث إليه بالجواب التالي:

«أمّا رأيي في الوحدة العربية فهو لا يعدو رأي كل عربي غيور يرى بها الحل الوحيد لمشاكل أمته، ورفع المطامع الصهيونية لا عن فلسطين وحدها، وهي جزء لا يتجزأ من الديار، بل عنها وعن كل بلد عربي مهدّد بمثل هذه الصهيونية الجامحة التي لا حدود لأطماعها. أرى الوحدة وأعمل لها مع العامليين ولا أراها خيالاً وحلماً من الأحلام، فلا جرمَ إذا كنت في أول صف من يحبذها. ومن لا يحب أن يكون معزوّاً إلى أمة عزيزة

الجانب؟ وهل اعتزّت أمة من الأمم إلّا بوحدتها الشاملة؟ وأتصور تلك الوحدة تصوراً حقيقياً لا خيالياً منبثقاً من شعور الأمة بعظمتها التاريخية بل من الوحدة نفسها التي كوّنت لها تلك العظمة، أمّا حدود هذه الوحدة فتضم الجزيرة العربية، سوريا، مصر، ومراكش، وطرابلس الغرب، والجزائر وتونس، بل أراها كما هو الواقع أو كالواقع أن تخفق أعلامها في كل بلد عربي».

أمّا العثرات التي تعترض هذه الوحدة وتقف في سبيلها فيجيب سليمان ظاهر بأنها كثيرة، منها ما هو من صنع أجنبي، ومنها ما هو من صنع العرب أنفسهم. كما يرى أن إزالة هذه العثرات مضمونة إذا اتّبعْنا الخطوات التالية:

١) الحذر من الوقوع في حبائل الأجنبي.

٢) عدم تمكين الأجنبي في ديارنا بشركات استثمارية.

٣) قيام الحكومات العربية بمحاربة الدسائس الأجنبية المفرّقة والمضْعِفَة للوطنية بشتّى الأساليب. ولتحقيق الوحدة هناك شرط أساسي يجب أن يتوافر بالحرّية، فيقول الشيخ سليمان ظاهر:

«تكون الوحدة بإنشاء الجمعيات المختلفة الأغراض من سياسية واجتماعية وأدبية وعلمية متكونة من أبناء المذاهب والأديان وتبادل البعثات العلمية بين أبناء البلدان العربية، وبالإكثار من الصحف، وبتمحيص التاريخ العربي والإشادة برجال العرب في مختلف العصور، ودرس شخصياتهم درساً عميقاً على غرار ما يعنى به الغربيون في دراسة رجالاتهم، وبإزاحة الحواجز الجمركية والانتقال بين أبناء الديار العربية، وتسهيل وسائل التبادل التجاري والاقتصادي فيما بينهم، وبإشعار النفوس العربية وجوب التضامن والتعاون، سواء أكان ذلك في جلب المغانم أم كان في دفع المغارم، وبعقد المؤتمرات لتقرير أساليب الدفاع عمّا يهدّد بلادهم من الأخطار على مجموع بلادهم أم على جزء منها كفلسطين، وتمثّل مؤتمرهم الأخير في بلودان الذي مثّل العرب أفضل تمثيل، وكان أضخم جواب على مؤتمر زوريخ الصهيوني وأحكم رد مؤيّد بالمنطق والعقل على التقسيم البريطاني المنبوذ الذي لا يُقرّه العرب بل والمسلمون والمسيحيون لا شكلاً ولا مضموناً».

كما يقترح أن يكون لهم مؤتمر عربي دائم سنوي معزّز بالأموال والرجال وبمعاهدة الحكومات العربية وبأن يقضوا على المنازعات المذهبية والطائفية. وبأن يتولوا بأنفسهم

فصل خصوماتهم ولا يلجؤون بها إلى غريب، وأن يعنوا العناية التامّة بإذكاء الروح العسكرية. أمّا الطرق العملية لإنقاذ فلسطين من براثن الصهيونية، برأي الشيخ سليمان، فهي الطرق العملية نفسها لإنقاذ مجموع البلاد العربية وفلسطين جزء منها لا يتجزأ... ومنها «أن يقف العرب لا أبناء فلسطين وحدهم مثل ذلك الموقف المشرف الذي وقفوه في دفاع أعدائها الإنكليز والصهيونيين عن كيانها مدّة ستة أشهر». ومنها «أن يتضافر ملوك العرب وأمراؤهم كما تضافرت جماهيرهم وممثلو البلاد العربية في مؤتمر بلودان». ويرى «أن الموجة القومية واليقظة العربية والتحالف العربي والشعور العربي المتحد بوجوب العمل المشترك للحياة الحرّة والاستقلال التام، كل ذلك من الطرق العملية لإنقاذ فلسطين من براثن الصهاينة وغير فلسطين من براثن المستعمرين»(١٥٧).

تقسيم فلسطين ظلت القضية الفلسطينية شغل العرب الشاغل، وقد تعالت الصرخات والنداءات من جميع أنحاء البلاد العربية، لإنقاذها قبل وقوع الكارثة. كما أُرسلت البرقيات احتجاجاً على اللجنة الإنكليزية التي جاءت لبحث قضية التقسيم، منها برقية أرسلها علماء جبل عامل هذا نصّها: «القدس، اللجنة الفنية الإنكليزية، فخامة المندوب السامي: إن حل قضية فلسطين العربية على أساس التقسيم يثير المسلمين والعرب كافة. نحن علماء جبل عامل نستنكر الفظائع البربرية ونكرّر الاحتجاج»(١٥٨). كما أرسل السيد عبد الحسين شرف الدين برقية مماثلة. لكن جميع هذه النداءات ذهبت أدراج الرياح، وعند إعلان تقسيم فلسطين واحتلال جزء من هذا البلد من قبل الصهاينة تجدّدت النداءات وتعالت الصرخات ضد هذا التقسيم، من رجال الدين وأقطاب السياسة في البلاد الإسلامية والعربية عامة. وفي جبل عامل صرخ علماؤه وساهم نوّابه مع رجالات العرب في الثورة على التقسيم، وكانت خطبهم في الندوات وفي الإذاعة اللاسلكية تشجب التقسيم وتتعهّد بالتضحية في سبيل إنقاذ فلسطين، وقد أرسل السيد عبد الحسين شرف الدين لجريدة **النضال** البيروتية بياناً يحرض فيه المسلمين والعرب على الجهاد والتفاني في سبيل فلسطين الإسلامية والعربية ويدعوهم للتشبّه بالحسين بن علي شهيد كربلاء «أيها العرب والمسلمون هذا شهر المحرّم الدّامي الذي انتصرت فيه عقيدة وبُعثت منه قضيّة، ألا إن قتلة الحسين بِكر في القتلات فلتكن

(١٥٧) سليمان ظاهر، **العرفان**، ١٨ أيلول سنة ١٩٣٧، م ٣٣، ج١، ص ٢٠ - ٢١.

(١٥٨) الموقعون من جبل عامل: الشيخ أحمد رضا، الشيخ أحمد عارف الزين، السيّد حسن الأمين، السيد صدر الدين فضل الله والشيخ محسن شرارة.

قُدوتُنا فيه بِكراً في القدوات ولنكن نحن من فلسطين مكان أبي الشهداء من قضيته، ليكون لنا ولفلسطين ما كان له ولقضيته من حياة ومجد وخلود».

هذا التقسيم أثار كذلك عاطفة الشاعر موسى الزين شرارة فنظم قصيدته «السيف للسيف»، متحسراً فيها على ضياع فلسطين مذكّراً العرب بمجد وسيادة أجدادهم، وهو يحثّهم على التشبُّه بهم وعلى التضامن لنصرتها، فالذي يؤخذ بالقوة لا يستردّ إلّا بالقوة، قائلاً:

ضاعَ الجَليلُ ولمْ يَسْلَمْ لنا النَّقَبُ — واللُّدُّ ضاعَتْ ونَحْنُ السّادةُ العَربُ
جُدودُنا أُسْداً كانوا فَكَمْ فَتَحوا — أرْضاً وكَم قَهَروا جَيْشاً وكَمْ غَلَبوا
مَتى أراكُمُ وقدْ كَرَّتْ جَحافِلُكُم — وقيلَ لِلثَّأرِ هَبَّ العُرْبُ أو وَثَبوا
السيْفُ لِلسَّيْفِ لا شِعْرٌ يُفيدُ إذا — قالَ المُثقَّفُ في الهيْجا ولا خُطَبُ[١٥٩]

إن اندفاع العامليين وحماسهم للقضية الفلسطينية يتّضح من خلال معرفة طبيعة جبل عامل ومدى علاقة أهله بفلسطين، فهناك عوامل مهمة رسّخت هذه العلاقة وأهمها العامل الديني، إذ إن العامليين المتمسّكين بتعاليم الإسلام كانت فلسطين تعنى لهم البلاد المقدسّة حيث في القدس المسجد الأقصى وغيره من الأماكن التي يكرّمها الإسلام. والعامل المهم الآخر الذي يربط بين سكان جبل عامل وسكان فلسطين هو العامل الاقتصادي، إذ إن هضاب الجليل، (فلسطين الشمالية)، هي امتداد لهضاب جبل عامل، ومن هنا كان التعامل التجاري في جبل عامل يكاد يكون محصوراً مع فلسطين وخاصة أيام الدولة العثمانية، إذ كان جبل عامل يتبع ولاية القدس في أكثر الأحيان، ولم ينفصل إدارياً عن فلسطين إلّا في أيام الانتداب الفرنسي، كذلك كان للعامل القومي، الذي بدأ في الظهور في أوائل الحرب العالمية الأولى، أثره في شد العرب بعضهم إلى بعض.

هذه أهم العوامل التي جعلت العامليين يقفون لمساعدة فلسطين بشتى الوسائل الممكنة لديهم في تلك الأيام، وهي التي جعلتهم يفتحون لهم بيوتهم بعد أن طُرِدَ أهلها من بلادهم.

---

(١٥٩) العرفان، مج ٣٤، جزء ٢، ص ٢٨١، سنة ١٩٤٧.

مشاهير أدباء جبل عامل
في النصف الأول من القرن العشرين

تناولنا في الصفحات السابقة نشاط قادة الحركة الوطنية في جبل عامل من الناحيتين السياسية والاجتماعية، وسنرى الآن أن هؤلاء القادة الذين كانوا على رأس الحركة الوطنية كانوا هم أيضاً على رأس الحركة الأدبية في هذا الجبل في تلك الفترة. فإلى جانب الثلاثي العاملي، الشيخ أحمد عارف الزين والشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر، الذي كان الرأس المدبر والعقل الموجه لكافة التحركات الوطنية والإسلامية في جبل عامل، كان أيضاً إلى جانبهم أدباء ومفكرون عامليون ساهموا في إحياء النهضة الأدبية والفكرية في هذه المنطقة. فمن هؤلاء من كان يتناول في شعره القضايا القومية كقضية فلسطين، والقضايا المحلية والاجتماعية التي تصوّر لنا الوضع الاجتماعي والثقافي في الجبل، وتحث الشعب على المطالبة بالحرية والاستقلال. أمّا القسم الآخر فقد توجّه في أدبه لمعالجة القضايا الدينية من فقه وتشريع وغير ذلك. ولا بدّ لنا من عرض صورة عن عمل كل أديب عاملي حتى تتكون لنا المعرفة الصحيحة والحقيقية للأدب العاملي في هذه الفترة.

الشيخ أحمد رضا هو أحمد بن إبراهيم بن محمد رضا العاملي، كنيته أبو العلاء، ولقبه بهاء الدين العاملي، وهو عاملي المنبت والمنشأ، عربي الموطن والعشيرة. ولد في النبطية (جبل عامل) في ٤ حزيران سنة ١٨٧٢م، كان أبوه من أعيان جبل عامل، معروفاً بالصدق والأمانة ورجاحة الفكر والرأي بين قومه. في السادسة من عمره أدخله والده كتاتيب النبطية فتعلّم القرآن وتجويده، وحسن الخط وقواعد الإملاء وأصول الحساب، ثم انتقل إلى المدرسة العلمية في قرية أنصار سنة ١٨٨٠، وطلب العلم على يد العلّامة السيد حسن إبراهيم، فدرس فيها النحو والصرف، ثم عاد إلى النبطية بطلب من والده ودرس بمدرسة السيد مصطفى العكاري الطرابلسي، فأخذ عنه علم

الحساب والجغرافية، ثم أخذ العلم أيضاً عن العلّامة السيد محمد نور الدين في النبطية الفوقا، وقرأ عليه علوم المعاني والبيان والمنطق والطبيعيات وتأثر بأستاذه تأثراً بالغاً في شغفه بالعلوم العصرية والدراسات الفلسفية. ولمّا لم تكن يومئذ مدارس تتيح له الفرصة للاستزادة من هذه العلوم فقد اجتهد في المطالعة وتثقيف نفسه، وفي سنة ١٨٩١ قدم إلى النبطية العلّامة السيد حسن مكي الحسيني وأنشأ فيها المدرسة الحميدية فكانت أرقى المدارس في ذلك العهد وأكثرها طلاباً وأفضلها أساتذة، فكان يُلْقي فيها دروساً في النحو والصرف والمنطق والبيان على طلاب الصفوف الابتدائية ويتلقّى بدوره من رئيس المدرسة دروساً في الفقه وأصوله.

مؤلفاته للشيخ أحمد رضا مؤلفات كثيرة منها المخطوطة ومنها المطبوعة من أهم المؤلفات المطبوعة:

١) رسالة في تاريخ الخط والكتابة أسماها **رسالة الخط** وهي من المطبوعات النادرة.

٢) **هداية المتعلمين**، هي رسالة مختصرة جاءت جامعة لما يجب على كل مسلم عموماً، وعلى كل شيعي خصوصاً، أن يعتقده، وقد رتّبها مؤلفها على طريقة السؤال والجواب.

٣) كتاب **الدروس الفقهية**، ولقد أجاز العمل بها العلّامة السيد محسن الأمين، وهو مطبوع في مؤسسة الشرق الأوسط للطباعة والنشر في بيروت.

٤) كتاب **العراقيات** أو **العامليات** وهو مختار من شعر عشرة شعراء من مشاهير شعراء العراق، طبع في مطبعة العرفان سنة ١٩٠٨م.

٥) كتاب **رد العامي الى الفصيح** ردّ فيه العامي إلى أصله الصحيح إن لم يكن دخيلاً طارئاً على العربية.

وفي سنة ١٩٣٠م انتدبه المجمع العربي بدمشق لتأليف معجم عصري للغة العربية، فتم له ذلك كله بعد جهد دام نحو ثماني عشرة سنة، وقد تجمعت لجنة من المجمع العلمي للإشراف عليه مؤلفة من الشيخ أحمد رضا، أحمد عارف الزين، والحاج إبراهيم زين عاصي صاحب مكتبة العرفان، والسيد محمود صفي الدين صاحب مكتبة بيروت، وكان مركز اللجنة في صيدا، أمّا رأس المال لهذه اللجنة فهو ٢٥ ألف ليرة لبنانية سورية، ولكن الأحداث السياسية حالت دون إتمام هذا العمل، حتى كان عام ١٩٥٨م حيث باشرت

طبعه دار الحياة في بيروت، وانتهى العمل من إخراجه سنة ١٩٦١م. أمّا المنهج الذي اتبعه المؤلف في ترتيبه وتصنيفه فهو كما يلي.

١) كتب في مقدمته بحثاً طريفاً في نشء اللغات وتطورها إجمالاً واللغة العربية خاصة.

٢) رتّبه على المادة المجردة من الزيادة في الحروف.

٣) بدأ بالترتيب على نسق باعتبار أول الكلمة، فالألف قبل التاء.

٤) ذكر الفعل الثلاثي ومصادره لأنها سماعية ليس لها ضابط، لقد ذكر الصيغ المتعددة والنسب الشاذة والكلمات الدخيلة على اللغة منذ العصر العباسي والأيوبي والعثماني، والبعض منها اندثر، ولكنه لا يزال وارداً في مؤلفات ذلك العصر. كما حاول رد الكلمات العامية إلى أصلها الفصيح. ولقد اعتمد الكتّاب الأقدمين مرجعاً لدراسته دون المُحْدثين. وهذا الكتاب على جانب كبير الأهمية اللغوية فهو رصيد ضخم أضيف إلى إرث العرب الحضاري اليوم. وحرص صاحبه على أن يكون كتابه جامعاً لكل مادة موجودة في **تاج العروس** للزبيدي و**لسان العرب** لابن منظور، وأضاف لها الكلمات الجديدة في هذا المعجم جامعاً كل ما يمكن أن يطلبه طالب اللغة، فلا تمر به مادة من مواده إلّا ويكون لها تفسير فيه، فجاء مكتملاً باحتوائه للجديد والقديم على السواء ثم عمل على اختصار هذا المتن بمختصر يخف حمله وتكثر فائدته أسماه **الموجز**.

أما مؤلفاته المخطوطة فهي: كتاب **روضة اللطائف** جمعه في عهد دراسته الأولى، وله **شرح كفاية المتحفّظ**، لابن الأجدابي الطرابلسي، **ونظم الكفاية** المسمى بـ**العمدة** لمحمد ابن أحمد الطبري، وهذا النظم من المخطوطات النادرة وسماه **الوافي بالكفاية والعمدة** معجم **الوسيط** ومعجم **الموجز**، **التذكرة في الأسماء المنتخبة للمعاني المستحدثة**.

أمّا مباحثه العلمية ومقالاته الأدبية والاجتماعية والسياسية والتاريخية وقصائده الشعرية فقد نشر أكثرها في المجلّات العلمية الأدبية مثل **المقتطف**[1] و**مجلة المجمع العلمي العربي**

---

(١) **المقتطف**: أصدرها الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر؛ **مجلة المجمع العلمي**: أصدرها المجمع سنة ١٩٢١؛ **العرفان**: صاحبها الشيخ أحمد عارف الزين أصدرها عام ١٩٠٩، وكذلك جريدة **جبل عامل**، أصدرها عام ١٩١١؛ **المقتبس**: صاحبها محمد كرد علي؛ **العروبة**: صاحبها محمد علي الحوماني؛ **الكلية**: مجلة الجامعة الأميركية ١٩١٠ ـ ١٩٣٢؛ **المنار**: صاحبها محمد رشيد رضا.

بدمشق، **والعرفان والمقتبس والعروبة والكلية** ومجلة **المنار** وجريدة **جبل عامل**. كما له مذكرات سياسية وتاريخية مخطوطة يتحدث فيها عن أحوال جبل عامل بين سنتي ١٩١٥ و١٩٢٠. وقد ملأ وقته بالتفكير والكتابة. كما كانت له مشاركات واسعة في مختلف وجوه النشاط السياسي والثقافي والاجتماعي، بالإضافة إلى ارتباطه بصداقات واسعة مع رجال العلم والأدب والسياسة حتى قال رياض بك الصلح: «كان الشيخ أحمد رضا من كواكب جبل عامل المتلألئة»[٢]. وقال يعقوب صروف صاحب **المقتطف**: «إنه أكتب كاتب في سورية»[٣].

وفاته عمل الشيخ أحمد رضا على مقاومة الطغيان والاستبداد أيام الترك والفرنسيين، وبعد الاستقلال وجد الأحوال السياسية لم تتغير بعد، ولم تُجد أفكاره الاجتماعية والإصلاحية نفعاً، فترك العمل السياسي واعتكف في بيته ملازماً فراشه مدّة سنتين ينظم الشعر الذي يصوّر آلامه وأحزانه، بعد أن فقد أكبر أبنائه وأقربهم إليه. وفي السابع من تموز سنة ١٩٥٣ وافاه الأجل بعد أن ملأ حياته بصالح الأعمال وزوّد أمته بتراث لغوي خصب، وبعد جهود عظيمة لرفع مستوى العامليين الثقافي والاجتماعي والأخلاقي والسياسي.

خدمته للثقافة كان انتشار الجهل يؤلمه وفقدان المدارس في بلدته يحز في نفسه، وما كاد يبلغ السابعة عشرة من عمره حتى وضع مع فريق من أخوانه حجر الأساس لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في النبطية، مستهدفاً بها تأسيس مدرسة أو أكثر لتسهيل أسباب المعرفة أمام سكان بلدته. وقد استولى الأتراك على ممتلكات هذه الجمعية وألغوا رخصتها خلال الحرب العالمية الأولى، ثم هدمت تلك الممتلكات. ولكنه أعاد الكرّة بعد الحرب يؤازره أخوان له، فاستعاد للجمعية قوتها حتى أصبحت لها ممتلكات واسعة[٤]. وفي سنة ١٩٠٢م أنشأ مع زملائه ندوة علمية دُعيت «المحفل العلمي العاملي» كان يجتمع دورياً كل شهر يُلقي فيه واحد من أعضائه محاضرة تسجل في سجل خاص سمي «طلائع النجاح» ودام هذا المحفل على نهجه حتى انقطعت جلساته عندما عمّ الاضطراب السياسي

(٢) سلام الراسي، *لئلا تضيع*، ص ١٢٩.
(٣) *العرفان*، م ٤٠، ص ٩٧٧، سنة ١٩٥٣م.
(٤) *مقدمة معجم متن اللغة*، ص ٧.

المحلي. وفي سنة ١٩١٧ رأى مع بعض العلماء العامليين وغيرهم أن الفرصة سانحة لتأليف الجمعيّة الخيرية العاملية لتحفظ الإخاء والألفة بين طوائف البلاد العاملية. وفي سنة ١٩٢٠ قرّر المجمع العلمي العربي بدمشق اختياره عضواً مراسلاً. وفي سنة ١٩٢٣م اختير عضواً في لجنة إنشاء «دار الكتاب في المسجد الأقصى». كما كان عضواً في المؤتمر الثقافي الأول الذي عقدته جامعة الدول العربية في بيت مري[٥]. كما عين سنة ١٩٤٨ مستشاراً فنياً لوزارة المعارف اللبنانية[٦]. كما كان من رجال النهضة العلمية الإصلاحية في الحكومة التركية ومن رجال الوحدة القومية العربية. وخلاصة القول أنه كان للمؤلف أثر بارز وكانت له مشاركات واسعة في مختلف وجوه النشاط السياسي والثقافي والاجتماعي، فهو مناضل سياسي وهو مؤلف وكاتب وشاعر.

شعره الوطني والقومي نبعت قصائد الشاعر الوطنية من مواقف ثابتة، فهو دائماً ضد الجهل والفقر والاستبداد والاستعباد. هو دائماً مع الفقراء يحاول إنهاضهم والدفاع عنهم ضد كل أعدائهم. فلذا على أثر نشر جريدة **المقطّم** المصرية لاتفاقية سان ريمو سنة ١٩١٩ بين الإنكليز والفرنسيين لاقتسام البلاد العربية، تحرّكت مشاعر الشيخ أحمد فنظم قصيدته، وهو يومئذ في دمشق، مستفظعاً الخبر حاثاً العرب والسوريين على الجهاد مجدداً لنيل استقلالهم ووحدتهم، مذكراً إياهم أن أبناء قحطان ما رضُوا بالذل وهم أصحاب كرم وعزّة وشرف؛ يقول:

أيــقْــســمُ دارنَــا الأحــلافُ قَــسْــراً كــأنّــنــا بــينهُــم مَــالٌ حــريــبُ
ويَــجْــعَــل فــي الــغَــنــائِــم رِقّ قَــوْمٍ لــهُــم يــومَ الــوغــى الــعــزْمُ الــصّــلــيــبُ
هُــمُ عَــهَــدُوا الــعُــهــود لَــنــا وإنّــا نُــطــالِــبُ بِــالــوفــاءِ ولا مُــجِــيــبُ[٧]

ويُخاطب سوريا مذكّراً بمجدها، ويدعوها للانتفاضة من أجل وحدتها، فيقول في نفس القصيدة:

أســوريــةُ الــعَــزيــزةُ لا تُــراعــي شُــكــونُ الــريــحِ يَــعْــقُــبُــه هُــبــوبُ
ثِــقــي بــالــلّــهِ واعــتَــصِــمــي بــعــزِمٍ تُــدَكُّ بــه الــنَــوائِــبُ إذ تَــنــوبُ

---

(٥) العرفان، م ٣٤، ج١، ص ٢٤، سنة ١٩٤٧؛ ومجلة العروبة، ج٧، ص ٥٨٠، سنة ١٩٤٧.
(٦) العرفان، م٣٤، ج٥، ص ٧٩٧، سنة ١٩٤٨.
(٧) مخطوطة للشيخ أحمد، ص ٧.

سَقى أرضَ الجَزيرةِ أرضَ قَومي أُباةُ الضَّيمِ وكَّافُ سلوبُ
لَقد طابَتْ حيَاتُهُمُ وماتوا ومِلءَ رِدائِهم كَرَمٌ وطِيبُ
أُباةَ الضيمِ مُن قَحطانَ فيكمْ يُصانُ العِزُّ والشَّرفُ الحَسيبُ
أتُقْسَمُ أرضُكُم قَسْراً ولمَّا يُزو وجُهَها العَرَقُ الصّبيبُ
فَعِشْ حُرّاً ومُتْ حُرّاً كريماً ولا يُذْنِسن حياتَكُ قَطُّ حوبُ

وبمناسبة احتفال مدينة حيفا بإقامة الأثر التذكاري لجلالة الملك فيصل في ١٤ أيلول سنة ١٩٣٣ نظم قصيدة استهلها بالثناء على جلالة الملك فيصل «المنقذ» وما حلّ بالبلاد من سوءٍ بعد وفاته قائلاً:

أذِكْرى؟ وذِكْراكَ مِلءَ القُلوبِ ومِلءَ العُيونِ ومِلءَ الفِكَرِ
فَقَدْنا بِفَقْدِكَ حامي الذِّمارِ كما يَفْقِدُ السَّفْرُ ضَوْءَ القَمَرِ[8]

وعند تدفق المهاجرين اليهود إلى فلسطين سنة ١٩٣٤ نبّه الشيخ أحمد من الأخطار المحدقة بفلسطين فدعا العرب إلى الاعتصام بالأفعال لا بالأقوال كي يذودوا عن الديار بالحسام فيقول:

أصَقْرَ[9] العُروبةِ سمعاً فَذي فلسطينُ أحدَقَ فيها الخَطَرْ
طَغى طَمَعُ الغَربِ في مُلْكِها وليسَ لَها مِنْ أذاهُ مَفَرْ
تَسيلُ إليْها سُيولُ اليَهودِ وقَدْ نَبَذَتْهُمْ شُعوبُ البَشَرْ
وأهلُ البِلادِ على جهْدِهِم يَلوذونَ رُعْباً بِغَيْرِ الوزَرْ
دَعوا القَوْلَ واعْتَصِموا بِالفِعال وصونوا الحِمى بِالحُسامِ الذَّكَرْ
فَإمّا الحياةُ على عِزّها وإمّا المَماتُ وطيبُ الخَبَرْ.

وفي سنة ١٩٤٥ عندما تم تسليم أمر قيادة الجيشين السوري واللبناني لحكومتي سوريا ولبنان هاجت عواطف الشاعر فقال:

حَبّذا البِلادُ هم حُماةُ عِزِّها إنْ كَشَّرَ الخَطْبُ لَها عَنْ نابِهِ

---

(٨) مخطوطة للشيخ أحمد، ص ١٦٨.
لقد شاركت أكثر البلاد العربية في هذا الاحتفال، وكان في نيّة الشيخ أحمد المشاركة باسم جبل عامل لكن ظروفاً خاصة حالت دون ذلك، عندها نظم هذه القصيدة وأرسلها لكي تُلقى باسمه. (عن نجله نزار).
(٩) صقر العروبة يعني الملك فيصل.

مـا الـجـيـشُ عِـنْـدَ الـحَـقِّ إلّا جَـيْـشُـنـا   ونَـحْـنُ فـي كُـلِّ الـوَرى أوْلـى بِـهِ[١٠]

وعندما برزت الجامعة العربية بعد الحرب العالمية الثانية، كان الشيخ عضواً في المؤتمر الثقافي الأول الذي عُقِدَ في بيت مري، وذلك عام ١٩٤٧، وفي ذلك يقول:

«قامت الجامعة العربية تجمع شمل العرب بعد أن فرقتهم السياسة ومزّقهم الطامع الأجنبي ليسود، لكن الروح العربية المتينة في إبائها وكرم عنصرها ما ماتت ولن تموت، بل هي باقية على الدهر في قرارة النفوس وسويداء القلوب»[١١]. فالجامعة إذن لجمع شمل الأمة فهي «من العرب وللعرب ولمصلحة العرب، عربية الأساس عربية النِّجار»[١٢].

ولم يكن الشيخ أحمد رضا عضواً في المؤتمر الثقافي الأول الذي عقد في بيت مري فقط، بل مثّل بلاده في عدّة مؤتمرات سياسية منها مؤتمر الوحدة السورية المنعقد سنة ١٩٢٠، مؤتمر الوحدة السورية سنة ١٩٢٨، المؤتمر الإسلامي العام المنعقد في القدس سنة ١٩٣١، مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٠ آذار سنة ١٩٣٦، المؤتمر الثاني في صيدا ٥ تموز سنة ١٩٣٦، مؤتمر ٢٣ تشرين الأول ١٩٣٦، ومؤتمر بلودان سنة ١٩٣٧.

وهكذا فقد كان الشيخ أحمد رضا من أبرز رجالات الفكر والسياسة في جبل عامل. وقد قال عنه صديقه الشيخ أحمد عارف الزين في رثائه له: «إن الشيخ أحمد رضا رجل العلم والفضل وحامل لواء الوطنية والنبل وعالم العربية المقدام وفارسها المحلّق، المعلم وصاحب المؤلفات النفيسة»[١٣].

شعره الاجتماعي والأخلاقي لم تقتصر كتابات الشيخ أحمد الاجتماعية على المقالات المنشورة في المجلات والجرائد، بل تعداها الأمر إلى الشعر، فكثيراً ما كان الشيخ أحمد يتألم ممّا يجري حوله. فلقد كان مرهف الإحساس يأبى الذل والظلم من أنّى أتى، فيخاطب أحد الزعماء العامليين عندما عمل على نقل أحد الموظفين من مركزه لمآرب شخصية فيقول:

تُـحـارِبُ أبْـنـاءَ الـنَّـبـيِّ ضَـلَالَـةً   ومَـا اجْـتَـرحـوا إثْـمـاً ولا اقْـتَـرفـوا ذَنْـبـاً

---

(١٠) قصيدة مخطوطة ص ٢٠٤.

(١١) أحمد رضا، العرفان، مجلد ٣٤، ص ٢٤، ج١.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٢٥.

(١٣) أحمد عارف الزين، العرفان، م ٤٠، ص ٩٧٦.

وتـخْشـى مَـلامَ الـنّـاسِ لا الـلّـهِ مِـنْـهُـمْ وما كُنْتَ يَوْماً تَخْشى في فِعْلِكَ الرّبّا
فَتُـطْـلِـقُـهـا فـي الـنّـاسِ إيـمـانَ فَـاجِـرٍ وتُرْسِلُها ما شِئْتَ مشْحُونةً كِذْبا[١٤]

وكثيراً ما أزعج الشيخَ أحمد الحنثُ في الوعود فيقول:

لَمْ يَـكُـنْ مـا وَعَـدوا أو عَـقَـدوا مِـنْ عُـهـودٍ غَـيْـرَ حِـبْـرٍ عَـلـى وَرَقْ
لا أُبـالـي وَعْـدَهُـم أو خُـلْـفَـهُـم وكَـفـانـا مـا لَـقـينا مِـنْ مَـلَـقْ[١٥]

ويندب الشيخ أحمد الزمان الذي يعكس حظه الممقوت فيقول:

لا تَـلُـمْـنـي إذا ضَـجِـرْتُ فـإنّـنـي قـدْ مَـلَـلْـتُ الـمُـقـامَ فـي بـيْـروتِ
فـي أمـانٍ لا تَـسْـتَـفـيـقُ وَوَعْـدٍ ظاهِـرِ الـخُـلْـفِ لَـيْـسَ بِـالْـمَـثْـبـوتِ
فـإلـى مَ الـزّمـانُ يَـعْـكِـسُ حَـظّـي وإلـى مَ مَـنْـأى فـي تَـشْـتـيـتِ[١٦]

ويخاطب الشيخ أحمد الأحرار من قومه يدعوهم إلى الانتفاضة على الزعماء الذين هم أصل البلاء، فالزعيم هو من كان شفيعاً رحيماً، وفي الوقت نفسه حريصاً على إنهاض شعبه يقول:

إلى الغُرِّ مِن قَومي إلى أحْرارِ أُمّتِي إلى النُجُبِ الأطْهارِ خَيْرِ بَني أمّي
نِـداءُ امْـرِىءٍ مـا زالَ يَـسْـمَـعُ فـيـكُـم كَلاماً بِنَفْسِ الحُرِّ أدْمى مِن الكَلْمِ
إلـى مَ تَـرى هـذه الـزّعـامَـة بَـيْـنـكُـم وكَـيْـفَ تُـقِـرّونَ الـزّعـامَـةَ بـالـزَّعْـمِ
وإنّ زَعـيـمَ الـقَـوْمِ مَـنْ كـانَ فِـيـهِـمْ شَـفـيـقـاً رَؤوفـاً لا يَـبِـيـتُ عـلـى رَغْـمِ
إذا لَـمْ يَـكُـنْ رأسُ الـعَـشـيـرةِ حـارِسـاً لأمْـجـادِهـا فَـالـرّأْسُ أجْـدَرُ بِـالـحَـطْـمِ[١٧]

كما يدعوهم إلى التعاون والثبات ليتسنى لهم الوقوف صفاً في وجه الحكام الظالمين، والمطالبة بحقوقهم، فيخاطبهم قائلاً: «أيها القوم الثبات يذلل العقبات، فاثبتوا على الحق وتعاونوا على البر والتقوى ولا تهابوا حاكماً ظالماً يذيقكم من المظالم ألواناً، وهو يحسب نفسه من المصلحين، هبّوا أيها القوم للمطالبة بحقوقكم فإن لوطنكم عليكم حقاً ولعائلتكم عليكم حقاً ولأنفسكم عليكم حقاً»[١٨].

---

(١٤) مخطوطة غير منشورة، ص ١٢٦.
(١٥) مخطوطة غير منشورة، ص ١٨٣.
(١٦) مخطوطة غير منشورة، ص ١٨٢. نظمت في أيلول سنة ١٩٤٧.
(١٧) أحمد رضا، **العرفان**، م ٣٩، ص ١٢٣٨.
(١٨) جريدة **جبل عامل**، العدد ٥، ص ٣٣.

هكذا قضى الشيخ أحمد حياته مجاهداً في سبيل إعلاء شأن أمته، مناضلاً من أجل سعادة شعبه، قضاها بجهاد كله عِبَر، فكانت أيامه هَماً وتنكيداً، يقول:

تِسْعٌ وسَبْعونَ مِنْ عُمْري على كَتِفي ... تَنوءُ في حَمْلِها الصُّمُّ الجَلاميدُ
قَضيْتُها بِجِهادٍ كُلُّهُ عِبَرٌ ... وكُلُّ أيّامِهِ هَمٌّ وتَنْكيدُ
فما وَنَتْ عن طِلابِ العِزِّ وانيةٌ ... ولا اسْتَلانَ لِغيْرِ المَجْدِ لي عودُ[19]

أهمية التربية والتعليم عند الشيخ أحمد رضا لم يغفل الشيخ أحمد موضوع التربية والتعليم لعلمه بأن رقي الأمم والشعوب لا يكون إلّا بسلوك العلم طريقاً: «العلم نور أزهر وحياة هنيئة وهدى مقتدى وصراط مستقيم»[20]. ومثله: «إذا تحلّت الأمة بالتربية الصالحة والرابطة الثابتة فما هي إلّا أساس يبنى عليه تضامن الأمة وتلاصقها، وإن الأمة إذا هذّبت بنيها ترى منهم أعواناً في لمّ شعثها وحفظ قوتها يوم تبلى في زحامها وصدامها بأعداء أشدّاء يقتلونها ليحيوا بعدها حياة طيبة». وهو يعتبر أن العلم والتربية شرطان أساسيان لأية نهضة، فهو يدعو الناشئة: «إلى العلم والتربية أيتها الناشئة العربية، إلى العلم والتربية. أيتها الأمة الإسلامية، وإلّا فالطريق مخيف والهول عظيم والعاقبة وخيمة»[21]. كما يرى أن حفظ كيان الأمة من الانحلال وصون جمعها من الشتات لا يكون إلّا بالعلم والتربية لأن «الأمة التي تعرف الشرف بل التي تحس بالحياة تبذل سعيها فضلاً عن أموالها في حفظ كيانها من الانحلال، وصون جمعها عن الشتات؛ ولا يكون ذلك إلّا بالعلم والتربية الصحيحة وهما لا يقومان إلّا برجال عاملين يرون الشرف التليد. والمجد العظيم في خدمة الأمة والوطن وسلامتهما من شوائب الهلاك»[22]. أما التعليم الديني الذي يتم إصلاحه عن طريق المدارس فكان ذا أهمية كبيرة بنظر الشيخ أحمد، فهو يرى «أن التعليم الديني الصحيح هو أفعل شيء في الارتداع عن المنكرات ودفع الشهوات الفاسدة، وأكبر ناصر للعقل على هوى النفس... فعلى الناظرين في أمر المدارس أن يحسنوا التعليم الديني، فلا بد، لأجل إصلاح هؤلاء البشر وبث روح الفضائل فيهم، من تأسيس هذا التدين في النفوس النابتة من الأبناء لتفتح عيونهم على حب الفضيلة واستنكار الرذيلة قبل أن تتملكها الشهوات الذميمة

---

(١٩) أحمد رضا، العرفان، م٣٩، ص ١٢٣٨.

(٢٠) جريدة جبل عامل، العدد ٥، ص ٣٣.

(٢١) أحمد رضا، العرفان، م٢، ص ٤٦٠.

(٢٢) جريدة جبل عامل عدد ١٥، ص ١١٣.

والرذائل المنتشرة والعادات الفاسدة المفسدة»[٢٣].

لا يعني هذا الاكتفاء بهذا النوع من العلم، لا بل أكّد أيضاً على ضرورة الأخذ بالعلوم الحديثة التي تشكل الهدف الأول والأخير في عملية اللحاق بالركب العالمي، وهذا ما نلمسه في قصيدته «نهج العلم صراط مستقيم» التي يدعو فيها شعبه للأخذ بعلوم الفلك والكهرباء والكيمياء فيقول:

وتَرى الكيمياء تُثمِرُ عِلْماً جُلُّ بالاختيارِ حَتّى تَسامى
وهيَ كَمْ أنتَجَتْ عَجيباً وأبْدَتْ فائِداتٍ لِلْعِلْمِ كانَ دِعاما[٢٤]

كما دعا الشيخ أحمد شعبه للاقتداء بالعلماء النوابغ أمثال دالتون ورنتجن وماركوني وباستور ويبين لنا المعجزات التي أظهرها العلم، فقد أنطق البكم وأكسب الصمّ سمعاً وعلّم الجماد الكلام:

أنْطَقَ البُكْمَ، أكْسَبَ الصُمَّ سَمْعاً مِثْلَما عَلّمَ الجَمادَ الكَلاما

ويعود ليحثّ شَعْبه على النهوضِ لِلْعُلى بواسِطة العِلْم الذي به تقدم الغرب، يدعوه لليقظة والنهوض، يدعوه للاقتداء بالغرب واعتماده العلم بدل الجهل، فيقول مخاطباً شعبه للاقتداء بالغرب:

نَهَضوا لِلْعُلى على حينِ أنّا مَا بَرِحْنا عنِ المَعالي نِياما
فإلى مَ الهُجودُ والنّاسُ أيقاظٌ وماذا القُعودُ والعِلْمُ قاما

هذا يكفينا دليلاً على مدى محبة الشيخ أحمد للعلم ونشر الثقافة والتطلع إلى كل جديد حتى كان يؤلمه الجهل، فهو بنظره سبب الانحطاط والتقهقر لأنه «ما ألقى الجهل مراسيه في عَقْرِ دارٍ إلّا وشتّتَ شملها وفرّق جمعها وزحزحها عن منصة التقدم إلى مرابط التوحّش. الجهل كلّما عظم أمره وكبرت مصيبته كان رجوع أهله إلى عصر التقهقر والظلمة سريعاً»[٢٥]. كما كان يرى في الأمية عائقاً دون التقدم والرقيّ والسعادة فيقول: «قاتل اللّه الأمية وقبح اللّه الجهالة، كم تعاكس سير الرقيّ وتقف في سبيل السعادة والهناء دنيا وآخرة»[٢٦].

---

(٢٣) وحي الفكر، محاضرات ألقاها نخبة من العلماء والأدباء في العاشر من المحرم سنة ١٣٥٥هـ، ص ٨٦.

(٢٤) أحمد رضا، العرفان، م٨، ص ٦١٣.

(٢٥) جريدة جبل عامل العدد ٤، ص ١٧.

(٢٦) المصدر نفسه، العدد ٨، ص ٥٧.

الأمة والدولة في مفهوم أحمد رضا يعتبر الشيخ أحمد أن اللغة والدين والوطن هي من مقومات تكوين الأمم، فهو يقول: «إن الأمة جسم واحد حياته الاتحاد وقوته الدين ولسانه اللغة ومثابته الوطن وقوامه الغيرة وحليتُه التربية الصالحة والرابطة الثابتة والإخاء الراسخ والمساواة العادلة»[27]. وهو بذلك يركز على الدين كعامل أساسي في تكوين الأمة. كما أنه اعتبر أن اللغة عامل لا يقل أهمية عن العامل الديني الذي يدخل في الأساس الموضوعي لتكوين أية أمّة؛ كما أوضح أن الأمم لا ترتقي في سلم الحضارة إلّا من رقي أفرادها إذ لا أمّة بلغت أوْج رقيها بغير تربية نافعة وعلم صحيح لأن «الأمة كالجسم إذا صحّت أعضاؤه اعتدلت صحته، وإذا اشتكى بعضُها اعتلّ الباقي»[28].

من هذا المبدأ انطلق أحمد رضا في مخاطبة قومه باتخاذ مواقف جريئة من الحكام الذين يحكمون بلادهم بالظلم والاستعباد، فيتعجب من ركونهم ساكنين على ما يلم بهم قائلاً: «أنا واللّه إن أعجب فعجيب ما صار إليه أمركم. كيف لا تطالبون المراجع العليا باختيار من يحسن سياستكم ويصلح فاسدكم؟ كيف لا تقطعون كل عضو فاسد من بينكم»[29]. ولا ينسى الشيخ أحمد مدى أهمية الأخلاق الفاضلة في الأمة «فهي الحياة للأمم وبقدر قوتها أو ضعفها في أمة يحكم لها بالحياة أو الموت، وإن الإنسانية إذا عَريت من الأخلاق الفاضلة ذهبت مقوماتها وانمحى رسمها»[30].

ويتحدّث الشيخ أحمد رضا عن الدولة مشبهاً إياها بالأفراد، فعليها أن تجاهد وتتخذ سياسة أساسها المنفعة «الدولة كالأفراد تجاهد بكل ما لديها من الوسائل ولكل واحدة سياسة خاصة بها تبني عليها أمورها. وما زالت الدول، منذ أول عهدها، تتنازع البقاء فكانت تقوى وتضعف وتَفْنى وتتجدّد بقدر قوتها في جهاد الحياة وبقدر ما لديها من وسائل البقاء من القوة والعلم والبسطة، اتخذت سياسة عامة أساسها المنفعة وجماعها إدراك بغيتها بكل طريق، فكانت كل دولة لا تحجم عن استطراق كل سبيل لغايتها، ولا ترى للفضيلة معنى إذا وقفت في طريقها فتتلبّس أحياناً بلباس الدين وتظهر بمظهر المحامي فتثير

(٢٧) أحمد رضا، *العرفان*، م٢، ص ٤٥٩.

(٢٨) *المصدر نفسه*، ص ٤٦١.

(٢٩) جريدة *جبل عامل*، العدد ٥، ص ٣٣.

(٣٠) *المصدر نفسه*، العدد ٢٥، ص ١٩٣.

حرباً قوية. وهي كما يعلم اللّه لا وجه لها إلّا مصالحها السياسية، وتبدو آونة باسم المدنية وهي ترتكب من الفظائع ما تبرأ منه المدنية وأخرى باسم الإنسانية وما للإنسانية في عملها نصيب»[٣١].

ومن الأرجح أن تكون آراء الشيخ أحمد في سياسة الدولة متأثرة بما عاناه جبل عامل من الحكم التركي ومن ثم الانتداب الفرنسي فجاءت معبرّة عن عواطفه وأفكاره.

الشيخ سليمان ظاهر هو سليمان بن محمد بن علي بن إبراهيم بن حمود بن ظاهر زين الدين العاملي النبطي، ولد بالنبطية في يوم العاشر من المحرم سنة ١٨٧٣م. ودخل كتّاب بعض شيوخها في السنة العاشرة من عمره، فقرأ القرآن الكريم وتعلّم شيئاً من الخطّ والإملاء، وهو كل ما كان يحويه كتّاب ذلك الزمان من علم وتعليم، وخرج منه بعد سنة وفي نفسه نزوع للتعليم غرسه فيها والده. ولما كانت وسائله مفقودة في بلده آنذاك والرحلة خارجه فوق حدود طاقته رأى والده أن يلتمس من صديقه السيد محمد نور الدين الموسوي المقيم بالنبطية الفوقا أن يمنحه جزءاً من وقته لتلقينه بعض الدروس النحوية، فأخذ يتردد عليه ويقرأ بعض المتون في علم النحو. وثابر على ذلك مدة من الزمن إلى أن تهيأت له الرحلة إلى مدرسة العلّامة السيد حسن آل إبراهيم بقرية النميرية، فمكث فيها بضعة أشهر يدرس مبادىء علمي النحو والصرف. ثم أقفلت تلك المدرسة، فرجع إلى بلده وعاود الدرس على أستاذه الأول مع بعض رفاقه عام ١٣٠٣هـ أي في السنة التي قدم فيها إلى النبطية السيد محمد آل إبراهيم بدعوة من أهلها، فلازمه وقرأ عليه شيئاً من العلوم العربية وآدابها، وشيئاً من الفلسفة القديمة والإلهيات وعلم الكلام.

وفي تلك الأيام نبه شأن مدرسة بنت جبيل لمؤسسها الشيخ موسى شرارة فارتحل إليها وأقام بها بضعة أشهر، وعاد بعد وفاة مؤسسها إلى بلدته. وفي سنة ١٣٠٦هـ جدد السيد محمد نور الدين المدرسة في النبطية الفوقا فانتقل إليها ودرس فيها على الأستاذ الشيخ جواد السبيتي بعض شرح *الشمسية* للقطب في المنطق، و*شرح التلخيص* للسعد في المعاني والبيان إلى سنة ١٣٠٩هـ التي قدم فيها النبطية من النجف، تلبية لدعوة من سكانها، السيد حسن يوسف وأنشأ فيها مدرسة حفلت بالطلاب، فكانت من خيرة المدارس العاملية.

---

(٣١) المصدر نفسه، العدد ١، ص ٦.

وأمّها الكثيرون من الأفاضل. وكان من جملة الوافدين عليها الأستاذ الشيخ أحمد آل مروة فدرس عليه تتمة شرحي **الشمسية والتلخيص** ومقدمة **معالم الدين** في أصول الفقه وبعض كتب الكلام، ودرس رسائل الفقيه الأصولي الشيخ مرتضى الأنصاري في الأصول وكتابيه **المكاسب** والطهارة في الفقه **والقوانين** في علم الأصول للميرزا القمي، وشرح **اللمعة الدمشقية** للشهيد الثاني على رئيس المدرسة حسن يوسف[٣٢] وكان مع ذلك يلقي على الطلاب دروس المعاني والبيان والمنطق والفقه والأصول والكلام إلى سنة ١٣٢٤هـ، وهي السنة التي توفي فيها آخر أساتذته فتفرق شمل الطلاب. وكان ذلك آخر عهده بتلقي دروس العلم ولكنه عكف على المراجعة ومطالعة الكتب العصرية والمجلات العلمية فجنت عليه فوائد كثيرة.

نشأته الأدبية نما فيه الميل إلى مزاولة الأدب العربي وممارسة الكتابة والتمرن على أساليبها العصرية، نابذاً الطريقة القديمة العقيمة التي كانت متبعة في جبل عامل، وتحرى طريقة الكاتبين من أبناء عصره وراسل بعض الصحف البيروتية والدمشقية، وتولى كتابة المقالات الافتتاحية في جريدة **المرج** التي أنشأها في أوائل الانقلاب العثماني في الجديدة صديقه الطبيب أسعد ذياب رحال، وكتب في **المقتبس** وفي مجلة **العرفان**، وفي جريدة **جبل عامل** أبحاثاً في السياسة والاجتماع والأخلاق والتاريخ. وقد أُولع الشيخ سليمان بنظم الشعر وهو ابن خمس عشرة سنة ولكنه نهج فيه مناهج شعراء العصر، ونبذ الطريقة القديمة التي كانت متبعة في بلاده وكانت أكثر منظوماته في الوصف والأخلاق والاجتماع؛ ولا يزال أكثرها غير مطبوع، له ولوع باقتناء الكتب في مختلف الفنون، وما جمعه في مكتبته كان يبلغ زهاء ألف كتاب، لكن فُقِد أكثرها بسبب الأحداث الأخيرة في لبنان[٣٣].

إلى جانب ذلك هذا وقد كان له علاقات وديّة مع رجالات الفكر والسياسة في الوطن العربي أمثال الأمير شكيب أرسلان، فقد جمعتهما الصدفة في النبطية وهو في طريقه إلى فلسطين، ومن بعدها توطّدت العلاقات وتبودلت الرسائل فيما بينهما. يقول الشيخ سليمان في مذكراته: «إن أكثر هذه الرسائل أتلفت في العهد التركي» وإنه يحتفظ ببعضها وهو الذي نشرته مجلة **العروبة**. وفي إحدى الرسائل المدونة في جنيف في ١٨ كانون الأول

---

(٣٢) حسن يوسف مؤسس المدرسة الحميدية في النبطية التي طمست معالمها عام ١٩٠٤ بوفاة مؤسسها.

(٣٣) عن نجله عبدالله في مقابلة معه في ٧٩/١١/٢٦.

١٩٣٢ يثني الأمير شكيب بها على الشيخين سليمان ظاهر وأحمد رضا لحضورهما مؤتمر القدس[٣٤].

إشتغل الشيخ سليمان في القضية العربية وارتبط بدار الاعتماد العربي في بيروت، وله تقارير سياسية مهمة ومنها تقرير يقع في ستين صفحة لم يدع شاردة ولا واردة فيما يتعلق بجبل عامل وسياسته إلّا وقد حواها، نظمه باقتراح صديقه الشهيد يوسف العظمة يوم تولى إدارة دار الاعتماد في بيروت[٣٥].

الجمعيات والمؤتمرات دخل سنة ١٣١٦هـ عضواً في جمعية التعاون الخيري العام. وهو أحد مؤسسي المحفل العلمي العاملي، في العهد الحميدي، الذي لم يُكتب له البقاء. وكان عضواً في الهيئة المركزية بفرع جميعة الاتحاد والترقي الذي تأسس في بلدة النبطية في أوائل الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٩، وعضواً في الجمعية الخيرية العاملية التي تأسست في النبطية سنة ١٣٤٢هـ، وهو من عمدة المدرسة الدينية التي جدّدها الحاج حسين الزين وأخوه يوسف الزين، وتولى بعد الحرب رئاسة جمعية نشر العلم في صيدا[٣٦] وهو أحد أعضاء المؤتمر الإسلامي العام الذي انعقد في القدس سنة ١٩٣١م، وكان عضواً في مؤتمر بلودان، ومؤتمر الساحل سنة ١٩٣٦، ومؤتمر الوحدة السورية سنة ١٩٢٨، وعضواً في أكثر المؤتمرات التي انعقدت في بيروت وغيرها، وهو أحد أعضاء جمعية العلماء العاملية وعضو شرف في جمعية الرابطة الأدبية النجفية[٣٧].

كما مثّل جبل عامل في مؤتمر الطوائف الإسلامية المنعقد الاثنين في ٢١ حزيران سنة ١٩٤٣م[٣٨].

الوظائف في سنة ١٩١٨، وعلى أثر تشكيل حكومة صيدا الوطنية برئاسة رياض الصلح عُيِّن قاضي تحقيق (مستنطقاً) في محكمة صيدا البدائية، ثم استقال بعد أربعة أشهر، وفي سنة ١٩٢٢ عُيِّن عضواً لمحكمة كسروان البدائية، وبعد أربعة أشهر

---

(٣٤) مجلة *العروبة*، سليمان ظاهر، مذكرات، الجزء الثالث، آذار سنة ١٩٤٧، ص ٣٧ ـ ٤٠.

(٣٥) السيد محسن الأمين، *اعيان الشيعة*، مجلد ٥٢، ص ١٢٠.

(٣٦) *مجلة المجمع العلمي العربي*، مجلد ٨، ص ٤٢٧، سنة ١٩٤٨م.

(٣٧) عن نجله عبداللّه، مقابلة معه في ٧٩/١١/٢٦.

(٣٨) مقررات مؤتمر الطوائف الإسلامية المنعقد في بيروت، في ٢١ حزيران ١٩٤٣.

عُيِّن حاكم صلح في الهرمل ثم حاكم صلح في النبطية عند تأسيس المحكمة الصلحية فيها. ثم فصل منها لأسباب سياسية[٣٩]. وقد مارس أيضاً في حياته الأعمال التجارية فلم ينجح فيها.

مؤلفاته كتب الشيخ سليمان ظاهر معظم مقالاته في مجلة **العرفان** وفي جريدة **القبس** الدمشقية وفي جريدة **جبل عامل** وفي مجلة **العروبة** ومجلة **المجمع العلمي العربي**، ومعظم ما كان يكتبه يتعلّق بشؤون جبل عامل. أمّا مؤلفاته المطبوعة فهي:[٤٠]

- كتاب **الذخيرة** وهو في مدح آل البيت.
- **تاريخ قلعة الشقيف** تكلم فيه عن موقع القلعة وتاريخ بنائها وما مرّت فيه من أطوار من عهود الرومان إلى عهود العرب والصليبيين، وما أضيف على هذه القلعة وما هدم، كما كتب على صفحات **العرفان** عن قلعتي هونين وتبنين.
- كتاب **العراقيات** حيث اشترك معه في التأليف الشيخان أحمد رضا وأحمد عارف الزين، وهو مطبوع عام ١٩٠٨ في مطبعة العرفان في صيدا، وفيه تراجم وأعمال أشهر الشعراء العراقيين وقد تناول منهم عشرة شعراء.
- كتاب **الإلهيات** وهو من ديوانه الشعري المسمى **من وحي الحياة** طبعته المكتبة العصرية في صيدا عام ١٩٥٤ وهو عبارة عن ست وثلاثين قصيدة، وهي مستوحاة من آيات اللّه البينات في الأرض والسماوات.
- كتاب **الفلسطينيات** وهو من ديوانه الشعري المسمى **من وحي الحياة** طبعته المكتبة العصرية في صيدا سنة ١٩٥٤ وهو عبارة عن ثلاثين قصيدة سياسية تتناول الانتداب البريطاني في فلسطين وفظائع الصهاينة فيها، وذكرى النكبة بالإضافة إلى موضوعات سياسية شتى.

أمّا مؤلفاته المخطوطة فهي كثيرة، وهي: **معجم أسماء قرى جبل عامل** وقد نشر قسم في مجلدات من **العرفان**؛ **القصة في القرآن**، **الرد على القاديانية**، **تاريخ الشيعة السياسي والديني والأدبي**، **الرحلة العراقية الإيرانية** (شعر)؛ **الملحمة العربية الإسلامية**؛ ديوان شعر **من وحي الحياة** وهو في شتى المواضيع؛ وله رسالة مخطوطة في نقض مذهب

---

(٣٩) مجلة **المجمع العلمي العربي**، مجلد ٨، ص ٤٢٨.

(٤٠) محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، مجلد ٥٢، ص ١٢٠.

دارون، ورسالة مخطوطة في أحوال أبي الأسود الدؤلي، وديوان **الشعر العاملي المنسي**[٤١].

وله أطروحة بعنوان «صلة العلم بين دمشق وجبل عامل» نشرت في **مجلة المجمع العلمي العربي** بدمشق، وبموجبها انتخب عضواً في المجمع المذكور[٤٢]، وله أيضاً **تاريخ جبل عامل القديم والحديث**.

وفاته توفي الشيخ سليمان في الخامس من كانون الأول سنة ١٩٦٠م عن عمر يناهز ثمانية وثمانين عاماً، قضاها بالتأليف والتدريس والنضال من أجل رفع مستوى العامليين الاجتماعي والثقافي والسياسي.

شعره الوطني والسياسي إن الأحداث التي مرّت على جبل عامل، من الاحتلال العثماني إلى الانتداب الفرنسي، أثارت شاعرية الشيخ سليمان فعبّر بأسلوبه السلس عن كل ما يجري حوله وحول أمته العربية من مؤامرات، فكان يحرّض الشعب على الانتفاضة بوجه الظلم والطغيان، وكان من أحرار العرب ومن رواد النهضة القومية العربية، فقضى حياته مجاهداً مناضلاً لإحقاق الحق، عمل على رفع مستوى شعبه ووطنه من خلال مناهضته للاستعمار بجميع أشكاله وجنسياته، وكان من نتيجة مواقفه المناهضة هذه أن سيق عام ١٩١٥ إلى الديوان العرفي، ثم أطلق سراحه وأعدم بعض رفاقه فتألم عند سماعه نبأ استشهاد صديقه ورفيقه عبد الكريم الخليل، فنظم قصيدة بلسان الشهيد يقول فيها:

مـا راعـنـي قَـتْـلـي ولا صَـلْـبـي ... إنْ كـانَ يُـحْـيـي مَـقْـتَـلـي شَـعْـبـي
والـمـوْتُ أشْـهـى مِـنْ نَـسـيـمِ الـصَّـبـا ... يَـغْـتـادُ قَـلْـبَ الـمُـغْـرمِ الـصَّـبِّ
الـعُـرْبُ قـوْمـي وبـهِـمْ مَـفْـخَـري ... وإنْ أقـامَ الـضَّـيْـمُ فـي الـعُـرْبِ
يَـا أُمَّـتـي إنْ ضـاعَ هَـدْراً دَمـي ... فَـفـي غَـدٍ يَـثْـأرُ لِـي رَبّـي
لَـوْ كُـنْـتُ أحْـيـا بـعـدَ صَـلْـبـي ولَـوْ ... أُسـاقُ آلافـاً إلـى الـصَّـلْـبِ
مـا كُـنْـتُ مُـخْـتـاراً سِـوى خِـطَّـةٍ ... أرى بِـهـا الـعِـزَّةَ لِـلْـعُـرْبِ[٤٣]

أما نظام الانتداب، فإن الشيخ سليمان يرى فيه بدعة فرضت على المنطقة العربية بأسرها، بحجّة تمدين هذه الشعوب والعمل على تحضيرها فيقول:

---

(٤١) عن نجله عبدالله.

(٤٢) محسن الأمين، أعيان الشيعة، مجلد ٥٢، ص ١٢١.

(٤٣) العرفان، مجلد ٣٣، صفحة ٧٢٣.

بِـسِـيـاسَــةِ الإفْــقــارِ والإقْــفــارِ   غَـدَتِ الـبِـلادُ عَـلـى شَـفـيـرِ هـارِ
وبِمـا أتَــوْه مِــنْ ضُــروبِ تَــجـارِبِ   شَـتّـى الـطّـوائـفِ مـا انْـتَـهَـت لِـقَـرارِ
مَـا بَـيْنَ مَـدِّ الأجْـنَـبِـيِّ وجَـزْرِهِ   غَــرِقَــتْ بِــبَــحْــرَيْ ذِلَّــةٍ وإسـارِ
قـالـوا فَـرضْـنـا الإنْـتِـدابَ لِـعِـزِّهـا   ولِـكَـيْ تَـسـيـرَ بـهِ بِـغَـيْـرِ عِـثـارِ
ولِـتَـسْـتَـرِدَّ بِـهِ مُـضَـيَّـعَ مَـجْـدِهـا   مِـنْ غـاصِـبٍ أوْطـانَـهـا جَـبّـارِ(٤٤)

كان الشيخ سليمان يعلم أن الحروب العالمية تجلب المصائب والويلات للشعوب جميعاً، وهو الذي عاش الحرب العالمية الأولى ورأى ويلاتها من موت ودمار وجوع وهجرة، وخاصة لدى الدول الصغيرة. ولم يكن ليسكت وهو يرى أمام عينيه هذه النزاعات الدولية بين الدول الكبرى، ومن أجل ذلك كانت قصيدته «التنازع العالمي البغيض» محاولاً بها لفت نظر العالم إلى مخاطر الحروب العالمية، هذا بعض منها:

لَمْ تَـسَـعْ ظُـلْـمَ أهْـلِـهـا الـغَـبْـراءُ   وبِـهِ أوْشَـكَـتْ تَـضـيـقُ الـسّـمـاءُ
رَكِـبـوا فـي سـبـيـلِـهِ الـبَـحْـرَ يَـطْـغـى   فَـوْقَ سُـفْـنٍ طَـغَـتْ بِـهـا الـكِـبْـرِيـاءُ
إنْ رسَــتْ شــامِــخُ الـبِـناءِ تَـداعـى   وهَـوى لِـلْـحَـضـيـضِ ذاكَ الـبِـناءُ
غـمَـروا الأرضَ بِـالـدِّمـاءِ فـهَـلْ مِـنْ   بُـقْـعـةٍ لا تَـسـيـلُ فـيـهـا الـدِّمـاءُ(٤٥)

لم يتوقف فكر الشيخ سليمان عند حدود جبل عامل، فقد كان يعتبره جزءاً من البلاد السورية، التي يكنّ لها محبةً خاصة في نفسه حيث كانت مركزاً للحركة الوطنية العربية منذ نهاية الحرب الكبرى الأولى. وكان يذكر الشام في كل مناسبة، فكيف إذا تعرّضت للقصف من قبل المنتدبين حيث نظم قصيدة يُذكّر فيها العرب بأمجادهم، كما أنه يُنذر الدولة المنتدبة بأن الظلم والاستبداد له نهاية، وهذا بعض منها:

أمـا أتـاهُـمْ بِـأنَّ الـشّـامَ ثـاكِـلَـةٌ   وأنَّ مَـسْـجِـدَهـا الـمَـعْـمـورَ مَـحْـزونُ
نَـصَـرَ الإلـهُ لَـهُـمْ فـي كُـلِّ مـعْـرَكـةٍ   فـيـهـا سِـلاحُـهُـمُ الإيمـانُ مَـضْـمـونُ
مـا زالَ فـي جِـلَّـقٍ لِـلْـعُـرْبِ مُـعْـتَـصِـمٌ   وفـي الـجَـزيـرَةِ مَـنْـصـورٌ ومَـأْمـونُ(٤٦)

أمّا مأساة شعب فلسطين ونكبته فقد أثارت عواطف الشعراء العرب فجاءت قصائدهم معبّرة عن مشاعرهم وأحاسيسهم الصادقة مع إخوانهم الفلسطينيين في مصائبهم، ولم يجد

---

(٤٤) سليمان ظاهر، الفلسطينيات، المكتبة العصرية، صيدا ١٩٥٤، ص ٩، من قصيدة بعنوان «الانتداب».
(٤٥) مخطوطة غير منشورة، نظمت في ١٩ آذار سنة ١٩٤٢، وهي من ٢٧ بيتاً.
(٤٦) مخطوطة غير منشورة، مؤلفة من ٤٥ بيتاً.

الشيخ سليمان وسيلة للتعبير عمّا يجيش في صدره من أسى ولوعة سوى الشعر، فنظم قصائد مطولات أفرد لها كتاباً أسماه **الفلسطينيات** وفيه ثلاثون قصيدة من وحي فلسطين، نظمها ليهز بها مشاعر كل عربي يغار على وطنه ويخلص له. فهو يدعو العرب لتوحيد كلمتهم للذود عن فلسطين قبل استفحال الأمر وقبل وقوع الكارثة، وهو يدعو المسلمين إلى صون كرامة المسجد الأقصى فيقول:

صونوا كَرامَتَهُ فَلا يَنْشِبْ بِه ... عادٍ بِظُفْرِ مُخادِعٍ أو مِخْلَبِ
أيَهونُ عِنْدَكُم بأنْ يَغْشى اليَهودُ ... رُبوعَها بِمَشْرِقٍ وبِمَغْرِبِ
إنْ لَمْ تَرُدوا كَيْدَهُمْ قَبْلَ فَواتِ فُرْ ... صَتِهِ برأيٍ في الخُطوبِ مُجْدِبِ
فَتَرقَّبوا ذُلّاً لَها ولِقَوْمِكُم ... وهُو الّذي لَمْ يرضَهُ الحُرُّ الأبي(٤٧)

لم يترك الشيخ سليمان حدثاً يتعلق بفلسطين إلّا وتناوله في شعره، فهنا يهنىء مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني بسلامته يوم فراره من السلطات البريطانية والتجائه إلى لبنان سنة ١٩٣٧:

لا يُزْعِجَنْكَ أمينَ أمّةِ أحْمَدِ ... إقْصاؤهُم لَكَ عن فِناءِ المَسْجِدِ
ناضَلْتَ خَصْمَكَ لا بِماضٍ مُرْهَفٍ ... وهَزَمْتَهُ لا بِالقَنا المُتَقَصِّدِ
لَكَ أُسْوةٌ بِمُحَمَّدٍ إذْ شَرَّدَتْ ... عَدْوى قُرَيْشٍ فيهِ كُلَّ مُشَرَّدِ
أقْصَوْكَ عَنْ حَرَمٍ كَما أقْصَوْه عَنْ ... حَرَمٍ كِلا الحَرَمَيْنِ نَجْمُ المُهْتَدي
عَرَفَتْ فلَسْطينٌ بِأنّكَ خَيْرُ مَنْ ... عَنْها يُدافِعُ بِاللِّسانِ وباليَدِ(٤٨)

وكما أثارت فلسطين مشاعر الشيخ سليمان فكذلك فعلت الإسكندرون عندما أنكرت الدول المنتدبة حريتها ووحدتها وعروبتها فقال:

راعوا البِلادَ جُنوبَها وشِمالَها ... وعَلى العُروبةِ حَرّموا اسْتِقْلالَها
زَعَموا بأنّ الطائِفيّةَ داؤُها ... وهيَ الّتي قَدْ سَبَّبَتْ أغْلالَها
وَصَفوا الدَّواءَ لَها فَكانَ تَفرُّقاً ... أتَرى التّفَرُّقَ شافِياً أعْضالَها
تا اللّهِ ما الإسْكَنْدَرونُ غَنيمَةٌ ... لِلتُّرْكِ إنْ جاسَ العَدُوُّ خِلالَها
هِي رَغْمَ ما ائْتَمَروا بِه عَربيّةٌ ... والعُرْبُ ما بَرِحوا بِها أقْيالَها(٤٩)

---

(٤٧) الفلسطينيات، ص ١٢.

(٤٨) المصدر نفسه، ص ٣٣.

(٤٩) المصدر نفسه، ص ٤٩، نظمت سنة ١٩٣٨.

لم يدع الشيخ سليمان فرصة إلّا واستغلها منبهاً العرب إلى ما يحدق بفلسطين من الأخطار، فقد أثارته الفظائع التي يرتكبها الصهاينة في دير ياسين، فيقول:

أفي فَظائِعِكُمْ في دَيْرِ ياسينِ تَبْنونَ مُلْكَكُمُ أبْناءَ صهْيونِ
لَوْلا شكَتْ هذهِ الدُّنيا مَساوِئَكُمْ في عهْدِ مُوسى بنِ عُمْرانٍ وهارونِ
وسُوءَ ما اقْتَرَفتْ أيْديكُمُ تَرَكتْ شَتيتَكُمْ بَيْنَ مَهْمومٍ ومَخْزونِ[٥٠]

وبعد ضياع فلسطين من يد العرب سنة ١٩٤٨ وهم مختلفون ومنشقون على أنفسهم، يخاطبهم ويتّهمهم بالجبن، فنراه ينادي قومه لرفع نير الذلّ عن كواهلهم، ويدعو الحكام العرب إلى الاتحاد وترك الأحقاد والضغائن من أجل حفظ الأوطان يقول:

إلى مَتى قادَةَ العُرْبِ النِّزاعُ وما لِشَتيتِ بيْنِكُمُ آجْتِماعُ
وأيّةُ أُمّةٍ في الأرْضِ عَزَّتْ ولَيْسَ لها عَلى الخَصْمِ آمْتِناعُ
وقادَتُها عَلى الأحْقادِ تَطْوي ضُلوعَهُمُ وحَقُّهُمُ مُضاعُ
إلى مَتى مِن رِجالِ الغَرْبِ يُغْري بِقادَتِكُم لَيمْلِكَكُمْ خِداعُ[٥١].

ويرى الشيخ سليمان أن الحل الوحيد لحل مشاكل العرب، وأهمها فلسطين، هي الوحدة الشاملة للأمة العربية، وذلك لرفع المطامع الصهيونية عنها لأن هيئة الأمم المتحدة كسابقتها عصبة الأمم لا يُرتجى منها أيُّ خير. يقول:

أُخْتا رضاعٍ عُصْبَةُ الأُمَمِ بِنْتُ الخَيالِ وهَيْئَةُ الأُمَمِ
كِلْتاهُما ما حَقّقَتْ أمَلاً لِلسِّلْمِ في عُرْبٍ وفي عَجَمِ[٥٢].

لم يكتف الشيخ سليمان بالتعبير عن آرائه ومواقفه السياسية وعواطفه الوطنية بل تعداها إلى بعض المقالات الاجتماعية والأخلاقية والتربوية التي نشرت على صفحات المجلات والجرائد، فجاءت تلك المواقف والآراء معبرة عن الواقع الاجتماعي الذي نعيش فيه، ملتصقة بهذا الواقع التصاقاً شديداً. فقد عالج مشاكل التعليم مسنداً إهماله إلى أسباب اجتماعية واقتصادية وإدارية، كما كان يرى أن الإبقاء على التعليم القديم الذي ينحصر بالنظريات وخلوّه من روح التطبيق العملي هي من أسباب تفشّي الجهل ووقوف النشء موقف الجمود. من هنا انطلق الشيخ سليمان للحث على الاقتداء بالدول المتحضرة ولأخذ

(٥٠) المصدر نفسه، ص ٧٦، بعنوان «فظائع الصهيونيين في فلسطين».
(٥١) المصدر نفسه، ص ١١٤، عنوان القصيدة «إلى قادة الأمة العربية» نظمت سنة ١٩٤٩.
(٥٢) العرفان، مجلد ٣٦، جزء ٤، قصيدة بعنوان «هيئة الأمم كعصبة الأمم»، نظمت سنة ١٩٤٨.

أساليب التعليم والتحضر؛ ويعطينا مثلاً على ذلك كيف «كانت الأمة العربية قبل الإسلام وقبل الاختلاط بالأقوام الأخرى ذات نظام اجتماعي خاص، لكن ذلك النظام لا يرجع إلى أصول عمرانية تبلغ به المستوى الذي بلغته عند ظهور الإسلام في تعاليمه الراقية وقوانينه السامية، وقد أعدّها للتغلب على الأمم المجاورة لها من الفرس والرومان والقبط والصقالبة التي كان لها مدنية وحضارة باهرتان، فأحسّت بوجوب الأخذ مما يلائم الروح العامة التي أفاضها عليها الاسلام والذي لا ينافي تعاليم دينها، ورأت أن النقطة المركزية للحصول على حل معضلات العمران والاجتماع هي ولوج أبواب العلم والفلسفة فاقتبست منه ما مزجت مع المستفاد من الدين»(٥٣).

كما أن الشيخ سليمان يؤكد على ضرورة أهمية الأديان إزاء تهذيب النفس الإنسانية، فالدين ضروري جداً للبشر «بحيث يهذب النفوس ويسير فيها إلى مواطن الطمأنينة والاستقرار، وكل من يسيء إلى تعاليمها فهو يسيء للإنسانية»(٥٤). وهو «نظام يقوّم اعوجاج الأخلاق ويداوي أدواء النفوس بأدوية ناجحة، ويقضي على الأمراض القاتلة وهو يردع الفرد عن اقتراف أيّة جريمة وعن اتباع الشهوات التي تضر بالنفس وبالمجتمع»(٥٥).

ويحرص الشيخ سليمان على أن تكون دروس الأخلاق ودروس الدين الصحيح متوازيتين في الميزان «وأية قيمة للعلم إن لم يقرن إليه العمل، وما قيمة العمل إن لم يكن مستمداً من الدين؟ وما كان العلم والدين متخالفين في الاتجاه ولا متعارضين في المبدأ والغاية ولا متناقضين في تفسير أسرار الكون وأسرار الحياة، وكلاهما مهذب للنفوس مغذٍّ للأرواح»(٥٦).

الشيخ أحمد عارف الزين هو ابن الحاج عارف بن علي سليمان الزين ولد في قرية شحور (١٣٠١هـ ١٨٨٤م) ونشأ فيها ثم في صيدا، وتعلّم القرآن والخط على أيدي شيوخ القرية، وأثناء ذهابه إلى صيدا كان يتردّد على مدرستي الرشيدية واليسوعية. وفي الحادية

---

(٥٣) جريدة جبل عامل، العدد ٢، صفحة ١٠.

(٥٤) العرفان، مجلد ٢، صفحة ٢٥.

(٥٥) المصدر نفسه.

(٥٦) وحي الفكر، محاضرات ألقاها نخبة من العلماء والأدباء في العاشر من المحرم سنة ١٣٥٥هـ.

عشرة من عمره ذهب إلى النبطية ليتعلم في مدرستها الابتدائية، ثم انتقل إلى مدرستها الدينية التي أنشأها السيد حسن يوسف مكّي، فدرس النحو والصرف والمنطق والبيان، وفي أثناء ذلك درس شيئاً من اللغتين الفارسية والتركية، ولمّا انتقل إلى صيدا درس شيئاً من اللغة الفرنسية، ابتدأ يكتب في بعض جرائد بيروت سنة ١٩٠٥م، وأصدر مجلته **العرفان** في بيروت سنة ١٩٠٩م ونقلها إلى صيدا سنة ١٩١٢. وفي ٢٨ كانون الأول ١٩١١ أصدر جريدته **جبل عامل**.

في العام ١٩٠٥م أقام في صيدا حيث بدأ حياته الصحفية والأدبية والسياسية في سن مبكرة بمراسلة أكبر الصحف المنتشرة في العهد العثماني منها **ثمرات الفنون** و **حديقة الأخبار** وجريدة **الاتحاد**(٥٧).

يقول الشيخ أحمد: «ابتدأنا في الكتابة منذ ٥٥ سنة، وأول كتابتنا كانت في **ثمرات الفنون والاتحاد العثماني** ثم في جريدة **حديقة الأخبار** إذ كنت وكيلها ومراسلها في صيدا. وكل كتابتنا أو جلّها كانت في محاربة الزعماء المستبدين ونقد الموظفين الخائنين المرتشين، ونصرة القائمين بنشر الحرية والدستور»(٥٨).

عروبته ووطنيته كان الشيخ أحمد مؤمناً بالوحدة العربية فعمل لها طويلاً بقوة وإخلاص ثم طالب بالوحدة السورية ودعا لها لتكون نواة للوحدة العربية، وكان يردّد في خطبه:

إنْ تَسَلْ عنّي فَهذا نَسَبي عَرَبي عَرَبي عَرَبي

وحبه لوطنه وتفانيه في سبيله جعله يتوج مجلته **العرفان** بشعار «حب الوطن من الإيمان» وقد كان شعاره الأوحد التضحية والجهاد في سبيل نصرة الوطن ونيل الاستقلال «فهل رأيت أمّة مغلوبة على أمرها نالت استقلالها؟ أو شعباً ضعيفاً استعاد قوته واستردّ كرامته واستبدل العبودية بالحرية إلّا في بحر من الدماء؟»، يقول:

---

(٥٧) • **ثمرات الفنون**: صحيفة أسبوعية سياسية علمية أدبية أنشأها سنة ١٨٧٥ أدباء مسلمون وعلماء في بيروت، فكانت أولى الصحف الإسلامية في بيروت فوض تحريرها إلى عبد القادر العثماني.

• **حديقة الأخبار**: صاحبها خليل الخوري من الشويفات أنشأها سنة ١٨٥٨ فكانت أول جريدة عربية تصدر برخصة رسمية من قبل الحكومة العثمانية خارج عاصمة السلطنة.

• **جريدة الاتحاد**: صاحبها الشيخ أحمد حسن طباره.

(٥٨) **العرفان**، جزء ١، مجلد ٣٩، صفحة ٥، سنة ١٩٥١.

لَـوْلا الـدّمـاء تُـراقُ لَمْ تَـكُ أمّـةٌ   بَلَغَتْ مِنَ الـمـجْـدِ الـعَـريـضِ مُـنـاهـا
تَـشـمـو الـبِـلادُ بِـكُـلِّ حُـرٍّ مـاجِـدٍ   وَجَبَتْ عَلـيْـهِ حُـقـوقُـهـا فـقَـضـاهـا[٥٩].

كما كان يعلق آمالاً كباراً على العرب بنصرة فلسطين «فلن تضيع ما دام العرب لم يَجْبُنوا على الاستشهاد في سبيل قضيتهم وما زالوا على استعداد تام للذود والدفاع عن استقلالهم بالأموال والنفوس»، ويقول:

دامَـت فـلـسْـطـيـنُ فـي الـدُّنْـيـا مُـعَـزَّزَةً   فَـالـعُـرْبُ بِـالـرّوحِ والأمْـوالِ تَـفْـديـهـا[٦٠]

دعوته للعلم سار في مجلته وجريدته على النهج الإصلاحي والسياسي والعلمي، وشعاره هو محاربة العبودية والتخلّف وتشجيع العلم والأدب والثقافة وسائر المعارف؛ وفي دعوته في مجلته للعلم يقول:

هُـبّـوا إلى الـعِـلْـمِ والـتـهْـذيـبِ جُـهْـدَكُـمُ   فَـإنّـمـا أعْـلَـمُ الأقْـوامِ أسْـعَـدُهـا
واسْـتَـرْشِـدوا بِـضِـيـا الـعِـرفـانِ واقـتَـبِـسوا   مَا ضَلّتِ النّاسُ والعِرفانُ مُرشِدُها[٦١]

وقد أكّد على ضرورة التعليم الديني «فلا نفهم المحبة والاعتماد على الذات والاستقلال الفكري والحرية والقيام بالأعمال الصالحات والصدق في المعاملات إلّا بواسطة الدين وعن طريق تعليم الدين»[٦٢]. كما أوجب ضرورة الأخذ بالعلوم الحديثة إلى جانب العلوم الدينية، معتبراً كلاً منهما متمماً للآخر. كان منزله في صيدا مضافة للزوّار من الأدباء والعلماء والشعراء والشخصيات الوطنية والسياسية، وذلك بحكم مواقفه الوطنية، وبصفته صاحب مجلة **العرفان** التي كانت في تلك الفترة المجلة الأولى التي كانت تهتم بالأدب وخاصة العاملي، وبالشؤون الوطنية في تلك الفترة، وكان على علاقة جيدة ومعرفة صحيحة بكل العاملين في المجالين الأدبي والوطني، وغير العامليين. من ذلك أنه عند، عودة الأمير شكيب أرسلان من منفاه في سويسرا سنة ١٩٣٧، نزل ضيفاً على الشيخ أحمد في صيدا مدّة ثلاثة أيام، وُضع البيت حينها تحت مراقبة الأمن العام، كما كان على علاقة جيدة بالشريف حسين قائد الثورة العربية، وكان يحتفظ برسالتين منه أثناء إقامته في قبرص لكنّهما

(٥٩) العرفان، جزء ٧، مجلد ٣٢، صفحة ٦٠٩، سنة ١٩٤٦.
(٦٠) العرفان، جزء ٧، مجلد ٣٢، صفحة ٦١٥، سنة ١٩٤٦.
(٦١) هذه الأبيات للشاعر أمين كاملة.
(٦٢) جريدة جبل عامل، العدد ٣٣، صفحة ٢٥٩.

فُقِدتا في الحوادث الأخيرة في لبنان. كما كان على علاقة جيّدة بالحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين، محباً مخلصاً له. فعندما وفد ضيفاً على الحكومة اللبنانية زاره وفد من جبل عامل مؤلف من الشيخ أحمد رضا وسليمان ظاهر وأحمد عارف الزين والنائب يوسف الزين، وقد ألقى الشيخ سليمان قصيدة ترحيبية نالت استحسان الحاج؛ كما ارتجل الشيخ أحمد رضا خطاباً وجيزاً وارتجل الشيخ أحمد عارف أبياتاً ترحيبية يقول فيها:

أهْـــلاً بِـــمَـــوْلانـــا الأمِـــيـنْ ... مَـــوْلـــى الأعـــارِبِ أجْـــمَـــعِـــيـنْ
هـــذي جُـــنـــودُكَ أقْـــبَـــلَـــتْ ... يـــا قـــائِـــدَ الـــجُـــنْـــدِ الأمِـــيـنْ
صَـــيْـــدا وعَـــامِـــلُ أصْـــبَـــحـــا ... فـــي نُـــصْـــرَةِ الـــحَـــقِّ الـــمُـــبِـــيـنْ(٦٣)

كان الشيخ أحمد محترماً وقوراً من قبل من عرفه حتى من قبل السلطنة العثمانية، فعندما كان في السجن سنة ١٩١٢م لاقى كل تكريم واهتمام، إذ أرسل والي بيروت آنئذ حازم بك لمدير السجن، الحاج خالد الخالدي، قائلاً: «إن الشيخ أحمد ضيف عندك لا سجين»، وهكذا كان.

شجع الشيخ أحمد العلم والمعرفة فاشترك سنة ١٩١٢م في تأسيس جمعية نشر العلم وانتخب رئيساً لها، وكان رئيساً لأكثر من جمعية كانت مهمتها نشر العلم والثقافة والأعمال الخيرية. كما كان يشجع الناشئين على الكتابة، بنشر قصائدهم ومقالاتهم في مجلته. وقام أيضاً بمشروع إنشاء مخيم سنوي للشباب العاملي خلال أشهر الصيف في بلدة جباع، يستقبل في آن واحد من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ شاب، غايته بث روح الحركة والعمل في الشباب المتعلّم والاستفادة منه في خدمة البلاد(٦٤). كما كان أحد أعضاء البعثة العلمية اللبنانية التي زارت القاهرة في سنة ١٩٣٨.

مفهومه للتربية والأخلاق كان الشيخ أحمد يعتبر أن الأخلاق الفاضلة هي أساس ارتقاء الأمم «فلم تنهض أمة من الأمم ولم يثبت في ميدان الحياة العلمية شعب من الشعوب ولم تسر على سنن العدل والحكمة والرقي حكومة من الحكومات وجماعة من الجماعات ما لم تعتصم بالأخلاق الفاضلة والمزايا العالية الكاملة»(٦٥). فـ«الأمم بأفرداها والأفراد

(٦٣) العرفان، مجلد ٣٤، جزء ١، صفحة ١٤٤.
(٦٤) العرفان، مجلد ٣٢، صفحة ٨٦، سنة ١٩٤٥.
(٦٥) وحي الفكر في الليالي العشر، ص ٩، سنة ١٩٥٥.

بأخلاقهم فالأخلاق الفاضلة والصفات الرفيعة هي المثل الأعلى للأمم والأفراد لذلك حثّت عليها الشرائع السماوية حتى كان أعظم نعت للرسول في القرآن الكريم، وإنك لعلى خلق عظيم»[٦٦] ومن أبرز الأخلاق الفاضلة، برأي الشيخ أحمد، الوفاء والمكافأة على فعل الجميل سواء كان هذا الفعل للإنسانية جمعاء أو للوطن خاصة أو للأفراد:

ضاعَ الوفاءُ وفاضَ الغَدْرُ وانْفَرَجَتْ   أزْمّةُ الحِلْفِ بيْنَ القَوْلِ والعَمَلِ

كذلك التربية، فهي بنظر الشيخ أحمد من أهم الأمور التي يتوقف عليها رقي الأمم وصعودها إلى أعلى ذرى النجاح فيقول: «لو تأملنا في سر ارتقاء الشعوب والقبائل لوجدنا أن التربية هي الأساس الذي يُبنى عليه عزهم ومجدهم»[٦٧]، «كما أن التربية العالية لأبناء الوطن الواحد تبلغ بالوطنية مستواها وفي سبيلها تعظم في نفوسهم محبة أوطانهم وفيها يرون الاستماتة في قضاء حقوق الوطن أمراً مقضياً وحكماً مبرماً»[٦٨].

هكذا كان الشيخ أحمد مخلصاً لمبادئه ولوطنيته ولعروبته، وفياً صادقاً لزملائه الشهداء الذين عمل معهم جنباً إلى جنب في سبيل قضية مشتركة؛ ولا سبيل لديه سوى إعادة الذكريات معهم «لله أيام قضيناها معكم فاضت ثم فاضت بالوطنية وبالغت ثم بالغت في بحث القضية العربية، كم وكم عقدنا الجلسات في إدارة **المفيد** وفي إدارة **الاتحاد العثماني** وفي الكلية الإسلامية وعلى نبع الغدير وفي مطبعة العرفان، فكنا وكنتم كما شاء الوفاء والإخاء، وكما شاءت الوطنية الصحيحة والعروبة الصريحة[٦٩]:

وإنّ الّذي يَسْعى لِتَحْرِيرِ أُمّةٍ   أضَرَّ بِها الظُّلْمُ المُنَظَّمُ والرِّقُّ
يَعِزُّ عَلَيْهِ أنْ تَهونَ وإنّما   يَهونُ عليهِ السِّجْنُ والنَّفْيُ والشَّنْقُ

وقد بقي الشيخ أحمد سائراً في طريق النضال مدافعاً عن حقوق شعبه مخلصاً لوطنيته وعروبته ودينه حتى آخر يوم في حياته، إذ توفي في إيران عندما كان يقوم بزيارة لمشهد الإمام الرضا (ع) سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م ودفن هناك.

---

(٦٦) **العرفان**، مجلد ٣٦، جزء ٤، سنة ١٩٤٩.

(٦٧) جريدة **جبل عامل**، العدد ١١، صفحة ٨١.

(٦٨) **المصدر نفسه**، العدد ١٧، صفحة ١٢٩.

(٦٩) **العرفان**، مجلد ٣٩، جزء ٧، صفحة ٧٩٢، سنة ١٩٥٢.

السيد عبد الحسين شرف الدين هو السيد عبد الحسين بن الجواد بن إسماعيل بن محمد بن إبراهيم شرف الدين، أحد أعلام هذه الأسرة التي تنتهي إلى الإمام موسى الكاظم. ولد من أبوين كريمين تربط بينهما أواصر القربى ويوحد نسبهما كرم العرق، كانت ولادته أثناء رحلة والديه لطلب العلم، وبقي مع أبيه إلى السنة الثامنة من عمره فرجع به أبوه إلى بلاده واستوطن بعد ذلك قرية شحور التي هي إحدى قرى جبل عامل. عني والده بتربيته وتهذيبه منذ نعومة أظفاره وكان، بما له من استعداد موروث ومكتسب بحكم انتمائه إلى هذا البيت ونشأته في بيئته الخاصة المكونة من أفاضل أسرته، ما يبعث على تقبل هذه التنشئة على أفضل صورها. وكان من عوامل هذه النشأة ما يجري فيه من إصرار على الإخلاص ومن عزم على التصميم ومن قولٍ صريحٍ ومن جرأة على العمل، ومن أتباعٍ للهدى، وبذاك تكونت شخصيته السوية في استقامة خلقها وسمو مبادئها.

رحلاته وهجراته في سنة ١٣٢٩هـ زار السيد عبد الحسين مصر زيارة علمية استطلاعية بصحبة خاله العلّامة السيد محمد حسين الصدر متوخياً التغلغل في الحياة العلمية هناك، واستبطان دخائل المجتمعات الأدبية، بالتحدث إلى العلماء والسماع منهم بالمناظرة في أهم المسائل العلمية التي كانت مدار البحث ومحك الفضيلة. فحظي هناك بحفاوة كبيرة من زعماء العلم والدين، واجتمع فيها بأفذاذ الحياة العقلية وفي طليعتهم شيخ الأزهر في عصره الشيخ سليم البشري المالكي، ودارت بينه وبين الشيخ مناقشات ومراجعات جريئة بريئة تناولت وجوه الخلاف بين المذهب الإمامي وبقية المذاهب الإسلامية الأخرى. كما اجتمع أيضاً بغير البشري من أعلام مصر المبرزين، منهم الشيخ محمد بخيت والشيخ محمد الأسيوطي والشيخ محمد عبد الحي بن الشيخ عبد الكريم الكتاني الفارسي، وكانت بينه وبينهم مناقشات وزيارات نجم عنها فوائد جمّة. غادر مصر سنة ١٣٢٩هـ بعد أن أقام علاقات وديّة مع أعلامها.

وبعد أن استقر به المقام في وطنه ورأى نظاماً جائراً يستغلّ شعباً لا يملك من أمره شيئاً، وفي ظل إقطاعيات يرعى مصالحها الزعماء الأقوياء ومن ورائهم الاستعمار، عزم على تحرير أبناء أمته من نير الإقطاع واستغلالهم، باذلاً جهده للحصول على حقوقهم كاملة غير ناقصة، فاستغل موهبته الخطابية وبراعة أسلوبه الإرشادي لحضّ أفراد الشعب وحفزهم للمطالبة بحقوقهم التي يضمنها لهم الدين والقانون، فأخذ يدافع بقلمه ولسانه ويجاهد بكل

ما أُوتي من طاقات فكرية وملكات تعبيرية في سبيل رفع ذلك الكابوس الإقطاعي والاستعماري عن أبناء وطنه وأمته، فاشترك في عقد المؤتمرات الشعبية والاجتماعات الجماهيرية والجلسات، متصلاً بكبار العلماء والشخصيات من رجال الفكر والوعي، ملهباً فيهم روح الوطنية والدفاع عن حقوق الشعب والعمل على رد المسلوب منها وانتزاعها من الاستعمار(٧٠).

أبرز هذه الاجتماعات التي عقدت إبان الثورة العاملية سنة ١٩٢٠ هو مؤتمر الحجير الذي اتهمت الدولة المنتدبة السيد عبد الحسين بالتحريض فيه على المسيحيين، فحاولت بعد هذا المؤتمر اعتقاله لكنه نجا بأعجوبة من أيديهم وفرّ إلى دمشق. وعن إقامته في دمشق يقول السيد عبد الحسين: «قضيت شهوراً في دمشق كان خلالها يرتاد مجلسنا الوزراء والعلماء والرؤساء وفي مقدمتهم بطل الجهاد في هذه الفترة يوسف بك العظمة، وكانت وسائل الراحة مؤمنة، كما كنّا نُسْهِم خلال هذه المدة بحظٍّ غير يسير في مشاورات القضية العربية السورية. حتى إذا احتُلّت دمشق من قبل الجيش الفرنسي خرج الملك فيصل إلى فلسطين وخرجت أنا إلى حيفا»(٧١). وعن إقامته في حيفا يقول: «لبثت في حيفا أياماً زرت الملك فيصل فرغب إليّ أن أكون في الحجاز إلى أن تنكشف هذه الأزمة، وكتب إلى والده الملك حسين في ذلك. غير أن أسباباً حالت دون سفري إلى الحجاز فوزعت أهلي بين البلاد فأرسلت جماعة منهم إلى جبل عامل وجماعة إلى دمشق وأنا سافرت إلى مصر»(٧٢). وفي مصر يروي لنا ما حدث معه قائلاً: «لم يَخْفَ أمري في مصر، على أني كنتَ متنكراً فما بلغت مصر حتى تقاطر نحوي ذوو الفضل من أعلام الفكر والسياسة وعقدت لنا الحفلات وكنت فيها خطيباً وطلب منّي أحد الأعلام أن أذهب إلى الولايات المتحدة للاطلاع على معالم النهضة الفكرية، وعلم بوجودي في مصر القائد العام اللورد المارشال أللنبي فسهّل لي طريق الحدود ولكن ظروفاً سياسية وأخرى شخصية منعتني من السفر وبقيت في مصر قرابة شهرين»(٧٣). وبما أن السيد عبد الحسين كان في مصر، بعيداً عن جبل عامل وأخباره وفي نيته أن يكون أقرب إلى نفعه، عاد إلى فلسطين واختار

(٧٠) عبد الحسين شرف الدين، النص والاجتهاد، ص ٨ ـ ١٠.
(٧١) مذكرات السيد عبد الحسين شرف الدين، مجلة الأدباء، ص ٩، سنة ١٩٥١.
(٧٢) المصدر نفسه، ص ١٠.
(٧٣) المصدر نفسه.

قرية عَلْما لموقعها القريب من الحدود ولأنها محاطة بقرى المشردين من أبطال الحركة العاملية. وعن إقامته في عَلْما يقول السيد: «في عَلْما كنت على اتصال دائم بجبل عامل وبأعلام فلسطين وبأخواننا المشردين، وكنت أعمل على إنقاذ الجبل ممّا حلّ به من كوارث وعزمت على مغادرة هذه البلاد إلى العراق، لكن صدر عفو بالإفراج عنّي من قبل الدولة المنتدبة فأرسل الجنرال غورو مندوباً خاصاً يحمل إليّ منه رسالة بالأمان ويطلب منّي دخول البلاد على ما أحب».

دعوته الوحدوية الإسلامية بعد أن عاد السيد عبد الحسين من هجرته العلمية إلى لبنان، وجد الحالة الاجتماعية والعقلية بشتى مظاهرها متخلّفة، إذ إن الطائفية كانت تلعب دورها في سحق معنويات الشعب وتمزيقه بخلافات وهمية مفتعلة خلّفها الحكم العثماني وركّزها الانتداب الفرنسي وأعوانه لتستسلم لمآربه عن طريق القاعدة المشهورة «فَرِّقْ تَسُد». وكانت الخصومات السياسية العنيفة بين الزعماء على أشدها نتيجة للحكم الإقطاعي، وقد نال الشعب الجهل والفقر في ظل تلك الإقطاعيات المستبدة، فهاله هذا الأمر ودعا بقلمه ولسانه إلى نبذ الخلافات الوهمية التي ركّزها الانتداب بين السنّة والشيعة، داعياً إلى التسامح والألفة والمحبّة وجمع الصف وتوحيد الكلمة، مستخدماً لذلك الاتصالات والمواقف الإيجابية إزاء العلماء والطوائف، وعقد لأجل ذلك الاجتماعات والاحتفالات العامة ملهباً الشعور الاسلامي بخطاباته البليغة مبيناً بذلك رسالة الإسلام ذات الطابع الإنساني السامي، محاولاً بذلك جمع كلمة الإسلام وموحداً صفها عاملاً على إبعاد عوامل التفرقة بين مختلف الطوائف والمذاهب الإسلامية التي كان للسياسة الغاشمة مصلحة كبرى في تنميتها وتغذيتها، ومن أقواله المأثورة في هذا المجال: «الشيعة والسنّة جدولان من نهر واحد فرقتهما السياسة وستجمعهما السياسة»[٧٤]. فكان يعمل بجد وبمواقف إيجابية مستمرة على جمع الكلمة وتوحيد الصف الإسلامي. وكان بذلك ساهراً على المصلحة العامة الإسلامية والعربية، لذا دعم موقف الساسة والمخلصين من العلماء والزعماء يؤيدهم في خطواتهم الرامية نحو الوحدة الإسلامية والقضاء على روح الطائفية البغيضة، ومحو الخلافات الوهمية ونبذ التفرقة المذهبية التي لا يستفيد منها إلّا الأعداء. وبعض هذه المواقف من رسالة مطوّلة بعث بها إلى وزير الأوقاف في مصر الشيخ أحمد حسن الباقوري

(٧٤) عبد الحسين شرف الدين، مجلة الالواح، صفحة ٦٥.

يشكره فيها على نشر كتاب **المختصر النافع في فقه الإمامية** وعلى ما صدر به ذلك الكتاب يقول فيها: «السلام عليك وعلى المتخلّقين بأخلاقك، المقتفين أثرك ومن قاموا معك بمهمة التقريب بين المذاهب الإسلامية»(٧٥). ومن ضمن هذه الدعوة الوحدوية الإسلامية التي كان يهدف من ورائها إلى وحدة الصف، عمل على هدم تلك النظم الإقطاعية المنكرة والمخطط الاستعماري المستبد بحقوق الناس الضعفاء من أبناء أمته، إذْ لم يجد مسوغاً للصبر على تلك التعسّفات والمظالم التي لمس آثارها في صميم الشعب وأفراده. وكان السيد عبد الحسين مقتنعاً ومتأكّداً أن غاية المستعمرين وهدفهم إضعاف المفاهيم الدينية في نفوس الناشئة وذلك عن طريق فتح المدارس الحديثة، ففكّر عندها بإنشاء مدرسة حديثة تشبه المدارس العصرية في علومها ومناهجها، بشرط أن لا تمسّ تلك العلوم والبرامج مبادىء الناشئة الدينية، وعلى أن يضم إلى تلك المناهج الحديثة مناهج موسّعة في العلوم الدينية تضمن تركيز الروح الدينية في نفوس طلابها وتلامذتها. ومن هنا انطلقت كلمته الإصلاحية: «لا ينشر الهدى إلّا من حيث انتشر الضلال». وقد تمكن بعد ذلك من تشييد عدّة مدارس حديثة فرض فيها البرامج والمناهج التي تساعد الناشئة على التمسك بعقائدهم ودينهم مع تنمية كبيرة للتوجيهات الدينية الصحيحة وأبرزها الكلّية الجعفرية. فمواقفه التي اتخذها في معالجته لمشكلة الطائفية(٧٦) والإقطاع والخصومات السياسية ومدافعته عن الأمة العربية والإسلامية لا يفرق فيها بين الأديان والطوائف، وكل هذا أكسب السيد عبد الحسين مكانة مرموقة في المجتمع وبين الزعماء والعلماء في العالمين العربي والإسلامي.

مؤلفاته ومخطوطاته إن المشاكل الاجتماعية التي تراكمت حول السيد عبد الحسين ونضالاته ضد الإقطاع والانتداب لم تصرفه عن حياته العلمية بل بقي على اتصال

---

(٧٥) *عبد الحسين شرف الدين*، للشيخ عبد الحميد الحر، صفحة ٦٦، سنة ١٩٦٧.

(٧٦) عندما أصدر المفوض السامي الفرنسي القرار رقم ٦٠ المؤرخ في ١٣ آذار سنة ١٩٣٦ المعدل بالقرار رقم ١٤٦ بتاريخ ١٨ تشرين الثاني سنة ١٩٣٨، المتعلق بقانون الطوائف، احتج السيد عبد الحسين على هذا القرار الذي يتضمن بعض المخالفات الصريحة المتعلقة بالدين، فمن مواد القرار ٦٠ المادة ١١ التي أباحت للمسلم أن يرتدّ عن دينه إلى ما شاء من الملل، فاعتبرها السيد عبد الحسين مخالفة لنصوص القرآن القائل: ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾. وهناك إحدى عشرة مادة أخرى جميعها مخالفة للدين الإسلامي.

كراس من ٨ صفحات بعنوان *احتجاج حجة الإسلام السيد عبد الحسين شرف الدين على قانون الطوائف*، صدر في ٥ صفر سنة ١٣٥٨/٢٥، آذار سنة ١٩٣٩.

مستمر بالبحث والمطالعة والكتابة، فقد ترك لنا تراثاً حافلاً بالمؤلفات الإسلامية العلمية وهي:

• **الفصول المهمة في تأليف الأمة**، حوت ركّز في مقدّمته على الدعوة للإلفة ذلك أنه «لا تُنَسّق أمور العمران، ولا تستتب أسباب الارتقاء ولا تنبت روح المدنية ولا تبزغ شموس الدعة من أبراج السعادة ولا نرفع عن أعناقنا نير العبودية بيد الحرية إلّا باتفاق الكلمة وترادف القلوب»(٧٧).

• الكتاب المسمى بـ**الرد على مسائل موسى جار الله**. لقد كان الباعث على تأليفه «الغيرة على الدين خيفة على الوحدة الإسلامية أن تنفصم عُراها وتتفرق جماعتها»(٧٨) وقد تعرّض فيه لمواضع التهم التي يُرمى بها الشيعة، محاولاً بمنطقه المجرد جلاء الحقيقة خالصة ممّا يتعلق بعقائد الشيعة وعباداتهم.

• **المراجعات** وهو سجل مناقشاته مع الشيخ سليم البشري، شيخ الجامع الأزهر، وقد ترجم إلى الفارسية والأردية.

• **الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء**.

• **المجالس الفاخرة في مأتم العترة الطاهرة**.

• **أبو هريرة**، كتاب يبلور فيه شخصية أبي هريرة، حياته، عصره، ظروفه.

• **فلسفة الميثاق والولاية**، وهي مجموعة من الأجوبة الشافية على أسئلة الشيخ عباس مكّي.

• **ثبت الإثبات في سلسلة الرواة**، ذكر فيه شيوخه بمن فيهم أعلام السنّة.

• **حول الرؤية**، رسالة كلامية أوضح فيها رأي الشيعة على ضوء استعراض الأبحاث لهذه المشكلة.

الشيخ عبد الحسين صادق هو ابن الشيخ إبراهيم بن الشيخ صادق بن نجم الدين المخزومي، ولد في النجف في أواخر صفر سنة ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م. في تلك السنة رجع والده إلى وطنه جبل عامل، حيث شيّد له داراً فخمة في الخيام، ورغب إليه علي بك

---

(٧٧) عبد الحسين شرف الدين، **الفصول المهمة**، صفحة ١٣، سنة ١٣٢٧هـ.

(٧٨) أجوبة مسائل جار الله، صفحة ٢٠.

الأسعد ومحمد بك الأسعد أن يكون مقره في الطيبة، أو في الخيام، فأجابهما إلى طلبهما وأرسل لإحضار عائلته من العراق، التي أصيبت بوباء خلال طريق العودة فمات جُلّ العائلة.

ترعرع في أحضان كبرى شقيقاته وكانت من فاضلات النساء، التحق بطلب العلم بادىء الأمر في مدرسة مجْدَل سِلْم، فإلى عَيْتا، فكفرا فبنت جبيل. ودرس على أساتذة مدارس تلك القرى العلوم الأولية من نحو وصرف ومنطق ومعانٍ وبيان إلى سنة ١٣٠٠هـ، حيث هاجر إلى الجامعة الكبرى الدينية في النجف الأشرف، وانتظم في صفوفها يتلقى علومه عن أكابر الأساتذة المشهورين في ذاك العصر، فدرس السطوح وهو عبارة عن الالتزام بفهم مضامين الكتاب على السيد عبد الكريم البغدادي والشيخ جعفر الشروقي والسيد علي البحراني والشيخ محمود ذهب والشيخ علي الخاقاني والسيد ياسين طه وغيرهم(٧٩). نال من جميع أولئك الأعلام إجازة الاجتهاد المطلق، كما أنه أجيز من حسن الشيرازي مرجع الإمامية الأكبر في عصره المتوفى سنة ١٣١٤هـ.

كان الشيخ عبد الحسين كريم الخلق، رحب الصدر، محباً للناس وشعره يعطينا صورة عن ذلك إذ يقول:

خُلِقْتُ رَحيبَ الصَّدْرِ مَهْما تَراكَمَتْ ... عَلَيهِ صُروفُ الدَّهْرِ أَنْزلَها صِفْرا
خُلِقْتُ ومِنْ فَضْلِ الإلهِ ومِنّهُ ... خُلِقْتُ وحُسْنُ الصَّبْرِ مِلْءَ حَيازِمي

كان يردد دائماً على سماع أبنائه: «إنكُم لنْ تَسَعوا الناسَ بأَمْوالِكُم فَسَعُوهُم بأخْلاقِكُم»(٨٠).

أعماله وآثاره قضى عمره مجاهداً في سبيل الله داعياً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، مؤدياً رسالته المقدسة بجلد وصبر. أنشأ في الخيام مدرسة حفلت بالطلاب، انتفع الفريق الأكثر منهم بالتخلص من الجندية وفريق آخر أهلته للهجرة إلى العراق، منهم ابنه الشيخ محمد التقي والشيخ عبد الكريم صادق والشيخ حسن صادق. وسعى في إنشاء مسجد الخيام وبعض المساجد في القرى المجاورة، كما كان له فضل كبير في توسعة مسجد النبطية وأشاد فيها الحسينية، وهي أول مؤسسة حسينية أقيمت في البلاد العاملية لإقامة العزاء الحسيني، ويقام فيها كثير من الحفلات الدينية والمناسبات الاجتماعية.

---

(٧٩) حسن صادق، **العرفان**، م ٣١، جزء ٩، سنة ١٩٤٥، ص ٤٨٨.

(٨٠) عبد الحسين صادق، **سقط المتاع**، ص ٢٦١.

• كتاب إلى المجمع العلمي العربي في دمشق ناقش فيه رئيسه الأديب محمد كرد علي حول ما نسبه إلى الإمامية متجنياً عليها.

• **مسائل فقهية**، بحث فيها على المذاهب الخمسة بعض الفروع الخلافية.

• **النص والاجتهاد**، ضبط فيه المواد التي يسمح باستخدام الاجتهاد فيها.

مخطوطاته

• **شرح التبصرة في الفقه على سبيل الاستدلال**.

• تعليق على **الاستصحاب** من رسائل الشيخ الانصاري.

• **سبيل المؤمنين**، في الإمامية.

• **النصوص الجلية**، في الإمامة أيضاً.

• **تنزيل الآيات الباهرة**، في الإمامة أيضاً.

• **تحفة المحدثين فيما أُخْرِج عن الستة من المستضعفين**، في الحديث.

• **الذريعة في صدر الإسلام**، نشر بعض فصوله في مجلة **العرفان**.

• تعليق على **صحيح البخاري**.

• تعليق على **صحيح مسلم**.

وله بحوث وآثار أخرى في مواضيع شتى بعضها ذهب في المفقودات، وبعضها نشر في الصحف والمجلات ككتاب **بغية الراغبين** الذي يؤرخ فيه لشجرة عائلة شرف الدين ومن يتصل بهم من قريب كآل الصدر، ومن بعيد كآل نور الدين، وأبو الحسن وآل عباس.

إن مؤلفاته هذه، المليئة بالمعرفة والدقة والاطلاع، لتدلنا على مدى اتصاله بالحياة العلمية وتفرغه لها.

آثاره العلمية والأدبية له تصانيف ومؤلفات شتى في الفقه وأصول الفقه ومباحث علم الكلام (اللاهوت) وغيره. جاء منها في الفقه **المواهب السنّية في فقه الإمامية**، وهو ما صنفه في العراق، ومثله **الشذرات في مباحث العقود والإيقاعات** وتقريرات أستاذه الميرزا

حسين الخليل في مباحث الوصية والقضاء، ومنظومة في المواريث، وأخرى في الرد على الوهابية، وفي التوحيد وحاشية على قوانين الأصول ورسالة **سيماء الصلحاء** وهناك رسائل وأجوبة مسائل ومنها **المسائل الرائعية**. أمّا آثاره الأدبية فله ديوان بعنوان **سقط المتاع** وآخر بعنوان **عرف الولاء** وثالث هو **النظرات والمناظرات**.

شعره كان الشيخ عبد الحسين صادق عالماً وشاعراً موهوباً تناول في شعره شتى الألوان الشعرية من الوصف إلى المدائح النبوية إلى شعر وطني وقومي. ولما كان الشعر تعبيراً عن إحساس الشاعر وعواطفه فقد آلم الشيخ ما آلت إليه حالة العرب من تمزق وانهيار، فجاء ليستنهض الأمة العربية لاستعادة مجدها واسترجاع عهدها الماضي الحافل بالمثل العليا والعزة والقوة بقوله:

في الشّرْقِ نادي عُلومٍ واسِعُ الرَّحْبِ ... مِنْهُ تَخَرّجَ لِلإصْلاحِ كُلُّ نَبي
فلْيشْكُرِ الغَرْبُ فَضْلَ الشَّرْقِ مُنْعِشِهُ ... في قَطْرِه مِنْ غِرٍّ إلى غيثِه السَّكِبِ
أكْبَرُ نُخْبَةِ أبْطالٍ بِهِ نَبَغَتْ ... ما مَتَّ واحِدُها لِلْغَرْبِ في نَسَبِ
شَيْخُ النَبِيّينَ نوحٌ والخليلُ وموسى ... والمَسيحُ وطهَ سَيّدُ العَرَبِ[٨١]

وهو يتألم لوضع جبل عامل بعد أن ضُمّ إلى لبنان الكبير وأصبح منطقة منسية بعد هذا الضم، ولم يعد ليهتم به المسؤولون حيث يخاطب جبل عامل بقوله:

واجْتاحَه لُبْنانُ وهُو أخٌ لَهُ ... في كُلِّ لَفْظٍ لِلإخا مَشْروعِ

ثم يعود ليخاطب لبنان بقوله:

لُبْنانُ لا تَقْطَعْ أخاكَ وبِرُّهُ ... لَكَ لا بِمَقْطوعٍ ولا مَمْنوعِ

وفي دعوته للإخاء بين المذاهب الإسلامية وذلك بعد تفكك الجامعة الإسلامية يقول:

مَنْ لي بِيَومٍ يُعاطيني مَسَرّتَهُ ... والمُسْلِمونَ جَميعاً غَيْرُ أشْتاتِ
فِيمَ اخْتِلافُكُمُ والدينُ وحّدَكُمْ ... أسَوَّغَ الدّينُ تِلْكَ الإخْتِلافاتِ[٨٢]

كان الشيخ عبد الحسين من أدباء جبل عامل الذين اتجهوا نحو التأليف والتصنيف ونظم الأشعار ومعالجة بعض الأمور المحليّة في الجبل.

توفي في النبطية سنة ١٩٤٠م ودفن فيها ومقامه في حسينيته النبطية.

---

(٨١) المصدر نفسه، ص ٥١.

(٨٢) المصدر نفسه، ص ١٥٠.

محمد جابر هو محمد بن الحاج طالب جابر الصفوي والمعروف من تاريخ أسرته أنها غير عربية هاجرت من أصفهان في أوائل القرن التاسع الهجري، إلى العراق، فحوران، فجبل عامل. ولد سنة ١٨٧٠م في النبطية وأتمّ دروسه في المدرسة الأميرية وفيها قرأ النحو والصرف والمنطق والبيان على يد العلّامة السيد محمد إبراهيم الحسيني، وكان صديقاً للشيخين أحمد رضا وسليمان ظاهر، فشاركهم بأكثر أعمالهم السياسية والثقافية، فقد كان من أعضاء جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية التي تأسست عام ١٨٩٩م، وتركت أثراً في النهضة العلمية في بداية القرن الحالي. كما كان من واضعي بيان جمعية النهضة العلمية في النبطية التي تشكّلت عام ١٩٢٧م وكان غرضها إحياء الحركة الفكرية والثقافية في جبل عامل.

شغل وظائف متعدّدة، ولم يطل ذلك حتى عاد لبلدته النبطية عندما أنشأت الحكومة العثمانية مدرسة رسمية فيها إذ عُيّن أستاذاً لها فتخرّج على يده فريق كبير من ناشئة النبطية آنذاك. ولـمّا ترك التعليم تعاطى التجارة وكان مع ذلك مُكباً على المطالعة والكتابة[٨٣].

كتاباته ومؤلفاته إمتاز محمد جابر بكتابة السِّيَر التاريخية فوضع كتاب **تاريخ جبل عامل** وهو تاريخ مفصّل بإيجاز لجميع الأدوار التي مرّت بجبل عامل، منذ الفتح العثماني حتى نهاية القرن التاسع عشر، وهي فترة ما زالت غامضة في التاريخ اللبناني، فكان عمله هذا مثالاً للمؤرخ الصادق الباحث عن الحقيقة. أمّا بالنسبة لبقية كتاباته فلم يترك لنا سوى بعض الكتابات التاريخية التي نشرت بمعظمها في مجلة **العرفان**، وبعض الكتابات السياسية في جريدة **جبل عامل**. من مؤلفاته شذرات في الفلسفة والطبيعيات وهي ما زالت مخطوطة، له أيضاً رسالة مخطوطة أسماها **ثلاثة وخمسون يوماً في عاليه** وهي بمثابة وثيقة سجّل فيها سير المحاكمة بالتفصيل يوماً بعد يوم. وله أيضاً مقالات سياسية واجتماعية وتاريخية نشرت في مجلة **العرفان** وجريدة **جبل عامل**. أمّا في الشعر فله ديوان صغير لا يزال مخطوطاً[٨٤]. توفي سنة ١٩٤٥م بسبب مرض خبيث وقد رثاه الشاعر عبد الرؤوف الأمين (فتى الجبل) بقصيدة نالت الإعجاب والاستحسان.

---

(٨٣) العرفان، مجلد ٣١، صفحة ٤٣، جزء ٧.

(٨٤) المصدر نفسه، وجريدة جبل عامل، صفحة ٦٥.

الشيخ أحمد عارف الحر هو الشيخ أحمد عارف بن صادق بن علي الحر. ولد في جباع سنة ١٩١٠ في بيت علمي متدين وتوفي سنة ١٩٧١م. كان والده أستاذاً موجهاً مرشداً، قام بجولات تعليمية في أكثر مناطق جبل عامل. تلقى الشيخ أحمد مبادىء العلوم الأولية في بادىء الأمر، وبعد أن أنهى حفظ القرآن وحفظ **ألفيَّة ابن مالك** وتلقى مبادىء الشريعة، انتقل إلى مدرسة الشيخ أحمد عباس في بيروت، وكانت من المدارس المشهورة في ذلك الوقت. تخرّج أستاذاً سنة ١٩٣٠ م ولكن الشعر والأدب كانا هاجسه الأول فانصرف إلى إحياء نشاطاته الأدبية والشعرية في الأندية والمجتمعات الثقافية والمحافل الخطابية وفي مطالعته للمجلات اللبنانية والعربية. وقد شارك من سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٤١ في اجتماعات المجمع اللغوي في دمشق، كما اشترك سنة ١٩٣٩ مع أعضاء البعثة العلمية اللبنانية في زيارة القاهرة. وفي سنة ١٩٥٣ اشترك مع بعثة الشعراء العرب لتقديم التهنئة إلى الملك فيصل الثاني لمناسبة عيد تتويجه، وقد ألقى هناك قصيدة بعنوان: «فبفيصل الثاني سترفع الراية».

الروابط لقد ساهم الشيخ أحمد في تأسيس جمعيات أدبية ومؤسسات اجتماعية منها الرابطة الأدبية العاملية، وقد سعى إلى إنشاء جمعية أدبية أطلق عليها اسم رابطة شعراء جبل عامل لكنه توفي قبل أن يتمكن من تحقيقها.

آثاره ترك الشيخ أحمد عدّة آثار نثرية وشعرية نشرت على صفحات المجلات والجرائد خاصة مجلة **العرفان**. له قصائد وطنية وقومية ككل شاعر عاملي كانت تهمه القضية الفلسطينية والقضايا العربية والوطنية. من هذه القصائد قصيدة «إنّ للعرب غداً» تتحدث عن مأساة فلسطين ووعد بلفور، وقصيدة «هذي فلسطين» تتحدث عن وجوب الجهاد والاستشهاد من أجل فلسطين، وقصيدة «أين الرجال» تتحدث عمّا يعانيه الشعب الفلسطيني من اضطهاد في ظل الاغتصاب الصهيوني، وقصيدة «أيتام مصلحة» تتحدث عن ظلم الحاكم لشعبه المستسلم لقدره، وقصيدة «بين السوري واللبناني» وهي محاورة تمثيلية بين سوري ولبناني يدعوان للأخوة والوفاق. وقصيدة «الجامعة العربية» تتحدث عن أسباب بعث الجامعة العربية وواجباتها. كما له قصائد أخرى تتحدث عن مواضيع مختلفة. أما في النثر فله عدّة مقالات منشورة في **العرفان** يتناول فيها مواضيع متنوعة أدبية ونقدية وفلسفية[٨٥].

(٨٥) العرفان، مجلد ٤٦ و٣٢ و٤٤ و٤٩ جزء ٣ و٧ و٨.

زهرة الحر هي زهرة بنت الشيخ جواد بن حسين بن سعيد الحر[٨٦]، ولدت في صور سنة ١٩١٧م وهي من أسرة متمسكة بالتقاليد الدينية الموروثة والمحافظة على العادات المتعارف عليها، من عدم السفور ومخالطة الجنس الآخر وتلقّي العلوم خارج بلدها. أمّا كيف تعلمت ومن شفع لها لتلقي علومها، فالشاعرة تحدثنا عن ذلك قائلة: «إن التفوق الذي أحرزته بعد إنهاء المبادىء الأولية لتعلم القراءة والكتابة هو الذي شفع لي عند أهلي دخولي المدرسة. والذي ساعد على ذلك وجودنا في مدينة صور التي كانت منفتحة على حرية تعليم الفتاة أكثر من بلدتي جباع المتمسكة بجوها الديني المحافظ. أمّا تمكُّني من اللغة العربية فيعود إلى سببين، الأول البيت العلمي الذي نشأت فيه، والثاني معلمتي الضليعة جداً في اللغة العربية والتي تأثرت بها أشد التأثير»[٨٧].

نظمت أول قصيدة لتستقبل بها وزير المعارف اللبنانية، وفي السنة التالية ولدت قصيدتها الثانية[٨٨]. وفي السنة ذاتها، وأثناء مطالعتها لبعض الشعراء الغربيين، أعجبت بالشاعر ڤيكتور هيغو فترجمت له قصيدة شعراً إلى اللغة العربية. وهكذا أصبحت الفتاة الطالبة تُعرف بالشاعرة الصغيرة، وبعد أن أنهت دراستها في مدينة صور التحقت بكلية الطب الفرنسية، فرع التوليد، في بيروت سنة ١٩٣٤م، وأول قصيدة ألقتها في مدينة بيروت كانت عام ١٩٣٦م[٨٩] فكانت رائدة للمرأة في أولى خطوات تحررها وخروجها من شباك الحريم.

يوم بدأت كانت طليعة للمرأة في نيل حريتها وخاصة المرأة الجنوبية.

في سنة ١٩٤٠ وافقت على عرض قدم لها للتدريس في العراق لسنة واحدة، وهناك قامت بنشاطات أدبية واسعة ألقت خلالها قصائد عديدة في مناسبات مختلفة. وقد نشر بعض من تلك القصائد في الجرائد والمجلات اللبنانية كـ **العرفان والعروبة والأديب**. وفي

---

(٨٦) أفادت الشاعرة أن نسبها يتصل من جهة الأب بالشاعر عبد الحسين الصوري.

(٨٧) عن الشاعرة زهرة الحر، في مقابلة أجريتها معها في منزلها بمدينة صور بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٩٧٩.

(٨٨) نظمت الشاعرة تلك القصيدة بمناسبة عيد معلمتها عفيفة مصويح كان مطلعها:

يا ابنة العرب الكرام يا ربة المجد الاثيل.

(٨٩) تقول الشاعرة إن قصيدتها كانت في رثاء الدكتور كريم بارتي وهو أستاذ محاضر في كلية الطب الإفرنسية، وقد اختيرت من بين الفتيات الطالبات في الكلية لتأبين الدكتور الراحل.

أحد الاحتفالات الوطنية في دمشق انتُدبت عن الجنوب للسفر إلى هناك حيث ألقت قصيدة مثّلت بها الشعر النسائي في جبل عامل.

الجمعيات والروابط ساهمت الشاعرة زهرة الحر في تأسيس العديد من الجمعيات والروابط الأدبية والنسائية أهمها: الرابطة الأدبية العاملية، المجلس الثقافي في الجنوب، جمعية نساء جبل عامل، جمعية الاتحاد النسائي في صور، جمعية الشابات المسلمات، جمعية النهضة النسائية في صيدا، المجلس الوطني للتنمية العامة. وتقديراً لأعمالها في الحقول الاجتماعية المختلفة نالت عدة أوسمة منها: وسام التقدير في الحقل الاجتماعي(٩٠)، وسام الشعر(٩١)، وسام الأمومة(٩٢).

آثارها نظمت الشاعرة ديواني شعر، فالأول أنجزت طباعته سنة ١٩٧٠ بعنوان *قصائد منسية* وهو يحوي قصائد عدّة في فنون مختلفة منها الغزل والمديح والحكمة والتوجيه الاجتماعي والوطني والقومي؛ والثاني تحت الطبع بعنوان *رياح الخريف*. وتقول إنها اختارت هذا العنوان لأنها أصبحت في خريف العمر. وهناك قصائد عدّة نشرت في الصحف والمجلات، وقصائد غير منشورة منها قصيدة *باسم العروبة* التي تقول فيها:

بِاسْمِ العُروبةِ يا أبْناءَ قحْطَانِ ... نَحْيا وفي أمْسِها نُطْوى بأكْفانِ
فإنْ نَعِشْ فكِرامٌ في مواطِنِنا ... وإنْ نَمُتْ فأُباةٌ وسْطَ مَيْدانِ

ثم تعود لتذكّر أبناء قومها بما حلّ بالقدس فتقول:

فَالْقُدْسُ مَذْعورَةٌ مِمّا تُكابِدُهُ ... وبيتُ لَحْمٍ عَلى أشْواكِ أحْزانِ
مَهْدُ المَسيحِ أما حامَتْ مَلائِكَةٌ ... عَلَيْهِ، كيْفَ غَدا في كَفِّ شَيْطانِ
قَدْ قالَ أحْمَدُ ما قالَ المَسيحُ وما ... أوحى الإلهُ بإنْجيلٍ وقُرآنِ

---

(٩٠) علق هذا الوسام على صدرها وزير العمل والشؤون الاجتماعية سنة ١٩٧٢ تقديراً لنشاطاتها الواسعة في الحقل الاجتماعي.

(٩١) نالت هذا الوسام سنة ١٩٧٠ بمناسبة طبعها أول ديوان لها *قصائد منسية*.

(٩٢) نالت هذا الوسام بمناسبة انتخابها الأم المثالية عن قضاء صور سنة ١٩٧٥ فقد أنجبت أولاداً ثمانية منهم المهندس والطبيب والصحافية.

كما نظمت بهذه المناسبة قصيدة بعنوان «بيتي» بلغ عدد أبياتها الستين.

كِلاهُما صادِقٌ في القَوْلِ مُؤْتَمَنْ   لَمْ يَخْتَلِفْ في بَيانٍ مِنْهُما اثْنانِ
ما ضاعَ حَقٌّ رَعَتْهُ عَيْنُ صاحِبِه   بِحِكْمَةٍ وبإخْلاصٍ وإيمانِ[93]

وتثور عواطف الشاعرة فتصرخ مضحية بحياتها وأطفالها لنصرة القدس، مظهرة إباء المرأة وعدم قبولها الضيم قائلة:

أَفْتَدي القُدْسَ بِمالي ودَمي   وصِغاري لَوْ يُنادُونَ الصِّغارا
نِسْوَةٌ نَحْنُ وفي أرواحِنا   شُعْلَةُ الإيمانِ تَأْبى الإنْدِحارا

وهنا تخاطب الشاعرة الرجال لنجدة أخوانهم الفلسطينين، مُظْهِرةً قدرة المرأة على القيام بدور الرجل إذا هو تخاذل فتقول:

فَإذا لَمْ تُنْجِدوا إخْوانَكُمْ   فَادْفَعونا وآسْدِلُوا عَنّا الخِمارا[94]

الشيخ محمد جواد مغنية هو ابن الشيخ محمود بن محمد آل مغنية العاملي، ولد سنة ١٩٠٤ في قرية طيْردِبّا من قرى جبل عامل قضاء صور. ماتت والدته وهو في الرابعة من عمره فهاجر مع أبيه إلى النجف ومكث هناك أربع سنوات تعلّم فيها القراءة والحساب ومبادىء النحو مع شيء من الفارسية، ثم ما لبث أن نسيها بعد عودته إلى جبل عامل. وفي العاشرة من عمره توفي والده فتولى تربيته أخوه الأكبر الذي ما لبث أن هاجر هو الآخر إلى النجف. يقول الشيخ محمد جواد: «عند هجرة أخي إلى النجف كانت نقطة التحول الحاسمة في حياتي فقد تخلّت عنّي الدنيا بأسرها وصرت وحيداً لا أملك إلّا نفسي المعذّبة وجسدي الجائع»[95]. وبعد أن لاقى الشيخ جواد الكثير من العذاب والتشرّد فكّر في الهجرة إلى النجف ليكمل دراسته وكان له ما أراد، وقبل سفره كان قد قرأ كتاب *الآجرومية* وقسماً من كتاب *قطر الندى* في النحو، فأكمل دراسته في النجف على يد السيد محمد سعيد فضل الله، وكان يومذاك أستاذاً في الأصول والفقه، فدرس العربية والمنطق والفقه على يده، ثم قرأ بعد وفاته على يد الكثير من علماء النجف، كالسيد أبي القاسم الخوئي والشيخ محمد حسين الكربلائي والأستاذ الحمامي. وبعد أن أنهى دراسته بأكملها عاد إلى

---

(٩٣) من مخطوطة تقدمة الشاعرة بعنوان: «باسم العروبة»، نظمت عام ١٩٣٥.

(٩٤) من مخطوطة تقدمة الشاعرة بعنوان «نحن قوم رخصت أرواحنا»، نظمت عام ١٩٤٢م

(٩٥) *تجارب محمد جواد مغنية*، الطبعة الأولى، ١٩٨٠، ص ٢٦.

لبنان سنة ١٩٣٦ وبقي حتى سنة ١٩٥٨ ملازماً كتب الفقه والأصول وانصرف نهائياً إلى التأليف(٩٦).

مؤلفاته كانت أكثر مؤلفات الشيخ محمد جواد الفلسفية تستند إلى الدين موضوعاً لها. فقد انكبّ على كتابة **معالم الفلسفة الإسلامية** متطرّقاً إلى الفلسفة بشكل عام متعرضاً لكبريات المسائل فيها، متناولاً بالبحث مسائل الوجود والقدم والحدوث، وصفات الله وآراء المعتزلة والأشاعرة. وفي كتابه **فلسفة المبدأ والمعاد** كتب عن الفلسفة الحديثة وتعرّض للمذاهب المادية. كما كتب أيضاً جملة من كتيبات صغيرة منها كتاب قيّم هو **الله والعقل** بحث فيه مواضيع قيّمة تدور حول من خلق الله؟ من رآه؟ أين يوجد؟ مجيباً على هذه الأسئلة بمنطق سليم ذاكراً الملاحدة، راداً عليهم بحجج كثيرة، وعلى غرار هذا الكتاب ألّف كتاب **النبوة والعقل** وفسّر بأدلّة عقلية ضرورة النبوة. أمّا في التشريع فله العديد منها كتاب **الفصول الشرعية** وتستند موضوعاته إلى القرآن، فهو ليس جديداً في محتوياته، لكن ما يعتبر جديداً وجريئاً في هذا المجال هو الأسلوب الجديد الذي عرض به مسائل الزواج والنفقة والطلاق والوصيّة والإرث في كتابة **الأحكام الشرعية للمحاكم الجعفرية** وكلها بحوث مفصّلة موجزة في الأحوال الشخصية على المذهب الجعفري. ويسهّل هذا الكتاب الطريق على القضاة ويمكن أن يكون مرجعاً قانونياً يسهل الاطلاع على طريقة الأحكام الجعفرية في المحاكم ويفصل ما يتعلق بالأحوال الشخصية، وله أيضاً كتاب **الفقه على المذاهب الخمسة** الجعفري، الشافعي، المالكي الحنفي والحنبلي، حيث يعرض نقاط الاتفاق والاختلاف حول هذه المسائل. هذا عدا الكثير من المؤلفات التي بلغت السبعين كتاباً أكثرها في الفلسفة والتشريع والعقيدة الشيعية، طبع منها ٣٢ كتاباً ولا يزال تحت الطبع ٣٨ كتاباً، هذا عدا عن المقالات التي نشرت على صفحات مجلة **العرفان** و **الألواح**، وهي مقالات حافلة بالمواعظ والإرشادات داعياً إلى التحرير، ناقداً بإخلاص ودقة. أمّا كتابه **الوضع الحاضر في جبل عامل** فهو عبارة عن عدّة مقالات يدرس فيها حالة جبل عامل سياسياً ودينياً واجتماعياً مشخصاً أدواءه عازياً أسبابها إلى الجهل ثم مهاجماً رجال السياسة في الجبل متطرقاً إلى العلماء إذ لهم في العامة الأثر، مبيناً ما لهم وما عليهم، وبعدهم عن الشباب ثم عن المهاجرين وعن الفلاح العاملي ومعيشته. ولقد أبدى

(٩٦) المصدر نفسه، ص ٣٥٠.

الشيخ مغنية في كتابه جرأة لمّاحة في كتابه وصراحة تامة، فهو يصف القرية العاملية وواقعها الحقيقي المؤلم والفلاح العاملي الذي يحز مرآه النفوس، ثم يذكر أعمال الزعماء والنواب[٩٧] في الأمة مبيناً الظلم الاجتماعي الذي يحيق بالعامليين وما يطال منطقتهم من ظلم سياسي بسبب إهمالهم وجشعهم وتقاعسهم، ثم يدعوهم بعد كل هذا إلى طلاق الزعماء ومقابلتهم بما يعاملون به أبناء شعبهم.

وفاته توفي الشيخ محمد جواد في ١١ كانون الثاني سنة ١٩٧٩ في بيروت ونقل جثمانه إلى النجف حيث رافقه كبار علماء الطائفة الشيعية في لبنان، واستقبله في مطار بغداد الهيئة العلمية اللبنانية، وأثناء تشييع الجثمان أقفلت جامعة النجف أبوابها وتوقفت الدروس طوال النهار.

الشاعر فؤاد جرداق هو ابن سجعان جرداق، ولد سنة ١٩٠٩م في مرجعيون (جبل عامل). تلقى علومه الابتدائية في المدرسة الرسمية ودخل دير المخلص منخرطاً في سلك الرهبنة من أجل متابعة دراسته، بعد عام ترك الدير وانتقل إلى السلمية في سوريا حيث درس الهندسة الزراعية في معهدها الزراعي، وبعد تخرجه انتظم في سلك الوظيفة العامة ثم في التعليم الخاص ثم في الصحافة. ففي ميدان التعليم الخاص تنقل كثيراً من موقع إلى آخر، فمن الجامعة الوطنية في عاليه إلى الثانوية الوطنية في مرجعيون إلى ثانوية بيروت الوطنية. وفي ميدان الصحافة فقد رَأَسَ تحرير جريدة *النهضة المرجعيونية* سنة ١٩٣٣م، وفي أواسط الثلاثينيات أدار مع سجيع الأسمر جريدة *العجائب* في بيروت، وبعد ذلك بوقت قصير أنشأ مع فؤاد الشمالي في بيروت جريدتي *المريخ* و *الخازوق* الانتقاديتين الساخرتين واللتين لم يستمر صدورهما طويلاً بسبب مصادرة سلطات الانتداب لهما وملاحقة صاحبيهما على تناولهما بالسخرية

(٩٧) يقول في كتابه: «نحن لا نريد من نواب الجنوب أن يتعصبوا لطائفة دون طائفة ولا لعنصر دون عنصر ولا لإقليم دون إقليم، ولا نريد منهم أن يجعلوا من جبل عامل باريس الثانية، وإنما نريد أن يكون جبل عامل جزءاً حقيقياً من لبنان له ما له وعليه ما عليه فتقاس مدارسه بمدارس جبل لبنان وطرقاته بطرقاته ومستشفياته بمستشفياته حتى إذا جاء التاريخ قاس جميع أجزاء الجمهورية اللبنانية بمقياس واحد بدون تفاضل وتمايز بين جزء وجزء، لا أن يكون جبل لبنان فرنسا والجنوب جبل عامل»؛ راجع: *الوضع الحاضر في جبل عامل*، صفحة ٢٦، سنة ١٩٤٧.

اللّاذعة رجال الانتداب الفرنسي وأزلامهم من أهل البلاد[٩٨].

كان الشاعر جرداق ينشر قصائده في الكثير من الصحف[٩٩] والمجلات العربية داخل لبنان وخارجه، وقد سمي «شاعر المرج» لعشقه الطبيعة وحبه لها.

شعره كان في العشرين من عمره يوم نظم الشعر ضد المنتدب الأجنبي والحاكم الوطني، (والتابع)، محرّضاً العرب على اختيار الموت دفاعاً عن حقهم في الاستقلال والوحدة قائلاً:

عِشْ عَزيزاً عَربياً أو فَمُتْ فَحَياةُ الذُّلِّ يَأْباها الأبي
وٱطْلُبِ الوِحْدَةَ لا اسْتِقْلالَنا نَحْنُ لا نَرْضى حِمى المُنْتَدِبِ

وقد ألقى قصيدته هذه في المظاهرة الكبرى التي تظاهر فيها خمسة آلاف عربي في مرجعيون، ومنها:

مُتْ عَزيزاً دونَ حَقِّ العَرَبِ لا تَخَفْ صَوْلَةَ صهْيُونَ الغَبي
أيُّ حُرٍّ عَربيٍّ يَرْتَضي أنْ يُسام الذُّلَّ تَحْتَ العَطَبِ
نَحْنُ قَوْمٌ لا نُطيقُ الذّلَّ بَلْ نَدْفَعُ الضَّيْمَ بِحَدِّ القُضُبِ

لم تفت القضية الفلسطينية الجرداق، الشاعر العاملي، بل أثارت عواطفه كغيره من الشعراء العامليين مشترطاً استخدام الكفاح المسلّح من أجل تحريرها وتطهير القدس، يقول:

سِيروا إلى طَرْدِ الغُزاةِ بِأَسْيُفِ بيضٍ مِنَ المَوْتِ الزُّؤامِ صِقالِ
ونُطَهِّرُ القُدْسَ الشَّريفَ مِنَ الخَنى والرِجْسِ والفُسّاقِ والأَنْذالِ

أمّا مواقف الجرداق السياسية فقد تجلّت في ممارسات عملية دفع بسببها ثمناً باهظاً من حريته واستقراره، فقد سُجن واعتُقل عدّة مرات، فعن أيامه في دير المخلص يقول:

«كنت أكتب مذكراتي في الكنيسة ليلاً على نور شمعة ضئيلة في دفتر صغير أخبئه في جيب بطانة جيبتي السوداء. وقد حكم عليّ بالسجن شهراً في الدير بسبب تعليمي الرهبان الآخرين معتقداتي التي تنافي معتقدات رفقائي الرهبان»[١٠٠].

ولم يمض وقت حتى خلع الثوب الكهنوتي وغادر الدير مع رفاقه.

---

(٩٨) حبيب صادق، *وجوه ثقافية في الجنوب*، سنة ١٩٨١، ص ١٠٧.

(٩٩) منها: *المرج*، *النهضة المرجعيونية*، *القلم الصريح*، *صدى الجنوب*، *مرجعيون*، *البرق*، *القدس*، وغيرها.

(١٠٠) حبيب صادق، *وجوه ثقافية في الجنوب*، صفحة ١٠٩.

كان جرادق يرى ما يجره الإقطاع من مآسٍ اجتماعية في القرى، وما يقاسيه الفلاح المسكين من فقر وذل فيقول:

أفي العَدْلِ أنْ يشتَمْلِكَ الفرْدُ ثَرْوَةً ... مِنَ الإرْثِ جاءَت بِالخَديعةِ والغُبْنِ
وأنّ أُلوفاً ليْسَ تَمْلِكُ مَدْفَناً ... وفَرْداً لهُ مُلْكُ الأُلوفِ مِنَ الفُدْنِ

ثم يعود ليقول واصفاً حالته قائلاً:

يَكِدُّ ويَسْعى دُون تحْصيلِ قوتِه ... فَقيرٌ فَيشْبي القوتَ مِنهُ غَني
أفي العدْلِ إعْدامُ الضّعيفِ حياتَهُ ... ليَحْيا بِها في ذا الوُجودِ القَوي(١٠١)

أمّا موقفه من الطائفية فقد كان في طليعة محاربيها بجميع أشكالها.

توفي جرداق في ٢ أيلول سنة ١٩٦٥.

السيد محسن الأمين ولد السيد محسن الأمين في قرية شقرا من بلاد جبل عامل سنة ١٨٦٧م، وفيها تعلّم مبادىء التعليم الأوليّة، ثم تتلمذ على كبار علماء جبل عامل كالسيد عباس مرتضى، والسيد محمد حسين الأمين، والشيخ محمد دبوق، والسيد جواد مرتضى. وفي هذه الفترة أَخْرجَ، وهو طالب، أول مؤلفاته في النحو، وبعد أن درس علوم العربية والمنطق والفقه والأصول سافر إلى النجف سنة ١٨٩٠م حيث درس على علماء كبار طيلة عشر سنوات حتى نال درجة الاجتهاد. ألّف في النجف مؤلفات كثيرة منها كتاب **أحكام الفرائض** في مجلدين كبيرين(١٠٢).

خدماته وأعماله في سنة ١٩٠١ ترك النجف واستقر في دمشق وبدأ بأعماله الخيرية، فأول ما فعله أن أنشأ المدرسة العلوية(١٠٣) للبنين، وأنشأ إلى جانبها المدرسة العلوية للبنات، ممّا يدل على أن السيد محسن فكّر، منذ ذاك الوقت البعيد، بتعليم البنات في زمن

---

(١٠١) *المرج*، مرجعيون، في ١٣ آب سنة ١٩٢٩.

(١٠٢) السيد محسن الأمين، *سيرته بقلمه وأقلام الآخرين*، ص ١٠ ـ ١٢، مكتبة الأمين، بدون تاريخ.

(١٠٣) تأسست المدرسة العلوية سنة ١٩٠٢م بمساعدة رجال الطائفة الشيعية المادية، وكانت مؤلفة من خمسة صفوف تدرّس فيها الدروس الدينية الإسلامية والأخلاق والآداب العربية. وبجهود السيد محسن دخلت هذه المدرسة سنة ١٩٣٦ في طور جديد من الرقي والتقدم. خرجت عدداً كبيراً من الطلاب حازوا على مراكز سياسية في خدمة الوطن؛ *العرفان*، الجزء ٥، مجلد ٣٢، ص ٩٤.

كان غيره يحارب فيه حتى تعليم البنين، وأنشأ على المدرسة جمعية سمّاها «جمعية الاهتمام بتعليم الفقراء والأيتام»، أخذت على عاتقها إيجاد المال لكل فقير ويتيم وضمان الإنفاق على كسائه وتعليمه. وهكذا لم يمض وقت قليل حتى كانت هناك نهضة ثقافية رائعة، وإذا بأبناء الأميين والجهلاء يصبحون من أعلى الناس ثقافة وعلماً ويفهمون الدين على حقيقته، ويفهمون الدنيا كما يجب أن تفهم. ورأى تلاميذه الكثيرون أن يقدّروا فضله فقرروا إبدال اسم المدرسة وتسميتها «المدرسة المحسنية» كما أمرت الحكومة السورية بتغيير اسم حي الخراب الذي يسكنه وإبداله بحي الأمين(١٠٤).

هذا وقد أنشأ جمعيّتين أخريين هما جمعية الإحسان وجمعية المواساة وهدف الأولى جمع المال من القادرين وإنفاقه على المُعْوَزين، وهدف الثانية ضمان التطبيب والدواء مجاناً للفقراء، وكان يشرف عليها بنفسه ويدير شؤونها بشخصه وكان هو رئيسها الأعلى(١٠٥).

دعوته الإصلاحية عرف بنزعته الإصلاحية التجديدية التي بدأها بإصدار *رسالة التنزيه*، وفيها يهاجم ما دخل في الدين من شوائب وأباطيل ليست منه، كمنعه ما كان يجري يوم عاشوراء من ضرب بالسيوف على الرؤوس وإيذاء النفس، ولقد كان لهذه الرسالة دويّ بعيد، اعتُبرت بحق ثورة إصلاحية كبرى قُوبلت بادىء الأمر بهجمات وصيحات الجامدين وأعداء الإصلاح، ثم ما لبثت أن تجاوبت بها أكثر الأقطار الإسلامية. وبعد وفاة السيد محسن كتب الكثيرون متحدثين عن مواقفه ودعوته، فقال الدكتور علي الوردي، أحد كبار علماء الاجتماع العراقيين في كتابه *مهزلة العقل البشري*: «يعجبني من المصلحين في هذا العصر رجلان هما: الشيخ محمد عبده في مصر والسيد محسن الأمين في سوريا. فالشيخ محمد عبده قد نال في بدء دعوته الإصلاحية من الشتيمة قسطاً كبيراً حتى اعتبروه

(١٠٤) كتبت جريدة *القبس*، الدمشقية: «ليس يجهل أحد ما لسماحة السيد محسن الأمين من أياد مشكورة في حقل الإصلاح الديني والثقافة الإسلامية. وليست تجهل دمشق، نفسها التي يتخذها السيد مقرّه الدائم، ما له من فضل على الروح الوطنية التي دفعت الشيعة الدمشقيين إلى المشاركة في الجهاد الوطني السوري في مختلف مراحله وإلى التضحية في هذا المضمار، وقد عرفت الحكومة السورية الوطنية لسماحته هذه المكانة العالية بصفته زعيم الشيعة في هذه الديار. فأوعزت إلى بلدية العاصمة أن تقدّر فضله بتخليد ذكره وإطلاق اسمه على المحلة التي يقطنها الشيعة في دمشق بدلاً من اسم الخراب الذي كانت تعرف به»؛ السيد محسن الأمين، *سيرته بقلمه...*، *مصدر سابق*، صفحة ٩٦.

(١٠٥) *العرفان*، مجلد ٣٩، جزء ٦، ص ٦٧٩.

الدجّال الذي يظهر في آخر الزمان. ولكنه الآن خالد لا يدانيه في مجده أرباب العمائم أجمعين. وإنني لا أزال أذكر تلك الضجّة التي أثيرت حول الدعوة الإصلاحية التي قام بها السيد محسن الأمين قبل ربع قرن، ولكنه صمد لها وقاومها باسلاً فلم يَلِن ولم يتردّد؛ وقد مات السيد أخيراً ولكن ذكراه لم تمت ولن تموت وستبقى دهراً طويلاً حتى تهدم هاتيك السخافات التي شوّهت الدين وجعلت منه أضحوكة الضاحكين»[١٠٦]. وقال عادل الصلح: «السيد محسن الأمين معدود عند الشيعة كالشيخ محمد عبده عند السنّة من حيث الدعوة الإصلاحية»[١٠٧].

موقفه من التفرقة الطائفية كان السيد محسن الأمين من الذين عملوا في سبيل وحدة الطائفة الإسلامية، وقد تصدّى للكثير من القضايا التي أُدخلت على الدين والتي تعتبر من عوامل التفرقة. فعندما أصدر الفرنسيون قانون الطوائف بما لا يوافق مصلحة المسلمين ويخالف نص الشرع الإسلامي، عارض علماء دمشق فأوقف القانون؛ وإيقافه شمل أهل السنّة من المسلمين فقط. عندها أرسل السيد محسن احتجاجاً للمفوضية الفرنسية باللغتين العربية والفرنسية معتبراً ذلك من نوع التفرقة الدينية يقول: «أنا بصفتي الرئيس الروحي للطائفة الإسلامية الشيعية في سوريا ولبنان أرجو فخامتكم أن تُحاطوا علماً باستنكار المسلمين الشيعة عامة لهذا القرار ولهذه التفرقة المصطنعة بين المسلمين»[١٠٨]. وعندما أصدر الفرنسيون مرسوماً بتعيين السيد محسن رئيساً للعلماء الشيعة في لبنان رفض السيد هذا المركز معتبراً هذا أيضاً من عوامل التفرقة بين المسلمين إذ «لا يصعب على المرء أن يضحّي بدمه في سبيل المصلحة العامة ولكنه لا يضحّي بكرامته»[١٠٩].

وفي عهد الاستقلال أصدرت الحكومة السورية قراراً في الانتخابات النيابية بأن للمسلمين (السنّة) كذا من المقاعد في المجلس النيابي وللأقليات كذا وقد أدخلت الشيعة ضمن الأقليات، عندها قدّم السيد محسن للحكومة كتاباً بأن الشيعة تعتبر المسلمين طائفة واحدة ولا تريد الافتراق عن إخوانها السنّة. عندها عملت الحكومة السورية بموجب كتاب السيد، واعتبرت أن المسلمين السنيين والشيعيين هم طائفة واحدة على السواء[١١٠].

---

(١٠٦) السيد محسن الأمين، مقدمة *رسالة التنزيه*، دار الهداية بيروت.

(١٠٧) عادل الصلح، *سطور من الرسالة*، بيروت ١٩٦٦، ص ١٢٤.

(١٠٨، ١٠٩، ١١٠) السيد محسن الأمين، *سيرته بقلمه...*، *مصدر سابق*، ص ٩٤ - ٩٦.

كان السيد محسن من كبار المناضلين ضد الانتدابين الفرنسي والإنكليزي في البلاد العربية، وله في ذلك مواقف مشرّفة. فعندما وقفت سوريا تناضل ضد الانتداب كان بيته المتواضع في دمشق محور الحركة الوطنية، وكان أبطال الكفاح يلتقون في حجرته الصغيرة. ولمّا ضرب الفرنسيون دمشق عام ١٩٤٥ بقصد أن تستسلم المدينة لهم جاء من ينصحه بالخروج من دمشق لئلا يتعرض للخطر، فرفض الخروج وأصرّ أن يشارك المدينة مصيرها. ولمّا كان السيد مخلصاً لوطنه كذلك كان لعروبته فلم تفته قضية فلسطين بل كان من المتحمسين لها والعاملين لنصرتها ودعمها، وقد وجّه نداء لأبناء أمته بالوقوف إلى جانب إخوانهم الفلسطينيين والتضحية في سبيل الدفاع عن فلسطين.

إلى جانب هذا كان السيد محسن يتحلى بالإنسانية الفاضلة، فعندما انتشر وباء الكوليرا في الحرب العالمية الأولى واجتاح البلاد كان في قريته شقرا يعتني بالمرضى ويعالجهم بما عرفه عن طرق معالجة هذا المرض، ولم يترك القرية فراراً من الوباء كما فعل أبناء قريته وذلك حرصاً منه على القيام بهذا الواجب الإنساني.

وطنيته وعروبته هو أول من قال شعراً عربياً وطنياً ثورياً بعد الحرب العالمية الأولى، يصوّر فيه حالة العرب وخيبة آمالهم التي علّقوها على وعود الحلفاء لهم، بالمعاونة على إنشاء دولة عربية تخلف الدولة العثمانية في البلاد العربية، ويدعو فيها العرب إلى التبصّر في حاضرهم المرير وإلى التحفز للثورة على هذا الوضع.

قال هذه الأبيات سنة ١٩١٨م، أي بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة، واحتلال الإنكليز فلسطين والعراق، واحتلال الفرنسيين المنطقة الساحلية لسوريا ولبنان[١١١]:

إنّ الحَياةَ تنازُعٌ وخِصامُ ... هيهات مَا بِسِوى السُّيوفِ سَلامُ
قالوا الشُّعوب نَفُكُّها مِن رِقِّها ... كَلّا بَلِ آستِعْبادَها قَدْ راموا
قالوا السَّلامَ نُريدُه بِفِعالِنا ... والأمْنَ تُدْرِكُهُ بِنا الأقْوامُ
إنْ كانَ هذا أمْنَكُم وسَلامَكُم ... فعَلى السَّلامِ تَحِيّةٌ وسَلامُ
هُبّوا بَني قَحْطانَ طالَ رُقادُكُمْ ... فَإلى مَ أنتُم غافِلون نِيامُ
بِاسْمِ الحِمايةِ والوِصايَةِ يُجتَوى ... حَقٌّ لَكُمْ وتَدوسُكُمْ أقْدامُ

(١١١) ما أفادني به ابنه السيد حسن الأمين في مقابلة أجريتها معه في ١٩٨١/٣/٢٧.

مؤلفاته للسيد محسن الأمين مؤلّفات في جوانب متعدّدة من أهمها **أعيان الشيعة**، فهو سِفْرٌ ضخم من ٥٦ جزءاً، احتلّ مكانةً بارزة ليس بالنسبة لجبل عامل فقط بل بالنسبة للشيعة في سائر بقاع الأرض العربية والفارسية. تناول بالدرس العديد من الرجالات متعرّضاً لحياة كل منهم ولمؤلفاته ونتاجه الفكري والأدبي وآثاره، ويمكننا اعتبار هذا السِّفر دائرة معارف كبرى وموسوعة عظيمة.

من بين مجلدات **أعيان الشيعة** ما يُعتبر مرجعاً هاماً لدراسة الأدب العربي، إذ أفرد المؤلف مجلدات كاملة لدراسة كل من أبي تمام وأبي فراس وابن الرومي والشريف الرضي وغيرهم. كما يعتبر هذا الكتاب مرجعاً هاماً في السيرة وتاريخ الحضارة الشيعية، كما له مؤلفات عديدة في الدين والعقيدة كان أبرزها **نقض الوشيعة** وفيه توضيحٌ وردٌّ على التهم التي كان يُرمى بها الشيعة والتي تختص بمعاملاتهم وشعائرهم الدينية، وله **الدر الثمين** وفيه أهم ما يجب معرفته على المسلمين من عبادات، وقد أعدّ ليكون في متناول حاجات الناس. كذلك له **ارشاد الجهّال** يتضمن أصول الدين بطريقة الاستدلال بوجه سهل قريب إلى الأفهام. كذلك **الدروس الدينية** وهو تسعة أجزاء، و**أساس الشريعة** مجلد واحد، و**الردود والنقود** وهي ردود وإيضاحات. كما كان يكتب عن الشيعة ومعتقداتهم وشعائرهم في الجرائد والمجلات.

وفاته أقام السيد محسن في المدة الأخيرة من حياته في بيروت حيث توفي فيها في ٣٠ آذار سنة ١٩٥٢م فنعته الإذاعة اللبنانية وسائر إذاعات العالم العربي والعالم الإسلامي؛ ونُقِل جثمانه إلى دمشق حيث دفن في مقام السيدة زينب. وقد مُنح بعد الوفاة أوسمة رفيعة من الحكومتين اللبنانية والسورية.

رثاه العديد من الشعراء العامليين وغير العامليين، هذه بعض الأبيات من قصيدة الشاعر العاملي المعاصر سعيد فياض[١١٢] يقول فيها:

يا مُحْسِناً ضَجَّ الفَخارُ لِمَوْتِه ... والمَجْدُ صَوَّحَ واليَراعُ بَكاهُ
خَسِرَتْ بِكَ الدُّنْيا مَنارَ فَضيلةٍ ... مَلأَ الربوعَ رُواؤُه وضِياهُ
فَنَثَرْتَ في دُنْيا السُّرورِ مَشاعِلاً ... ضَاءَ الهُدى فيها وذَرَّ سَناهُ

*

(١١٢) شاعر معاصر من بلدة أنصار قضاء النبطية، ولد سنة ١٩٢١م له دواوين شعر كثيرة في الرثاء والوصف.

المميزات العامة للإنتاج الفكري العاملي يتضح لنا بعد عرض الإنتاج الفكري لأدباء جبل عامل أنه متعدّد الجوانب متنوع المظاهر وقد أبدعوا بشكل خاص في التشريع والفلسفة والفقه والدين والتاريخ وعلوم اللغة، حتى إن هذا الإنتاج لا زال حتى اليوم يُعتبر مرجعاً لطلبة العلم في المدارس الدينية وخاصة الشيعية منها.

أمّا إنتاجهم الأدبي فقد بقي ديني الاتجاه حتّى أواخر العهد العثماني، حيث أخذ يتحلّل من طابع الأدب الديني والمديح والرثاء الذي كان غالباً، وأخذ الأدباء يتجهون فيه نحو المجتمع ونقد الأوضاع القائمة وأصبح الأدب الاجتماعي ذا اتجاه سياسي ووطني، خاصة بعد تراجع حزب الاتحاد والترقي عن دستور ١٩٠٨ الإصلاحي. فوجد الأدباء والشعراء العامليون أن الشعر أفضل سبيل يسلكونه للتنفيس عن الكبت والحرمان الذي عاشوه في هذا الجو، فأخذوا ينظمون الشعر والقصائد الطوال لاستنهاض الهمم وإثارة الشعور الوطني.

أهم الأغراض الشعرية التي ظهرت في هذا القرن هي:

الشعر القومي والسياسي تولّد هذا التيار القومي عندما راح العرب يدْعُون إلى تحرير البلاد من النير العثماني وإقامة دولة عربية واحدة تخلفها، وأوّل شعر عربي وطني ثوري قاله السيد محسن الأمين بعد الحرب العالمية الأولى، وبعد نكث الحلفاء بوعودهم للعرب بإنشاء دولة عربية تخلف الدولة العثمانية، ثم ظهرت مشكلة فلسطين التي هزّت الأمة العربية بكاملها فتحرّك الشعر القومي في جبل عامل، وراح شعراء تلك الحقبة ينظمون القصائد الحماسية الثورية. كما كان للمرأة شأن في هذا المضمار فلم تتخلّف عن الرجل بل شاركته مشاعره وأحاسيسه.

الشعر الوطني حفل شعر أعلام جبل عامل بالقصائد الوطنية التي رافقت الانتفاضات التحرّرية في العالم العربي لشعور الأديب والمفكر بأنه لا يستطيع أن يعيش بمعزلٍ عن غمرة الأحداث التي تجتاح بلاده. وكان لبنان، وهو تحت ظل الانتداب الفرنسي، يرفع صوته منادياً بالاستقلال مناوئاً للاحتلال، منددأً بالاستبداد والظلم وفساد الحكم والحاكمين، داعياً إلى التضامن والتآخي والوئام ووحدة الصف والنضال في سبيل الوطن والتضحية من أجله. وما إن نال لبنان استقلاله وتمتع بحريته حتى انبعث الشعر يتغنى بالبطولات والتضحيات ويمجّد لبنان ويُحيّي أبناءه ويفاخر بما قدّموه من غالٍ ونفيس لتبقى الأرض طيبةً مباركة، ويدعو إلى حفظ استقلال الوطن وتتويجه بالحرية والعدل والحياة العزيزة والمساواة.

الشعر الاجتماعي أثرت بيئة النهضة في الأدب وطبعته بطابعها، فحمل منها موضوعات وقيماً وآراء جديدة فتحت أمامه مجالات واسعة منها الحركات الاجتماعية وما رافقها من صراع بين القديم والجديد، وتطوّر في المفاهيم، ونظر إلى عادات المجتمع وتقاليده وأوضاعه وطبقاته ومشكلاته على اختلاف أنواعها، وقد أسهم شعراء تلك الفترة في تلك الموضوعات والمجالات إسهاماً يدل على مدى وعيهم وتحسسهم لمشاكل المجتمع(١١٣). فالإنسان الحر يبتغي حياة كريمة وعيشاً عزيزاً، وهذا ما جرى على لسان شعرائنا، ينفحون به قومهم، ويدعون للتسابق إلى الفوز. به وكان الشاعر منهم يرى الزمان يقسو على مجتمعه بالفوضى والفساد والفقر المخيّم على طبقة كبيرة استعبدها الزعماء، فينفجر الشاعر بمشاعره الإنسانية داعياً إلى نبذ كل زعيم لا يؤمّن لشعبه حياة كريمة وعيشاً عزيزاً.

وكانت الدعوة إلى توحيد الآراء والكلمة ونبذ التفرقة وطرد الأنانية من أهم التوجيهات والإرشادات الاجتماعية التي انطلقت على ألسن أولئك الأعلام(١١٤). وقد دلّ شعر هذه الفترة، بما فيها من قوميات ووطنيات واجتماعيات، على ذوق أدبي جديد ورفيع.

عوامل النهضة في جبل عامل بعد أن تناولنا بالبحث مفكّري رجال النهضة في جبل عامل، لا بد لنا من ذكر العوامل التي ساعدت أيضاً على إحياء هذه النهضة إلى جانب الإنتاج الفكري والأدبي الذي قدّمه هؤلاء المفكرون. فبعض هذه العوامل يعود بنسبه إلى العهود السابقة كالمدارس الدينية القائمة في الجبل، والرحلة العلمية إلى النجف وإيران، وهي التي عملت على استمرار الحركة وأوصلتها نشيطة، إلى أن أضيف إليها عوامل جديدة غيّرت من شكل نشاط الفكر وروحه. هذه العوامل هي:

المدارس الحديثة، الصحافة والمطابع، الجمعيات والمؤسسات الخيرية.

---

(١١٣) أيها الشعب أفق ... وانظر وحاسب وتوعدّ
وإذا لم يُجدِ تحذير ... ك فازجر وتهدّد
وإذا لم يفد الزجر ... ر فحطم كلّ مقعد

راجع: الحوماني، *مجلة العروبة*، الجزء السابع، أيلول ١٩٤٧.

(١١٤) تقول زهرة الحر في *قصائد منسية*:

إذا توحّدت الآراء وانطلقت ... سواعد للعلى شيباً وشبّانا

المدارس الحديثة كانت المدارس في جبل عامل، منذ بدء النشاط العلمي فيه، محدودة الاتجاه، دينية الطابع، إلى أن أضيف إلى نشاطها مدارس حديثة وإرساليات أجنبية أهمها:

مدرسة دير المخلص أسس هذا الدير المطران أفتيموس الصيفي أسقف صيدا المولود في دمشق سنة ١٦٤٨م. وقد بُني هذا الدير سنة ١٧٠٩م. وفي الدير مكتبة ومدرسة ثانوية اليوم خرّجت الكثير من أبناء الجنوب وفيه مطبعة أيضاً[١١٥].

مدرسة الأرض المقدسة لراهبات الفرنسيسكان تأسست سنة ١٨٥٣ وتخصّصت برعاية اليتيمات والتلميذات الفقيرات اللواتي يتعلّمن مجاناً، يشرف عليها معلمات وراهبات[١١٦].

مدرسة صيدا الإنجيلية للبنات أسسها الدكتوران وليم إدي وجورج فورد سنة ١٨٦٢م وكان عدد تلميذاتها سنة تأسيسها ٨ تلميذات وقد أصبح ٥٧٥ تلميذة سنة ١٩٦٦ موزعة على ١٤ صفاً وفي ٢٠ شعبة، تخرج حتى شهادة البكالوريا القسم الأول. وهي من المدارس المرموقة التي قدّمت ولا تزال تقدم للجنوب أجَلَّ الخدمات التربوية والأخلاقية[١١٧].

مدرسة غوته رشدي تأسست عام ١٨٧٣، كانت تسمى الرشيدية وتابعت تأدية رسالتها التعليمية حتى الحرب العالمية الأولى، إذ أغلقت أبوابها حينذاك. ففي سنة ١٩١٢ زار هذه المدرسة الحاج محمد الحبّال وكيل جريدة **الاتحاد العثماني** وشكر المعلمين لعنايتهم الفائقة بالطلاب[١١٨]. وفي عهد الاستقلال تحوّلت إلى الحكومة اللبنانية وأصبح اسمها حالياً مدرسة صيدا التكميلية للصبيان.

تمحو أنانية الفرد التي فتكت   فينا زماناً ولم ترحم بقايانا
ففي التضامن بأس لن تضعضعه   جحافل الأرض تمزيقاً وعدوانا

(١١٥) *العرفان*، مجلد ١٦، ص ٦٤، سنة ١٩٢٥.

(١١٦) منير الخوري، *صيدا عبر حقب التاريخ*، من ٢٨٠ ق م إلى ١٩٦٦، ص ٣٧٠.

(١١٧) *المصدر نفسه*.

(١١٨) جريدة *جبل عامل*، عدد ٣، ص ٢١، سنة ١٩١٢.

مدارس جمعية المقاصد الإسلامية تأسست سنة ١٨٧٧ إثْر اجتماع عقده نخبة من رجالات صيدا برئاسة محمد فريد خورشيد القائمقام، وكان من أعضائها ناصيف الأسعد. وقد تقدّمت مدارس هذه الجمعية واتسعت وأدت لجبل عامل خدمات جليلة في العلم. وكان لها في مطلع القرن العشرين أربع مكتبات للإناث والذكور. وفي عام ١٩١٢ احتفلت جمعية المقاصد بتوزيع الشهادات على خريجيها حضره جمع غفير من أركان الحكومة ممّا دل على أن مدارس هذه الجمعية كانت تسير سيراً حسناً في سبيل التعليم[١١٩].

المدرسة الوطنية أسسها عام ١٨٧٨م الخوري الياس عطية وكيل النائب العام الأسقفي لطائفة الموارنة، وقد توقفت فترة من الزمن ثم أعاد إليها الحياة الأب يوحنا الحلو سنة ١٩٦٢ تحت اسم مدرسة مار الياس، وقد أدَّت للعلم خدمات عديدة[١٢٠].

مدرسة الفنون الإنجيلية الوطنية للبنين أسّسها في صيدا عام ١٨٨٠ المبعوثان الأميركيان وليم كنغ إدي وجورج فورد ودرّس فيها المعلمان يواكيم الراسي وفارس عازوري، وفي عام ١٨٨١م أسسا فيها الفرع الداخلي. وقد تطورت هذه المدرسة، ففي سنة ١٨٩٥ أضيف لها فرعان جديدان غير التعليم: فرع صناعي يهتم بصناعات النجارة والخياطة والبناء، أمّا الفرع الآخر فهو للأيتام. وقد تخرّج منها الفوج الأول نائلاً شهادتها سنة ١٨٨٩ ومنذ ذلك التاريخ بدأت تمنح شهاداتها للخرّيجين الذين كان باستطاعتهم دخول الجامعة الأميركية دون امتحانات، وكانت تدرّس العربية والفرنسية والإنكليزية[١٢١].

المدرسة الحديثة في النبطية هي أول مدرسة أهلية على المناهج العصرية في النبطية. أسسها رضا بك الصلح عام ١٨٨٢م عندما تولى حكومة النبطية وملحقاتها. وقد ضمت ستين تلميذاً من النبطية وغيرها من قرى جبل عامل. كان يعنى بها أشد العناية وجاء لها بأساتذة من بيروت وطرابلس. وكان يتولى إلقاء بعض الدروس بنفسه ويبث بين الطلاب الروح القومية، ويجعلهم يتمرنون على الخطابة بين يديه في مواضيع اجتماعية وشؤون وطنية، وكان مديرها مصطفى العكاري. كانت الدروس أولاً قاصرة على النحو والصرف والأدب العربي والحساب والتاريخ والجغرافيا واللغة التركية، لغة الدولة الرسمية، وبعد رضا

---

(١١٩) *المصدر نفسه*، عدد ٢٥، ص ١٩٧، سنة ١٩١٢.

(١٢٠) أحمد عارف الزين، *تاريخ صيدا*، سنة ١٩١٣، ص ١١٦.

(١٢١) *المصدر نفسه*، ص ١١٧ - ١١٨.

الصلح واستقالة العكاري تولى التدريس فيها العلّامة السيد محمد علي إبراهيم، فوسّع دائرة التدريس وعني بتثقيف كبار الطلبة وتلقينهم الأدب، وكان يلقي عليهم دروساً في المنطق والبيان والفلسفة، فاستطاعت هذه المدرسة أن تأتي بالجديد إلى البيئة العاملية وأن تخرّج نفراً من المفكرين والأدباء، وظلت تعمل أمداً طويلاً. وتولتها بعد ذلك جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في النبطية، وعلى رأسها العلّامتان الشيخ أحمد رضا وسليمان ظاهر اللذان قاما بمساع عادت على المدرسة بالتقدم والنجاح. وبقيت هذه الجمعية تشرف عليها حتى أوائل الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩، وبعدها أصبحت نواةً للمدرسة الرسمية التي أدارها عبد اللطيف فياض. كما فتحت وزارة التربية أيضاً في النبطية مدرسة للبنات وكان ذلك عام ١٩٢٢م.

المدرسة الأسقفية للروم الكاثوليك تأسست عام ١٨٨٥م بإدارة الخوري يوسف الزهّار. وقد تخرج منها عدد وافر من أبناء الجنوب[١٢٢].

مدرسة القديس لويس أسسها في صيدا عام ١٩٠٤ الأخوة المريميون، وتولى إدارتها الأخ جوزف دي ليونسا، وقد انتقلت إلى أبنيتها الجديدة في الرميلة سنة ١٩٦٠[١٢٣].

مدارس مرجعيون كان هناك عدّة مدارس رسمية في مطلع القرن العشرين ترعاها الحكومة العثمانية، لكنها كانت عديمة الفائدة ضئيلة القيمة أمام نشاط مدرسة الروم الأرثوذكس فيها، وكانت الحكومة الروسية تشرف على هذه المدرسة. وقد شيّدت بناء هذه المدرسة طائفة الروم الأرثوذكس، وساهمت الحكومة الروسية بالحصول على الترخيص للمدرسة من قبل الحكومة العثمانية وقد أقيمت مكتبة للبروتستانت في مرجعيون للذكور والإناث[١٢٤].

مدارس جزين في الربع الأول من القرن العشرين كان في جزين ثلاث مدارس للصبيان والبنات بإدارة الرهبنة اليسوعية وقلب يسوع وقلب مريم[١٢٥].

---

(١٢٢) صيدا عبر حقب التاريخ، ص ٣٧٣.

(١٢٣) المصدر نفسه، ص ٣٧٣.

(١٢٤) جماعة من المؤلفين، ولاية بيروت ـ القسم الجنوبي، ص ٢٨٥.

(١٢٥) العرفان، مجلد ٨، ص ٧٧٣، سنة ١٩١٧.

مدارس الإرساليات في صور كان في صور مدارس للفرنسيسكان، ومكتبة لطائفة الروم الأرثوذكس والكاثوليك ومركز لتعليم العميان[١٢٦].

المدارس الرسمية في قرى جبل عامل أنشأت وزراة التربية الوطنية في عهد الانتداب الفرنسي عدّة مدارس ابتدائية في كل من قرى حاروف وعرمتى وعديسة والعبّاسية والغازية، وقد كان نشاط هذه المدارس محصوراً كونها كانت مدارس ابتدائية[١٢٧].

المدرسة الجعفرية في صور[١٢٨] أسسها العلّامة السيد عبد الحسين شرف الدين سنة ١٩٣٨م وهي تقع على مدخل مدينة صور في منطقة مطلة على البحر، مؤلفة من سبع غرف عُلْوية صحيّة واسعة بينها فسحة تزيدها نضارة، وقد أُنشىء في الجناح الغربي منها نادٍ واسع يسمى «نادي الإمام جعفر الصادق» تقام فيه الحفلات والاجتماعات لأبناء الطائفة الشيعية، كما أُنشىء مسجد للمدرسة في الدور الأول اسمه مسجد «الإمام جعفر الصادق»، وعلى ظهره تمّ بناء سبع غرف للمدرسة في الجناح الشرقي منها. أمّا غرض هذه المؤسسة فهو تثقيف الجيل الجديد من النشء بالثقافة الصحيحة وبالروح الإسلامي العربي، المستقل بأخلاقه ومبادئه، فإلى جانب التعاليم الحديثة كانت تدرس العلوم الدينية. وفي سنة ١٩٥٠ أُنشىء لها بناء كبير بمساعدة المهاجرين اللبنانيين أَطلق عليها السيد عبد الحسين اسم «بناية المهاجر» تقديراً للمغتربين في إفريقيا الغربية الذين مدّوا إليه يد المساعدة، فابتنى هذا البناء العظيم، وأصبحت اليوم مدرسة ثانوية تدعى «الكلية الجعفرية»، ويعود الفضل في رفع مستوى المدرسة وجعلها كلية ثانوية للسيد جعفر شرف الدين، وها هي تخرّج في كل سنة أفواجاً من الشباب يحملون الشهادات الثانوية العالية نظراً لاختياره أفضل الأساتذة، وسهره المتواصل على راحة التلاميذ ودراستهم ومعاملتهم الحسنة. كما تألفت لها جمعية تشرف على حسن سيرها وعلى أوقافها.

وقد انتشرت المدارس الرسمية في القرى بكثرة في عهد الانتداب، ففي كل قرية اليوم مدرسة ابتدائية وتكميلية؛ وحتى القرى النائية فيها مدارس رسمية يشرف عليها مدرسون من

---

(١٢٦) ولاية بيروت ـ القسم الجنوبي.

(١٢٧) العرفان، مجلد ٣٩، جزء ١٠، سنة ١٩٥٢.

(١٢٨) سُمِّيت المدرسة الجعفرية نسبة إلى الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر، سادس من أئمة الشيعة الاثني عشرية ولد سنة ٨٣هـ في المدينة وتوفي سنة١٤٨هـ.

قبل وزارة التربية، إلى جانب مدارس ثانوية ورسمية فتحت مؤخراً. بالإضافة إلى هذه المدارس التعليمية كان هناك مدارس تقوم بالأعمال الخيرية، كمدرسة راهبات مار يوسف. فقد حلّت هذه الراهبات في صيدا في منتصف القرن التاسع عشر وباشرت منذ ذلك الوقت بالاهتمام بشؤون المرضى والضعفاء والأيتام. ويعتني قسم من الراهبات بتهذيب الحديثات وتعليمهن تدبير أمور المنزل والخياطة والتطريز والأشغال اليدوية على اختلاف أنواعها. وهن يعامِلْنَ الجميع من كافة الطوائف والمذاهب معاملة واحدة. وفي سنة ١٩١٢ استلمت الإدارة رئيسة جديدة فقامت بها أحسن قيام وضاعفت الاعتناء بأمور التعليم والاهتمام بالأيتام والفقراء.

وفي العام نفسه باشرت بتشييد بناء كبير خصصت قسماً منه لتوزيع الأدوية على الفقراء من أي مذهب أو طائفة كانوا، وقسم آخر خصّصته لتعليم الخياطة والتطريز. وقد ساعدها على إتمام هذا المشروع المسيو لابيار قنصل دولة فرنسا في صيدا إذ أظهر كل مساعدة واهتمام في سبيل هذا البناء(١٢٩).

الصحافة تعتبر الصحافة من أهم العوامل الفاعلة في النهضة الفكرية العربية عامة، إلى جانب مؤسسات علمية وطنية وأجنبية ومطابع تعمل على إحياء تراث العرب القديم. ولقد عرف العالم العربي الصحافة عام ١٨٢٨م فكانت **الوقائع المصرية** أولى الجرائد الرسمية المصرية، وتلتها بعد فترات صحف خاصة كانت أولاها **حديقة الأخبار** ١٨٥٨م ثم **الجوائب** ١٨٦٠م **والأهرام** ١٨٧٥م. وقد عرفت لبنان الصحافة في بيروت، ولكن جبل عامل لم يبصر الصحافة حتى مطلع القرن العشرين، واتصف نشاط صحفه بأنها كانت مسرحاً لأقلام الأدباء والعلماء ورجال الفكر، الذين ينطقون بلسان البيئة العاملية. ولقد عرف مثقفوه صحافة الآخرين محرّرين فيها، مزوّدينها مقالاتهم كالشيخ أحمد رضا وعارف الزين وسليمان ظاهر وغيرهم، كتب هؤلاء في **الهلال والمنار والمقتطف** ثم في **مجلة المجمع العلمي العربي** بدمشق. وقد بدأ النشاط الصحفي في الأرض العاملية عام ١٩٠٩م بتأسيس مجلة **العرفان**، ثم تلتها عدّة مجلات وجرائد.

العرفان هي أولى المجلات العاملية، استحصل على امتيازها الحاج علي الزين من الحكومة العثمانية سنة ١٩٠٩، وتولى التحرير فيها نجله أحمد وأسهم معه في التحرير كل

(١٢٩) جريدة *جبل عامل*، العدد ٢٢، ص ١٧٢.

من الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر وشريف عسيران ومحمد رضا الشبيبي، صدر الجزء الأول منها في محرم سنة ١٣٢٧هـ الموافق شباط سنة ١٩٠٩ في ١١٤ صفحة، وظهر على غلافها التعريف التالي: «**العرفان** مجلة علمية أدبية أخلاقية اجتماعية تصدر كل شهر عربي لمنشئها أحمد عارف الزين في صيدا». وإلى يمين هذا التعريف الآية التالية: «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون»[١٣٠].

أما هدف المجلة وخطتها فيتضحان لنا من أقوال الشيخ عارف الزين التي كان يفتتح بها أعداد مجلته. وقد جاء في افتتاحية العدد الأول: «منشىء هذه المجلة منذ نعومة أظفاره وهو يتشوّق لإنشاء صحيفة يتمكن بها من خدمة أمته ووطنه، وقد قيّض الله لنا ما نتمناه، فأنشأنا هذه المجلة على اعتراف منّا بالعجز والتقصير ودعوناها **العرفان** وقد أخذت على عاتقها البحث في العلم والأدب والأخلاق والاجتماع قدر ما يستطاع، على أنها ستزيد مباحثها إذا رأت إقبالاً، فهي تعمل على ناموس الارتقاء وسنّة الكون وتصدر في كل شهر عربي، وفقنا الله لإتمام هذه الخدمة والقيام بهذه المهمة كي يتسنى لنا خدمة الوطن والأمة خدمة حقيقية في ظل حكومتنا الشورويَّة بمنّه ويمنه»[١٣١]. وجاء كذلك: «وليعلم الخاص والعام بأن مبدأنا انضواء جميع الناس تحت علم الألفة والوئام ونبذ ما تجنح إليه النفوس الشريرة من البغضاء والخصام»[١٣٢].

«وخطتنا الاعتصام بالحقيقة والمجاهرة بالحق ولو على أنفسنا وخدمة الوطن الذي منه خُلِقْنا وخدمة الأمة التي نحن زهرة من حديقتها وخدمة الإنسانية جمعاء»[١٣٣]، «وقد علّمتنا التجارب بأن سبيل الاعتدال خير سبيل»[١٣٤]، «إلى العلم والعرفان، إلى مؤازرة كل من يخدم الأوطان نصرخ بملء فمنا»[١٣٥].

«حافظوا على وطنكم وعلى لغتكم، على مجد أجدادكم، على شرف آبائكم، على علوم وفنون أسلافكم:

(١٣٠) العرفان، مجلد ١، سنة ١٩٠٩.

(١٣١) المصدر نفسه.

(١٣٢) العرفان، مجلد ٣ سنة ١٩١٠.

(١٣٣) المصدر نفسه.

(١٣٤) المصدر نفسه، مجلد ٤، سنة ١٩١٢.

(١٣٥) المصدر نفسه، مجلد ٧، سنة ١٩٢١.

يـا قَـوْمُ قَـدْ وَعُـرَ الـطَّـريـقُ أَمَـامَـكُـم   فـإذا عَـزمْـتُـمْ تَـسْـهُـلُ الأوْعَـارُ»[١٣٦]

«إن لـ **العرفان** خطة تتبعها ولا تحيد عنها لأنها مقتنعة بصوابها وهي خدمة القضية العربية والوحدة السورية»[١٣٧].

«ومن مفاخر **العرفان** أنها تتقدم إلى الأمام دائماً بدون فتور ولا ملل مع أنها لم يعاونها في مهمتها ملك ولا أمير ولا عالم ولا زعيم ولا حزب من الأحزاب ولا حكومة من الحكومات»[١٣٨]. «وقد تفرّدت **العرفان** في نشر الآثار العاملية والعراقية من منظوم ومنثور وعنيت عناية خاصة في شؤون الشيعة»[١٣٩].

«**والعرفان** كما يهمها أن يساهم العرب جميعهم في مؤازرتها مادياً وأدبياً لأنها منهم ولهم، يهمها كثيراً وكثيراً جداً أن تنال البلاد العربية جمعاء حريتها واستقلالها ولا سيما الشقيقة الشهيدة فلسطين فإنه يؤلمنا ما يؤلمها ويسوؤنا ما يسوؤها وكنّا وما برحنا نبذل في سبيلها كل مرتخص وغالٍ»[١٤٠].

هذا وقد اهتمت مجلة **العرفان** بالمواضيع الأدبية ذات الصفة الوعظيّة في مطلع عهدها، ثم بدأت تنشر القصائد والأبحاث في التاريخ والفلسفة والنقد الأدبي والدين والأخلاق والأخبار الاجتماعية والمحلية، جامعةً شتى المواضيع، متكلمة عن الاختراعات الجديدة والزراعة والطب والتربية.

وقد حملت **العرفان** واجبها الاجتماعي تجاه جبل عامل فعبّرت عن آرائه وتكلّمت باسمه مشجعة أدباءه وعلماءه والنشء الجديد. وأسهمت إلى حد كبير في تشجيع النهضة القائمة في أرضه وبين أبنائه. وما تزال **العرفان** تصدر حتى اليوم، إذ بعد وفاة مؤسسها، يتابع ابنه نزار العمل فيها. وتقديراً لجهود الشيخ أحمد عارف الزين أقام وزير الأنباء وفريق من رجال العلم والفضل الذين يقدرون القلم في ١٤ تشرين الأول سنة ١٩٥١ مهرجان يوبيل العرفان بمناسبة مرور ٥٠ سنة على جهود الشيخ أحمد العلمية والأدبية والقومية، فأقبل مقدرو العلم والوطنية والجهاد من لبنان وسوريا ومصر والعراق وفلسطين ليشتركوا في

---

(١٣٦) المصدر نفسه، مجلد ٨، سنة ١٩٢٢.

(١٣٧) المصدر نفسه، مجلد ٩، سنة ١٩٢٣.

(١٣٨) المصدر نفسه، مجلد ١٨، سنة ١٩٣٢.

(١٣٩) المصدر نفسه، مجلد ١٤ ـ ١٥، سنة ١٩٢٨.

(١٤٠) المصدر نفسه، مجلد ٢٨، سنة ١٩٥٧.

تكريم صاحب **العرفان**، وكان في مقدمة الحضور وزير الأنباء الأستاذ محمد صفي الدين ممثلاً لرئيس الجمهورية ومقلّد المحتفى به وسام الاستحقاق المذهب تقديراً لجهاده. وقد ألقى النائب السوري عبد اللطيف يونس كلمة باسم رئيس مجلس نواب سوريا، كما أرسل السيد هاشم الأتاسي رسالة تقدير بهذه المناسبة إلى صاحب **العرفان**. وقد تكلم خلال الحفلة رهط من كبار الأدباء والكتاب والرسميين(١٤١).

مجلة المرج أصدرها أسعد رحال ودانيال عرب سنة ١٩٠٩م وتابع الدكتور أسعد رحّال إصدارها حتى سنة ١٩٢٧م ليأتي بعده ولده الدكتور أديب فأصدرها من سنة ١٩٢٧م إلى سنة ١٩٥٢م وقد وصفت بأنها مجلة الجنوب ورسوله إلى المهجر. كانت تهتم بالبحوث السياسية والاجتماعية والأدبية وتهتم بشؤون الجنوب اللبناني وبالأحداث الاجتماعية من وفيات وزواج وولادة، كما كانت تنشر للأدباء الناشئين في الجنوب لتشجيعهم على السير في النظم والكتابة. ولكن أثناء الحرب العالمية الأولى توقفت هذه المجلة فعمد مؤسسها إلى إصدارها في النبطية سنة ١٩٢٥م بمساعدة ولده الدكتور أديب، وذلك خلال إقامتهم فيها، ثم عادا إلى مرجعيون لمتابعة إصدارها، وقد كتب فيها عدد من أدباء الجنوب، منهم الشيخ سليمان ظاهر(١٤٢).

جريدة جبل عامل أصدرها الشيخ أحمد عارف الزين في ٢٨ كانون الأول سنة ١٩١١ وقد كتب في أعلى الصفحة من العدد الأول العبارة التالية: «جريدة أسبوعية جامعة تعتني اعتناءً خاصاً في شؤون جبل عامل». وفاتحة الجريدة كانت ما يلي: «نفتتح كلامنا باسمك الأعظم، نحمدك على ما أسبغت علينا من النعم، نشكرك إذ علمتنا بالقلم ما لم نعلم... وبعد فهذه صحيفة أسبوعية تُعنى بنشر أخبار وأحوال وأمور وشؤون ومصالح ومنافع جبل عامل خاصة وسائر البلاد وعلى الأخص البلاد السورية والعثمانية عامة، ولم نسمها بهذا الاسم إلّا ليكون لها من مسمّاها نصيب، فلا عجب إذا ملأت أكثر أعمدتها بما يعود على الجبل بالنجاح وعلى بنيه وقاطنيه في الإرشاد والنصح، بيد أننا نوسع المجال ونفصح المقال في كل بحث ومطلب نعتقد به نفع القراء ورضاء العلماء والأدباء، موقنين بأننا سنجد من بني قومنا العامليين وجميع أصدقائنا المخلصين وسائر الفضلاء المنصفين تنشيطاً

---

(١٤١) *المصدر نفسه*، ج١، م ٣٩، سنة ١٩٥١، ص ٩ - ١٧٦.

(١٤٢) سليمان ظاهر، *معجم قرى جبل عامل*.

وتحبيذاً يدفعنا إلى مداولة التحسين وبناء عملنا هذا على أساس متين، لأن العامل إذا لم يجد لعمله تقديراً ولقوله أثراً مؤثراً تثبط همته وتتراخى عزيمته ويرى أن الأمة التي وقف ماله ووقته على خدمتها غير جديرة بالخدمة. وليس من العقل في شيء أن يكون المرء كالشمعة تضيء على غيرها وتحرق نفسها».

وتحت عنوان، خطة الجريدة ومبدأها، كتب ما يلي:

«لا تتبع الجريدة خطة ملتوية ومبدأ متغيراً، وإنما تعتصم بالحق في كل حال، وتنطق بالصدق ولو أدى بها إلى الاضمحلال».

وأتبع ذلك بهذا البيت من الشعر

عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ ولَوْ أنّهُ أحْرَقَكَ الصِّدْقُ بِنارِ الوَعِيد

«مبدأ جريدتنا السعي الحثيث والبحث المتواصل في كل ما يؤول إلى خير جبل عامل خاصة، علمياً وأدبياً واقتصادياً وتجارياً وزراعياً، فلذلك لا يكاد يخلو عدد من أعداد الجريدة من البحث في ذلك. إن الجريدة ترحب بكتابة كتّاب وشعر شعراء العامليين بنوع خاص. وإننا نتقدم ونحن نعلم أن بين المذاهب المختلفة شيئاً من سوء التفاهم وبقية من التعصّب المضر فسوف نسعى بحول الله إلى إزالة ذلك بكتابة المقالات التي تحث على الاتفاق والاتحاد بين جميع أهل المذاهب وخصوصاً الإسلامية ونبرهن بحجّة قاطعة بأنها جميعها تحث على الوفاق وتنهى عن الخلاف والشقاق»[١٤٣].

إستمرت هذه الجريدة تصدر حتى ١٩ نيسان سنة ١٩١٢ فتوقفت بعد أن نشر صاحبها بعض المقالات السياسية التي تعرّض فيها للسلطة العثمانية، ثم عادت للصدور في ٣١ أيار سنة ١٩١٢ وقد جاء في العدد الأول بعد صدورها ما يلي: «تعود اليوم جريدتنا وهي أصلب عوداً وأربط جأشاً وأقوى على نصرة الحق وإزهاق الباطل. تعود باسمة غير مكترثة بما أصابها ويصيبها من الكوارث وما يحدث لها من الحوادث بل تزيدها هذه نشاطاً لأنها تعمل على نشر مبدئها القويم والسير على صراطها المستقيم».

فَدَعْني مِن مُكافَحَةِ الرّزايا وذَرْني مِنْ مُعاناةِ الحُبوسِ
فَما أنا لِلْحَوادِثِ مُسْتَكينٌ ولا أنا لِلْكَوارِثِ في عُبوسِ[١٤٤]

(١٤٣) جريدة جبل عامل، عدد ١، ص ١.

(١٤٤) المصدر نفسه.

وعن مبدئه السياسي في جريدته يقول صاحبها: «إن مبدأنا السياسي كان ولم يزل المحافظة على كيان دولتنا العثمانية وبذل كل مرتخصٍ وغالٍ في سبيل إعلاء شأنها، وأن تكون محافظة على الدستور وأن تبسط ظلال العدل على ربوع دولتها الفسيحة الأرجاء لتأمن كوارث الفتن الداخلية، وأن تتّحد مع الدول العظمى لتأمن المشاكل الخارجية»(١٤٥). ثم يعود ليقول: «أمّا خطتنا مع الأحزاب فهي عدم التحيّز لحزب دون آخر لأن الكل شرع في الدولة العثمانية غير أننا نميل إلى مناصرة الحزب الضعيف لاعتقادنا أنه إذا قوي وتعادلت القوى نتج منه الخير العظيم للدولة بشرط إخلاص النيّة، أمّا إذا كان القصد من تكوُّن الأحزاب الأنانية والمصالح والشخصية فعدمها خير من وجودها»(١٤٦).

كانت هذه الجريدة بمثابة الواعظ والمرشد لأبناء جبل عامل، فكانت تحثهم على تحسين أوضاعهم الاجتماعية والتعليمية والتربوية والاقتصادية، والانتفاضة ضد رجال الإقطاع والاستبداد، وذلك من خلال المقالات التي كانت تُكتب على صفحاتها. كما عملت على إبراز العلماء والمفكرين العامليين وإنتاجهم الأدبي والعلمي منذ القرن الحادي عشر الهجري حتى الثالث عشر، هادفة من وراء ذلك تشجيع النشء الجديد في هذا الجبل على استرجاع سالف أيامه التي كانت حافلة بالعلم بفضل هؤلاء المفكرين.

كتب في هذه الجريدة كتّاب عامليون كان أكثرهم يذيّل مقالاته بأسماء مستعارة. فالشيخ أحمد رضا كتب باسم بهاء الدين العاملي، وسليمان ظاهر بحرف «س» وصاحب الجريدة بـ«الحر العاملي» والبعض الآخر باسم «شاب عاملي» «فتى عامل» أو بدون توقيع.

جريدة القوة أصدرها في صور السيد حسن دبوق سنة ١٩١٢م كانت تطبع في بيروت لكنها احتجبت بعد صدورها بوقت قصير.

جريدة الاتفاق أصدرها سعيد رزق من جزين والشاعر محمد كامل شعيب العاملي سنة ١٩١٩ وقد توقفت بعد عامين من صدورها، وذلك حيث انتقل العاملي إلى التدريس في المعاهد العلمية في بيروت، كانت هذه الجريدة تطبع في صيدا وتوزّع إلى الخارج أسبوعياً، وهي جريدة أدبية سياسية وطنية وتبحث في الزراعة(١٤٧).

---

(١٤٥) المصدر نفسه.

(١٤٦) المصدر نفسه.

(١٤٧) مقابلة مع محمد كامل شعيب في منزله صيدا الثلاثاء في ١٩٧٩/١٢/٤.

جريدة العروة الوثقى أصدرها الشاعر محمد كامل شعيب العاملي في ١٩٢٤م وجعل امتيازها باسم والده، واحتفظ لنفسه برئاسة التحرير صدر منها ٤ أعداد وكانت يومية عدد صفحاتها ١٢ صفحة، كانت تصدر في بيروت في الطابق الأعلى من أوتيل السنترال وقد مُنعت من الصدور من قبل السلطات الإدارية بسبب رد على المفوض السامي بونكوك[١٤٨].

جريدة الشلال أصدرها الخوري يوحنا رزق في جزين في ٢ أيار سنة ١٩٢٦م.

جريدة النهضة المرجعيونية أصدرتها في مرجعيون جمعية النهضة المرجعيونية في ٢٧ كانون الثاني سنة ١٩٢٧م، وهي جريدة أسبوعية كانت تطبع في مطبعة العرفان ثم أنشأ لها أعضاء الجمعية مطبعة خاصة بها[١٤٩].

جريدة القلم الصريح أسسها ألفرد أبو سمرا، صدر العدد الأول في ٣ آب سنة ١٩٣١. انصرفت هذه الجريدة إلى معالجة الشؤون الوطنية والاجتماعية والاقتصادية، استمرت هذه الجريدة فترة طويلة بعد الاستقلال. كتب فيها الشيخ سليمان ظاهر، وهي تحتوي على قصائد وطرف وإحصائيات.

مجلة العروبة أنشأها الشاعر محمد علي الحوماني سنة ١٩٣٥م في بيروت وكان قد أصدرها قبل هذا التاريخ بعام واحد باسم **بعد نصف الليل**. احتوت مقالات لغوية ووعظية واجتماعية، كما بحثت في العلم والأدب والفن.

جريدة صدى الجنوب المرجعيونية أنشأها الأستاذ راضي دخيل سنة ١٩٣٧ وكانت من ضمن الصحف التي هنأت الشيخ أحمد عارف الزين بيوبيله الذهبي.

مجلة الألواح أصدرها السيد صدر الدين شرف الدين في أوائل الخمسينات، كانت تصدر مرتين في الشهر في بيروت وتوزّع إلى الخارج، لكن ما لبثت أن توقفت. احتوت مذكرات السيد جعفر شرف الدين، ومقالات أدبية واجتماعية، كتب فيها الشيخ علي الزين، والشيخ محمد جواد مغنية، كما أنشأ صاحبها جريدة **الساعة** في بغداد ثم عاد إلى إصدارها في لبنان حوالى سنة ١٩٥٠، وأصدر أيضاً مجلة **النهج**.

---

(١٤٨) **العرفان**، مجلد ١٣، صفحة ٨٣٢، سنة ١٩٢٦.

(١٤٩) جريدة **جبل عامل**، عدد ٦، ص ٤١.

المطابع عرف جبل عامل المطابع في عام ١٩١٠م عندما أنشأ الشيخ أحمد عارف الزين مطبعة العرفان ليطبع فيها مجلته، وقد نالت، على حداثة عهدها، شهرة عالية لإتقانها الطباعة باستحضارها أنواع الحروف العربية والأجنبية ومعلماً لها ماهراً في الطباعة، فأصبحت جديرة بطبع الكتب والجرائد والمجلات والأشغال التجارية وأشغال دوائر الحكومة وغير ذلك. وما تزال المطبعة حتى اليوم ركيزة للطباعة في الجنوب؛ ثم مطبعة النهضة المرجعيونية التي تأسست لطباعة جريدة **النهضة** المرجعيونية في مرجعيون، ومطبعة جريدة **المرج** في مرجعيون وكانت تطبع جريدتها فيها حتى عام ١٩٣٠م.

الجمعيات والمؤسسات الاجتماعية رأى العامليون أن السير مع النهضة يتطلب منهم جهوداً اجتماعية تكون ثمرتها الخدمة الوطنية ورفع مستوى أبناء جبلهم الثقافية والأخلاقية، عندها عمدوا إلى إنشاء جمعيات ومؤسسات أدبية لتنطلق منها نشاطاتهم الجماعية فكانت هذه الجمعيات إمّا صاحبة دعوة أدبية تثور فيها على الأساليب القديمة وتعمل لاعتماد الجديد، وإمّا مؤسسات ذات غاية اجتماعية من أهمها فتح المدارس والكليات التي هي العامل الأكبر في إحياء النهضة واستمرار رقيها.

أهم هذه الجمعيات والمؤسسات هي:

جمعية المقاصد الخيرية في صيدا تأسست سنة ١٨٨١م وبقيت سائرة في أعمالها الخيرية، وفي سنة ١٩١٢م أنشئت جمعية ثانية تعد مساعدة لتلك على أعمالها وهي جمعية نشر العلم، كان رئيسها ومن مؤسسيها الشيخ أحمد عارف الزين، أمّا غاية الجمعية فهي إرسال بعض المتفوقين من الطلاب الفقراء إلى المعاهد العالية في بيروت وغيرها خصوصاً إلى دور المعلمين لكي يتولّوا التعليم في المدارس الأهلية بعد نيلهم الشهادات التعليمية.

جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في النبطية بدأت نشاطها سنة ١٨٩٩م وسارت سيراً حسناً، فقد أخذت على عاتقها بذل العلم للناشئة وتأسيس المدارس في جبل عامل وإقامة الحفلات بإلقاء محاضرات أدبية يلقيها عامليون بارعون في ذلك، هادفين من وراء ذلك تشجيع الحركة العلمية. وما لبث هذه الجمعية أن اتسعت دائرة أوقافها فنمت وثبتت قواعدها على أساس متين، وكان من المنشطين لها ومشجعيها كامل بك الأسعد؛ فقد قدّم

لها المساعدات المادّية والمعنوية وقام بأمور هذه الجمعية رئيسها الوجيه فضل بك الحسن العاملي وأعضاؤها العامليون الذين منهم الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر ومحمد جابر والحاج محمد ياسين(١٥٠). ولها اليوم في النبطية مدرسة للصبيان هي «المدرسة العلمية»، ومدرسة للإناث هي «مدرسة الزهراء». وقد قام تعاون بين هذه الجمعية و«الشبيبة العاملية» في بيروت بشأن ارتقاء جبل عامل العلمي والاجتماعي والأخلاقي وذلك بفتح مدارس للشيوخ والشبان، وتخصيص منتديات عمومية في كل بلدة مشهورة في الجبل يأوي إليها أهل القرى المجاورة كالنبطية وصور وبنت جبيل تتلقن بها العامة دروساً ترفعهم من عالم الجهالة إلى عالم الإنسانية. وتم تخصيص أماكن في وسط البلدة للمطالعة وقراءة الجرائد الأدبية والمجلات العلمية والتجارية والزراعية. ويخصص بجانبها مركز لإلقاء المحاضرات الأدبية والدينية والعلمية والزراعية(١٥١).

جمعية العلماء والأعيان كان أوّل من فكّر بإنشاء جمعية من علماء وأعيان البلاد هو خليل بك الأسعد، هدفها إنشاء كلّية علمية في جبل عامل، ففي سنة ١٨٩٣م دعا العلماء والأعيان لاجتماع عام يعقد في النبطية نظراً لموقعها الوسط بالنسبة للجبل وذلك في منزل آل الفضل. وقد فشل هذا الاجتماع لعدم تقبّل المجتمعين هذه الفكرة. وفي سنة ١٩٠٩ حاول ابنه كامل الأسعد إحياء الفكرة، فدعا إلى اجتماع مماثل في بلدته الطّيبة جُمعت فيه التبرعات بهدف إنشاء الكلية العلمية، وقد بلغت حوالى ثماني مئة ليرة وقدّر المجتمعون بحوالى الثلاثين من علماء وأعيان جبل عامل، وفي اجتماع آخر عقد في النبطية في دار آل الفضل وكان من بين الحضور الشيخ أحمد رضا وسليمان ظاهر حيث تمّ الاتفاق في هذا الاجتماع على صرف النظر عن إنشاء كلّية وتقرر دعم جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية التي أخذت على عاتقها إنشاء المدارس في النبطية.

الجمعية الخيرية العاملية في صيدا(١٥٢) تأسست في صيدا في آذار سنة ١٩٢٢. كانت غايتها، حسب ما جاء في المادة الثانية من نظامها الداخلي، إنشاء المدارس ونشر

---

(١٥٠) *المصدر نفسه*، عدد ٢١، ص ١٦٤ ـ ١٦٥.

(١٥١) *المصدر نفسه*، عدد ٥، ص ٣٤ ـ ٣٥.

(١٥٢) أنظر كتيباً بعنوان: *قانون الجمعية الخيرية العاملية في صيدا*، مطبعة العرفان، صيدا سنة ١٩٢٣، ص ٣٢.

العلم في جبل عامل. ولا تتدخل الجمعية بالسياسة أصلاً ولا بغير ما أنشئت له، وكل عضو يتعرّض للسياسة باسم الجمعية أو بجلساتها يُعدّ منفصلاً عنها. وقد نصّت المادة الثالثة بأن أعضاء الجمعية يتوزعون على ثلاثة أقسام: مؤسسون، ومشتركون، وفخريون. ونصّت المادة الرابعة بأن أعضاء اللجنة اثنا عشر عضواً ينتخبهم المؤسسون المشتركون. وبما أنه لم يكن للجمعية رئيس فإنه كان يُنتخب في كل جلسة رئيس مؤقت، وكانت اجتماعاتها تُعقد كل مساء خميس، وكذلك كان يعقد اجتماع عام في كل سنة. أمّا ماليّة هذه الجمعية فكانت تُجمع من التبرعات ورسم الدخول والقسط السنوي الذي هو ليرة سورية وكان من مؤسسيها وهيئتها الإدارية الشيخ أحمد عارف الزين والدكتور شريف عسيران وأديب فرحات وحسن عميس وغيرهم من العامليين.

الجمعية الخيرية الإسلامية العاملية تأسست عام ١٩٢٣ في بيروت، أشرف عليها جماعة من أبناء جبل عامل المقيمين في بيروت، نشطت هذه الجمعية بفضل رئيسها يوسف بيضون الذي كان يعمل على جمع التبرعات لتغذية صندوق الجمعية بنفسه. ففي ١٩ نيسان سنة ١٩٣٨ سافر والسيد كامل مروة أحد أعضاء الجمعية إلى إفريقيا الغربية حيث يقيم المهاجرون العامليون لجمع التبرعات، وقد قاموا بمهمتهم على الوجه الأكمل وعادوا إلى بيروت، في ١٠ تشرين الأول سنة ١٩٣٨[١٥٣]. عمدت هذه الجمعية إلى فتح المدارس في بيروت وفي قرى الجبل العاملي وقد كانت هذه الجمعية نواة للجمعية الحالية التي شادت «الكلّية العاملية» وملحقاتها في بيروت والتي احتضنت أبناء الجبل العاملي.

جمعية النهضة المرجعيونية[١٥٤] تأسست سنة ١٩٢٣م وقد أصدرت جريدة **النهضة** المرجعيونية في ٢٧ كانون الثاني سنة ١٩٢٧م. كان غرض هذه الجمعية غرضاً تثقيفياً وتعليمياً وتوجيهياً.

جمعية الشبيبة العاملية النجفيّة[١٥٥] تأسست في النجف (العراق) سنة ١٩٢٥م. قام بتأسيسها الطلاب العامليون الذين كانوا يتابعون دراستهم هناك، وقد كانت غاية هذه

---

(١٥٣) كامل مروة، *نحن في افريقيا*، دار المكشوف، ص ٧.

(١٥٤) مقابلة مع السيد حسن الأمين في ١٩٨١/٣/٢٧.

(١٥٥) جريدة *الهاتف*، العدد ١١٠، سنة ١٩٣٨م.

الجمعية علمية أدبية وتأييد الجديد في الأدب ومناهضة القديم والثورة على التقليد. كان من أعضائها الشيخ علي الزين، محمد شرارة، هاشم الأمين، حسين مروة، ومحسن شرارة. وكان هؤلاء يكتبون في **العرفان** والمجلات والجرائد العراقية.

جمعية النهضة العاملية في النبطية[١٥٦] تشكلت سنة ١٩٢٧م وقد وَضَعَ لها بيانها وقانونها محمد جابر، كما كان أحد أعضائها. وقد انتمى إليها عدد وافر من الشباب المثقف في جبل عامل، كان غرضها تربوياً ثقافياً، تعليمياً.

جمعية العلماء العامليين عام ١٩٢٨م تنادى فريق من علماء جبل عامل لتأسيس جمعية منهم، هدفها إنشاء كلية علمية عاملية، وتوالت اجتماعاتهم لإتمام هذا المشروع وأخذت لجان من هذه الجمعية تطوف القرى والمدن لجمع المال بغية بناء الكلية، وكان المسؤولون هم الشيخ حسين مغنية والسيد محسن الأمين وعدد وافر من العلماء، لكن هذه الجمعية لم تُكْمِل عملها بالرغم من إصدار بيانها سنة ١٩٣٠ بعشرين مادة.

عصبة الأدب العاملي أسس هذه العصبة سنة ١٩٣٥م الشبّان العامليون الذين عادوا من النجف إلى مواطنهم بعد إنهاء دراستهم. كان رئيس هذه العصبة الشيخ علي الزين يشاركه عدد كبير من أدباء جبل عامل. أمّا غاية هذه العصبة فكانت الثورة على القديم ونهجه في المدح والرثاء والوصف وغير ذلك وقد أذاعت مبادئها وهي:

- الفن للفن
- صقل الأدب العاملي وإظهاره بالمظهر الذي يقربه من المُثُل العليا في الأدب الحي الصادق في شعوره وفنه.
- الاشتراك في التعاون الصحيح على إنصاف المواهب الفنيّة وتوجيه جهودها في البحث والقراءة والنظْم والكتابة إلى ما يكفل لها النمو والاستقامة والتفوق.
- الارتباط والتآلف بين الأدباء في داخل البلاد العاملية.
- تشجيع النقد النزيه وتوسيع دائرته.

واتفق أعضاء هذه العصبة على أن لا يُشركوا معهم فيها إلّا من:

---

(١٥٦) العرفان، مجلد ١٤، صفحة ٥٢٧، سنة ١٩٢٧م.

(١) يعتزون بمواهبه الفنية من ذوق وفكر وخيال وعاطفة، وإلى غير ذلك ممّا يؤهله للنمو والتفوّق.

(٢) يطمئنون إلى ثقافته الأدبية وإلى ميوله في القراءة والاجتماع والحوار.

(٣) يثقون بإخلاصه للأدب الصحيح والترفع به عن أن يكون رأس مال للاستغلال والتدليس على الجمهور والتلاعب بأهوائه وبمقدراته السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية كما هو الشأن في بعض الرجعيين.

(٤) ثم لا يهمهم بعد ذلك أن يكون المنتسب ناضجاً أو غير ناضج في فنّه وثقافته ما دام له من استعداده الفطري ومن بيئته وظروف حياته الخاصة ما قد يؤهله لمثل ذلك في المستقبل القريب.

وقد كان لهذه الجمعية الأثر الكبير في إحداث النهضة وتجديد الأدب وقد بلغت ذروة نشاطها سنة ١٩٣٨م وتوقفت عن النشاط حوالي عام ١٩٤٣.

الرابطة الأدبية العاملية على أثر قيام «عصبة الأدب العاملي» تألفت هذه الجمعية لمشاركتها في إشعال النهضة الفكرية في جبل عامل لتأثرها بالأفكار الجديدة المنتشرة في العالم العربي، من أعضاء الرابطة الشاعرة زهرة الحر، السيد علي إبراهيم، أحمد وعارف الحر وغيرهم.

لقد كان هدف هذه الجمعيات إحياء النهضة العمرانية والثقافية والعلمية في جبل عامل وقد عملت مؤخراً على إقامة بعض المكتبات العامة التي كان يفتقدها الجبل بمساعدة بعض الشباب المثقف في كل من صيدا وبنت جبيل لتكون عاملاً فاعلاً لعوامل النهضة التي سبق ذكرها.

خاتمة

إن حالة الصراع القومي والديني والتدخلات الأجنبية في مطلع القرن العشرين أفرزت حالة من الضياع والتشتت لشعوب الشرق الأوسط. وكان من الطبيعي أن تكون هذه الحالة بارزة بحدة أكثر في المناطق الأكثر تخلفاً وذلك لصعوبة إدراك شعوب تلك المناطق لمجرى التطورات التي كانت تعصف ببلادهم، وهذا ما ينطبق على بلاد الشام بالتحديد حيث لا وجود لأحزاب تضطلع بهذه المهمة.وهذا ما جعل الفئة المتعلمة والمفكرة تقوم بهذه الأعباء.

وفي مطلع القرن العشرين كانت الدولة العثمانية في حالة من الفوضى والضعف فرضتها ظروف عهد الامتيازات التي تمّت سنة ١٥٣٥م بين فرنسوا الأول ملك فرنسا والسلطان العثماني.

وجبل عامل ذو الأكثرية الشيعية في محيط عربي إسلامي يغلب فيه المذهب السني بقي هذا الجبل بمنأى عن التدخلات الأجنبية، حتى إننا لم نجد دولة أوروبية تمد جسراً مع سكان هذا الجبل، بخلاف الطوائف الأخرى، إذ ساعد الفرنسيون الموارنة، والإنكليز الدروز، والروس ساعدوا الأرثوذكس، أما السنّة فكانوا على دين الدولة العثمانية.

رغم تلك العزلة التي عاشها سكان جبل عامل فقد قاد رجال الدين وبعض الوجهاء حملة التثقيف في الجوامع وبعض البيوت، إلى جانب ذلك أصبحوا المعبرين عن مواقف سكان جبل عامل في قضاياهم اليومية والمصيرية، ويمكن القول إنهم أصبحوا ممثليهم الشرعيين بدون انتخاب. ففي ظل الدولة العثمانية عملوا لوحدة الكلمة الإسلامية وللمحافظة على الدولة العثمانية الإسلامية على أساس نظام اللامركزية في الأمبراطورية، وفي نفس الوقت جهدوا في تأكيد هويتهم العربية رغم حملة التضليل والتشكيك حول انتمائهم القومي العربي حيث كان البعض يعتبر أن سكان جبل عامل من الفرس. وعندما رفضت حكومة

الاتحاد والترقي العثماني المطالب العربية باللامركزية وقف مفكرو جبل عامل مع الشريف حسين لإعلان الثورة العربية. وخلال الانتداب الفرنسي استمر مفكرو جبل عامل في موقفهم الداعي إلى الوحدة العربية باعتباره الضمانة للاستقلال، والحصن المنيع ضد السيطرة الأجنبية، إذ كانوا يعتبرون أن التجزئة هي لمصلحة الأجنبي وهدر لمقدرات الأمة العربية.

وبقي العامليون على موقفهم رغم الإغراءات التي قدمت من قبل رجال الانتداب. ففي سنة ١٩٢٦ تم لأول مرة الاعتراف بتطبيق المذهب الجعفري في الأحوال الشخصية للشيعة. وأصبح الشيعة طائفة إسلامية معترف بها رسمياً في لبنان كباقي الطوائف. وذلك رغم حملة التشكيك القومي بالشيعة والتي قادها هذه المرة البلجيكي هنري لامنس في كتابه الصادر سنة ١٩٢٨ **فُرس لبنان** *(Les Perses du Liban)*.

وقد استمر مفكرو جبل عامل على موقفهم في رفض الانتداب والتجزئة التي فرضت على بلادهم، فأحياناً قادوا حرب عصابات ضد التواجد الفرنسي، وأحياناً أخرى اشتركوا في المؤتمرات المختلفة في بلاد الشام، تحت شعارات الوحدة السورية والاستقلال.

ولكنهم أخيراً وافقوا على الاعتراف بالهوية اللبنانية سنة ١٩٣٦ بعد أن اقتنعوا بوجهة نظر زعماء الحركة الوطنية في سوريا ولبنان، بالتوجه أولاً لطرد الانتداب الفرنسي وترك أمر الوحدة السورية إلى مرحلة لاحقة.

وعلى الرغم من إهمال الدولة لأمور التعليم الرسمي استمر مفكرو جبل عامل في نشاطهم الثقافي من إصدر الجرائد والمجلات، وخاصة مجلة **العرفان** التي تعتبر المنبر الحقيقي لأدباء ولمفكري جبل عامل. وقد أنشؤوا كذلك العديد من المدارس الخاصة في مختلف أنحاء قرى ومدن جبل عامل. وقد لوحظ أن المحور الأساسي للتعليم تمركز أولاً حول الثقافة الدينية من حفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة واستمرار الاجتهاد في الأمور الدينية.

وبعد توقيع المعاهدة اللبنانية الفرنسية سنة ١٩٣٦ والتي التقى اللبنانيون من مسلمين ومسيحيين، ولأول مرّة، على إرادة العيش ضمن الكيان اللبناني المستقل، وبناء نظام يكرس هذه الشراكة الطائفية، على أساس ٦ و٦ مكرر أي تقسيم الوظائف في أجهزة الدولة اللبنانية بأن يكون ٦ للمسيحيين مقابل ٥ للمسلمين. في هذا الوقت مارس مفكرو جبل عامل سياسة محلية تقوم على أساس إنصاف طائفتهم كبقية الطوائف، وإعطائها حيّزاً من اهتمامات الدولة لمنطقة جبل عامل، وعلى رأس هذه الاهتمامات فتح مدارس رسمية لأن

معظم طلاب جبل عامل كانوا خريجي المدارس الحكومية، مع العلم أن هذه المدارس كانت أدنى مستوى من المدارس الخاصة لأن الدولة بنظامها الطائفي لم تُعْطِ أهمية للتعليم الرسمي على حساب التعليم الخاص الطائفي.

ومن مميزات الأدب العاملي على الصعيد المحلي هو الاهتمام بالنقد الاجتماعي وبالمسحة الإنسانية. وقد تطرق المفكرون العامليون إلى نقد الممارسات الإقطاعية في جبل عامل التي أحدثت انقساماً في صفوف العامليين والتي أدت في بعض الأحيان إلى مصادمات كان يغذيها أطراف الإقطاع، حفاظاً على مصالحهم الخاصة. وكذلك توجهوا بنقدهم إلى الدولة التي كانت تميز بين أبناء الوطن الواحد من حيث الوظائف ومن حيث التمييز بين منطقة وأخرى. وبذلك تركز الأدب العاملي من شعر ونثر على تعريف المسؤولين بالمبادىء الإنسانية كالمساواة والعدالة التي أقرّتها الأديان السماوية جميعاً.

أما على صعيد الاهتمامات الخارجية فقد بقي الشعر والأدب القومي في طليعة أدب العامليين واستحوذت الوحدة العربية وحلقتها المركزية فلسطين وكذلك قضايا الأمة الإسلامية، على كافة الشعر السياسي للأدباء العامليين.

وفي مطلع عهد الاستقلال كان حظ جبل عامل من اهتمامات الدولة لا يختلف بكثير عنه في عهد الانتداب، بل بقي الإهمال شعار الحكم فيه، وبقي التخلف يلف جبل عامل، واستمر دور المفكرين العامليين في نقد ممارسة دولة الاستقلال، وبقي الأدب العاملي يرتكز على عائلات تتوارث الثقافة عن أهلها حتى أصبح لِزاماً على كل من يريد كتابة بحث عن جبل عامل أن يزور هذه الفئة حيث يجد المكتبات الغنية بمختلف أنواع المؤلفات من أدبية وسياسية ودينية.

وأخيراً فإن دراستنا كانت الغاية منها الكشف عن دور أدباء جبل عامل وموقفهم الوطني بحيث إن هذا الدور كان مجهولاً تقريباً، حيث إن معظم نتاج هؤلاء الأدباء ما يزال مخطوطاً، ونظراً للظروف الراهنة فإنه مهدد بالتلف، وقد أصاب التلف قسماً من مكتبة الشيخ أحمد رضا في النبطية ومكتبة الشيخ أحمد عارف الزين، وكذلك فإن جريدة **جبل عامل** لا يوجد منها سوى نسخة واحدة استطعت الحصول عليها بعد جهد طويل.

وفي هذه الدراسة كان رائدنا خدمة الحقيقة والموضوعية من أجل أن ينال جبل عامل حظاً من اهتمامات الدولة، ومن أجل الحفاظ على تاريخ هذه المنطقة لتبقى حافزاً للأجيال القادمة إلى طلب العلم والمعرفة والتحلي بالأخلاق السليمة.

مراجع البحث

فضلاً عن الوثائق الديبلوماسية المشار إليها في حواشي الكتاب كان الاعتماد على المراجع المخطوطة والمطبوعة التالية:

المخطوطات

• مذكرات الشيخ سليمان الظاهر الموجودة بحوزة نجله عبداللّه، لا سيما العائد منها إلى العام ١٩٢٠، إلى قصائد غير منشورة من نظمه.

• قصائد غير منشورة من نظم الشيخ أحمد رضا وافانا بها نجله الدكتور نزار.

• قصائد غير منشورة من نظم الشاعرة زهرة الحر وافتنا بها شخصياً.

• قصائد غير منشورة من نظم الشاعر محمد كامل شعيب العاملي وافانا بها شخصياً.

المراجع العربية

محسن الأمين: **أعيان الشيعة**: المجلدات ١١ ـ ١٥ ـ ٢٨ ـ ٣٣ ـ ٣٧ ـ ٥٢ ـ ٥٣، مطبعة ابن زيدون، دمشق ١٩٤٣ ـ ١٩٤٥، مطبعة الترقي دمشق ١٩٣٦، مطبعة الإنصاف دمشق ـ بيروت ١٩٥٩.

ــــــ **خطط جبل عامل**، طبعة أولى، مطبعة الإنصاف بيروت ١٩٦١.

ــــــ **سيرته بقلمه وأقلام الآخرين**، مطبعة الأمين، النجف، بدون تاريخ.

ــــــ **المجالس السنيّة**، طبعة ٣، دار التعاون، مطبعة النعمان، النجف، سنة ١٩٦٥.

ساطع الحصري: **يوم ميسلون**، دار العلام للملايين، بيروت دون تاريخ.

حسن الأمين، **من بلد الى بلد**، مطبعة دار التراث الإسلامي، بيروت، ١٩٧٤.

نوار الأمين، **الأدب العاملي في النصف الأول من القرن العشرين**، مكتبة هاشم، بيروت ١٩٦٢.

أحمد بن يحيى البلاذري، **فتوح البلدان**، دار النشر للجامعيين، بيروت ١٩٥٧.

أمين الريحاني، **ملوك العرب**، مطبعة صادق، بيروت، بدون تاريخ.

سلام الراسي، **لئلا تضيع**، طبعة ثانية، مطبعة نوفل، بيروت ١٩٧٧.

طنوس الشدياق، **أخبار الأعيان**، طبعة أولى، بيروت ١٨٥٩.

محمد تقي الفقيه، **جبل عامل في التاريخ**، طبعة أولى، بغداد ١٩٤٥.

يوسف الحكيم، **سوريا في العهد الفيصلي**، طبعة ثانية، مطبعة خليفة، بيروت، ١٩٨٠.

باسم الجسر، **الميثاق الوطني ١٩٤٣**، دار النهار، بيروت، ١٩٧٨.

عبد الرحمن الكيالي، **مراحل الانتداب الفرنسي ونضالنا الوطني من ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩**، سوريا ١٩٦٠.

ـــــــ **تاريخ فلسطين المعاصر**، طبعة ثانية، المطبعة العربية، بيروت، ١٩٧٣.

بشارة الخوري، **حقائق لبنانية**، مطبعة أوراق لبنانية، ١٩٦٠.

عادل الصلح، **سطور من الرسالة**، بيروت ١٩٦٦.

عبد الكريم الزنجاني، **رحلة الإمام الزنجاني**، طبعة ثانية، النجف ١٩٥٦.

جورج أنطونيوس، **يقظة العرب**، طبعة سادسة، دار االعلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠.

أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، دار الثقافة بيروت ١٩٥٧.

شفيق الأرناؤوط، **معروف سعد ثورة ونضال**، بيروت ١٩٨١.

محمد جميل بيهم، **الصراع السياسي في لبنان في عهد الانتداب**(١٩١٨ ـ ١٩٤٥)، دار العهد، بيروت، ١٩٧٧.

شكيب أرسلان، **لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟**، دار الفكر، بيروت، مطبعة التعاون ١٩٦٩.

من وحي الفكر، (مجالس أدبية شارك فيها ١٨ مفكراً)، مطبعة ابن زيدون، دمشق.

المجلس الثقافي للبنان الجنوبي، **صفحات من تاريخ جبل عامل**، طبعة أولى، مطبعة الكفاح، بيروت، سنة ١٩٧٩.

ـــــ **وجوه ثقافية من الجنوب**، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٨١.
مسعود ضاهر، **تاريخ لبنان الاجتماعي**، طبعة أولى، دار الفارابي، بيروت ١٩٧٤.
زهرة الحر، **قصائد منسية**، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٠.
محمد الحر العاملي، **أمل الآمل**، إيران ١٣٠٣هـ.
عبد الحميد الحر، **عبد الحسين شرف الدين**، ماجستر كلية الآداب في النجف، ١٩٦٧.
منير خوري، **صيدا عبر حقب التاريخ**، المكتبة التجارية، ١٩٦٦.
ابن عساكر، **تاريخ ابن عساكر**، دمشق، بدون تاريخ.
فيصل بن الحسين، المكتبة الحكومية بغداد، دون تاريخ.
محمد جابر، **تاريخ جبل عامل**، مطبعة سميا، دون تاريخ.
محمد كرد علي، **خطط الشام**، طبعة ثانية، دار القلم، بيروت، ١٩٧١، دمشق، الأجزاء الأول والثاني والرابع والخامس.
محمد حسين كاشف الغطاء، **أصول الشيعة**، الطبعة العاشرة، مطبعة العرفان، بيروت، دون تاريخ.
يوسف مزهر، **تاريخ لبنان العام**، طبعة ثانية، دون تاريخ.
علي مروة، **تاريخ جباع**، مطبعة الأمان، بيروت ١٩٦٧.
كاظم مكي، **الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل**، دار الأندلس، طبعة أولى، بيروت.
آدم متز، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، طبعة ثالثة، مصر.
كامل مروة، **نحن في افريقيا**، دار المكشوف، ١٩٣٦.
محمد جواد مغنية، **الوضع الحاضر في جبل عامل**، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٤٧.
ـــــ **تجارب محمد جواد مغنية**، طبعة أولى، دار الجواد، ١٩٨٠.
إسكندر عيسى المعلوف، **دواني القطوف في تاريخ بني معلوف**، المطبعة العثمانية، بغداد، ١٩٠٨.
عبدالله نعمة، **فلاسفة الشيعة**، مطبعة الحياة، بيروت، ١٩٣٠.
قدري قلعجي، **جيل الفداء**، دار الكتاب، بيروت، دون تاريخ.
أحمد رضا، **معجم متن اللغة**، مطبعة الحياة، ١٩٥٨.

يوسف سالم، **خمسون سنة مع الناس**، دار النهار، بيروت، ١٩٧٥.

سعيد أمين، **الثورة العربية الكبرى**، مطبعة جوزف الحلبي، مصر، دون تاريخ.

عبد الحسين شرف الدين، **النص والاجتهاد**، طبعة رابعة، مطبعة الأعلمي، بيروت، ١٩٦٦.

——— **الفصول المهمة في تاليف الأمّة**، مطبعة العرفان، ١٣٢٧هـ.

——— **الرد على موسى جار الله**، مطبعة العرفان.

خير الدين الزركلي، **ما رأيت وما سمعت**، المطبعة العربية، مصر، ١٩٢٣.

——— **الأعلام**، الجامعة الأميركية.

علي الزين، **للبحث عن تاريخنا في لبنان**، طبعة أولى، مطبعة العرفان، ١٩٧٣.

——— **فصول من تاريخ الشيعة في لبنان**، طبعة أولى، دار الكلمة، بيروت، ١٩٧٩.

——— **مع التاريخ العاملي**، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٥٤.

——— **مع الأدب العاملي**، مطبعة سميا، بيروت، دون تاريخ.

——— **أوراق أديب**، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.

زين نور الدين، **نشوء القومية العربية**، طبعة ثالثة، دار النهار، بيروت، سنة ١٩٦٨.

——— **الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي لبنان وسوريا**، طبعة ثانية، دار النهار، بيروت، ١٩٧٧.

أحمد عارف الزين، **تاريخ صيدا**، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩١٣.

محمد حسين الزين، **الشيعة في الإسلام**، الطبعة الأولى، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٣٨.

سليمان ظاهر، **الفلسطينيات**، مطبعة العشرية، صيدا، ١٩٥٤.

أطروحات غير منشورة

مصطفى بزي، **تطور المجتمع في بنت جبيل**، الجامعة اللبنانية بيروت ١٩٧٩.

سمير صباغ، Samir Sabbag, *La societé politique libanaise et le pouvoir présidentiel*, thèse, Grenoble, 1974.

رسائل وندوات

- السيد محسن الأمين، **رسالة التنزيه**، مطبعة دار الحياة، طبعة ثانية، بيروت، (٣٢ صفحة).

- عبد الحسين شرف الدين، **احتجاج حجة الإسلام السيد عبد الحسين شرف الدين على قانون تقسيم الطوائف الدينية**، صور، ٥ صفر ١٣٥٨، ٢٥ آذار سنة ١٩٣٩، (٨ صفحات).

- **المؤتمر العربي الأول المنبثق عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية في مصر**، سنة ١٩١٣ مطبعة البسفور، (٨ صفحات).

- **مؤتمر الطوائف الإسلامية المنعقد في بيروت**، الاثنين ٢١ حزيران، سنة ١٩٤٣.

- **محضر جلسات مؤتمر الساحل والأقضية الاربعة**، ١٠ آذار سنة ١٩٣٦، مطبعة الاتحاد بيروت، ١٨ صفحة.

- **التقرير السنوي للمدرسة الجعفرية للسنة الأولى** ١٩٢٨ ـ ١٩٢٩ (٣٧ صفحة).

- **نظام الجمعية الخيرية العاملية في صيدا**، مطبعة العرفان ١٩٢٢ (٣٢ صفحة)

- كاظم الصلح، **مشكلة الاتصال والانفصال**، بيروت، ١٩٣٦ (١٦ صفحة).

الصحف

- **ملحق النهار**، ١٠ كانون الثاني سنة ١٩٧٥.

- **البشير** ١٩١٩ ـ ١٩٢٠.

- **بيروت** ١٩٣٦.

- **الحقيقة**، العدد ١٣٢٢، ٦ حزيران ١٩٢٠.

- **جبل عامل**، صيدا ـ سوريا، ٢٨ كانون الأول سنة ١٩١١، ص ٥.

- **المرج**، مرجعيون ١٣ آب، سنة ١٩٢٩.

- **المقتبس** الدمشقية، ٣١ آب ١٩٣٦، عدد ٩٣٦.

- **المقتطف**، ٩ شباط، ١٩٢٦.

- **النهار**، العدد ٨٣٢، ٨ حزيران ١٩٣٦.

- **صوت الشعب**، العدد ٦٦٣، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٣.

المجلات

- الألواح، ١٩٥٠ ـ ١٩٥١.
- العرفان، ابتداءً من ١٩٠٩.
- الرأي العام الدمشقي، ١٦ أيلول سنة ١٩٢٩.
- المشرق، العدد ٣، سنة ١٩٣٠.
- العروبة، ١٩٤٧.
- مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق، سنة ١٩٤٨.
- مجلة الدراسات الأدبية، العدد ٣، ١٩٥٩.

- *Correspondance d'Orient*, Paris, octobre 1937, n° 478.
- *Revue politique et parlementaire*, n° 517, 10 décembre, Paris, 1937.

المحتويات